

اتحاد الجامعات العربية



جمعية كليات الآداب

المجلة العربية للآداب

مجلة علمية محكّمة

تصدر في جامعة اليرموك، اربد، الأردن عن جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية.

المجلد الثاني　　　العدد الأول　　　1426هـ/2005م

تنضيد واخراج
أحمد أبوهمام

المجلة العربية للآداب
مجلة علمية محكّمة

القواعد الناظمة للمجلة

- **المجلة العربية للآداب** مجلة علمية محكّمة معتمدة تصدر عن جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية.
- يقدم البحث للنشر باللغة العربية مع ملخص له باللغة الانجليزية، ويجوز أن يقدم بإحدى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية أو أية لغة أجنبية أخرى تتيسر طباعتها بموافقة هيئة التحرير مع تقديم ملخص له باللغة العربية.
- تنشر المجلة البحوث العلمية التي تتوافر فيها الأصالة والمنهجية العلمية والإحاطة والاستقصاء، والتي تراعى فيها الإشارات الدقيقة إلى المصادر والمراجع، ولم تقدم للنشر في أي مكان آخر، ويجوز نشر نقد متخصص أو مراجعة لأحد المؤلفات العلمية الصادرة في الوطن العربي أو خارجه بالإضافة لنشر تقارير عن الندوات والمؤتمرات التخصصية العربية والعالمية، وتعد البحوث التي تقبل للنشر بحوثاً معتمدة لأغراض الترقية.
- تعنى المجلة بنشر البحوث العلمية المقدمة إليها في مجالات الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية والخدمة الاجتماعية والصحافة والإعلام.
- أن يكون البحث مرقوناً على الحاسوب وبمسافة مزدوجة بين السطور، وتقدم أربع نسخ منه مع قرص مرن قياس 3.5 انش، متوافق مع أنظمة (IBM (Ms Word 97,2000,XP.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث بما فيها الأشكال والرسوم والجداول والملاحق على ثلاثين صفحة.
- تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة حال قبولها مبدئيا على محكمين اثنين في الأقل من ذوي الاختصاص، يتم اختيارهما بسرية مطلقة من رئيس التحرير.
- تحتفظ المجلة بحقها في الطلب من المؤلف أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه أو أي جزء منه بما يتناسب وسياستها في النشر.
- تنتقل حقوق طبع البحث ونشره إلى المجلة عند إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر .
- لا تدفع المجلة مكافأة عن البحوث التي تنشر فيها.
- تهدي المجلة لمؤلف البحث بعد نشره عشرين مستلة منه ونسخة العدد الذي نشر فيه.

- ترسل البحوث على العنوان التالي: -

الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب،

رئيس تحرير المجلة العربية للآداب

كلية الآداب – جامعة اليرموك، اربد، الأردن

هاتف: 00962 2 7211111

فاكس: 00962 2 7274725

البريد الإلكتروني: e-mail: saufa@yu.edu.jo

الموقع الإلكتروني: website: http://saufa.yu.edu.jo

التوثيق

ترقم الإحالات في متن البحث بطريقة متسلسلة، بين قوسين صغيرين ()

وتكون هوامش الإحالة إلى المصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو التالي، في حالة أن يكون المصدر أو المرجع كتاباً:

إسم المؤلف كاملاً: **المصدر أو المرجع**، عدد الأجزاء، مكان النشر،الناشر، السنة، الصفحة.

ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**، مصر، دار المعارف، 1966، ص 24.

وفي حال الرجوع إلى الدوريات أو المجلات تكون الإحالة إليها على النحو التالي:

إسم المؤلف كاملاً: عنوان البحث، **إسم الدورية أو المجلة**، المجلد، العدد، السنة، الصفحة.

مثال:

سعيدان، أحمد سليم: "حول تعريب العلوم"، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، المجلد الأول، العدد الثاني، تموز 1978، ص101.

وتثبت في آخر البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في بحثه حسب التسلسل الألف بائي لاسم المؤلف العائلي، بحيث تذكر المراجع العربية أولاً ثم تليها المراجع الأجنبية.

الاشتراك في المجلة

الاشتراك السنوي للأفراد: ثلاثة دنانير داخل الأردن وسبعة دولارات أمريكية أو ما يعادلها خارج الأردن وللمؤسسات خمسة دنانير داخل الأردن وعشرة دولارات أمريكية أو ما يعادلها خارج الأردن.

محتويات العدد

البحوث باللغة العربية

البحوث باللغة الانجليزية

البحوث باللغة الاسبانية

كلمة العدد

الأخوة الزملاء أعضاء الهيئة العمومية لجمعية كليات الآداب في الوطن العربي

تحية طيبة وبعد،

فقد كنا وعدنا في كلمة العدد الأول من هذه المجلة ألا يتأخر صدور عددها عن موعد الاجتماع السادس للهيئة العمومية للجمعية الذي تقرر عقده في حلب بالجمهورية العربية السورية بدعوة كريمة من عميد كلية الآداب في جامعتها العريقة.

وعلى الرغم مما صادفته هيئة تحرير المجلة من معوقات تمثلت بتأخر وصول الردود التقييمية لبعض البحوث المشكّلة لمادة هذا العدد فضلاً عن عدم الرضا عَمّا وصل إلى هيئة التحرير من البحوث بغية نشرها في المجلة ومعوقات أخرى لا لزوم لذكرها . نقول : على الرغم من هذه المعوقات كلها إلا أن مادة العدد البحثية قد توافرت أخيراً وأصبح باستطاعة هيئة تحرير المجلة أن تصدر العدد الثاني منها قبل الموعد الذي قطعته على نفسها ولسان حالها يردد :

لا يدرك الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

الزملاء الأعزاء:

ها هو العدد الثاني من مجلة الجمعية بين أيديكم بحلته القشيبة وموضوعاته العلمية الرصينة وقد بذل فيه من جهد المتابعة على غير صعيد ما هو جدير بالثناء والتقدير . أما عن الاسم الجديد الذي صدر به هذا العدد من المجلة فله حكاية لا بد أن تذكر هنا لأنها أصبحت جزءاً من تاريخ الجمعية ومجلتها .

* * *

كانت الهيئة العمومية لجمعية كليات الآداب قد اتخذت جملة من القرارات في مؤتمرها التأسيسي الذي عقد في رحاب جامعة اليرموك يوم الأحد الموافق 2001/4/29 . وكان من أهم هذه القرارات وأظهرها قرار يقضي بإصدار مجلة علمية محكمة باسم " المجلة العربية للآداب " تعنى بنشر البحوث الجادة والدراسات المعمقة في اللغات والآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية وغيرها من الأنشطة الفكرية والتخصصات التي تهم الجمعية وتنتسب إلى تخصصات أعضائها المؤسسين .

وقبل أن يصدر العدد الأول من المجلة ، وافقت الهيئة العمومية للجمعية في اجتماعها الأول الذي عقد في رحاب جامعة قار يونس في الجماهيرية العربية الليبية في الفترة من 29ـ31 /2002/4 على أن تصدر مجلة الجمعية باسم " حوليات جمعية كليات الآداب في الوطن العربي

" عوضاً عن اسم " المجلة العربية للآداب " لما للاسم الأول من دلالة وخصوصية . وقد تمت الموافقة على الاسم الثاني واعتماده ، كما تمت الموافقة عليه واعتماده ثانية في مؤتمر الجمعية الذي عقد في رحاب جامعة الخرطوم بالسودان في الفترة من 2003/7/31ـ29. ثم تمت الموافقة عليه واعتماده بشكل قاطع للمرة الثالثة في مؤتمر الجمعية الذي عقدته في رحاب جامعة دمشق بالجمهورية العربية السورية في الفترة من 2004/4/17ـ15 .

وتأسيساً على هذه الموافقات جميعها عملت هيئة تحرير المجلة على إصدارها وهي على قناعة بأن الخلاف على الاسم إنما هو خلاف شكلي واختلاف في وجهات النظر لن يترتب عليه شيء، فقامت الجمعية بإصدار العدد الأول من مجلتها سنة 2004 باسم : "حوليات جمعية كليات الآداب" ثم قامت الجمعية بتزويد أعضائها المؤسسين بنسخ من هذا العدد ومستلات من البحوث التي تضمنها . كما قامت الأمانة العامة للجمعية بإرسال نسخ من هذا العدد على سبيل الإهداء والتعريف بالمجلة إلى مجموعة كبيرة من الأفراد والمؤسسات العلمية والأكاديمية داخل الأردن وخارجه. وقد توالت ردود الأفعال الايجابية فاستقبلت هيئة تحرير المجلة والأمانة العامة للجمعية عدداً وافراً من رسائل الثناء على الجهد والإطراء بما تضمنه العدد من البحوث والدراسات من مختلف أنحاء العالم العربي. وقد تم حفظ هذه الرسائل في أرشيف خاص بها ليكون جزءاً من تاريخ الجمعية ومجلتها .

بيد أن الأمناء العامين لمؤسسات الاتحاد العام للجامعات العربية عادوا في اجتماعهم السنوي الرابع الذي عقد في عمان يوم 2005/2/7 إلى مناقشة موضوع أسماء ما يصدر عن الاتحاد من المجلات، وقرروا بعد نقاش طويل أن يصار إلى توحيد أسماء هذه المجلات وتأكيد أهمية صدورها بشكل منتظم مع التذكير بقرارات مجلس الاتحاد العام للجامعات باعتبار البحوث والدراسات التي تنشر في هذه المجلات أو التي تقبل للنشر فيها، معتمدة لدى جامعات الاتحاد وكلياته لأغراض التعيين والتثبيت والترقية.

وبناء عليه تم التذكير بقرار العدول عن الاسم الأول وذلك في مؤتمر الجمعية الخامس الذي عقد في رحاب جامعة المنيا بجمهورية مصر العربية في الفترة من 27 ـ 2005/3/29 وحضره الأمين العام لاتحاد الجامعات العربية بالإنابة حيث لم يبق هناك مجال لمناقشة الأمر المتعلق باسم المجلة أو التفكير في إثارته من جديد .

وتأسيساً عليه قررت هيئة تحرير المجلة العدول عن الاسم الأول للمجلة وهو "حوليات جمعية كليات الآداب" وهو الذي جاء اسماً للعدد الأول من المجلة ليصبح الاسم "المجلة العربية للآداب" وهو الذي سيكون اسما للأعداد القادمة من المجلة بدءا من مجلدها الثاني وهو الذي بين أيديكم اليوم .

****

تلك كانت حكاية اسم المجلة وما دار حوله من نقاش . أما موضوعات المجلدين الأول والثاني منها فقد كانت موضع عناية هيئة تحرير المجلة في اجتماعاتها القليلة التي عقدتها بكامل أعضائها للإطلاع على آراء ذوي الاختصاص ممن أنيطت بهم مهمة تقويم البحوث وإبداء الرأي القاطع فيها . وأقول : " اجتماعات هيئة التحرير القليلة " وأنا أقصد ما أقول . إذ على الرغم من انشغال أعضاء هيئة تحرير المجلة وثقل مسؤلياتهم وتنوع الأعباء الملقاة عليهم في تسيير أمور عماداتهم في الجامعات التي ينتمون إليها في مختلف أرجاء المملكة إلا أنهم دون استثناء كانوا على أهبة الاستعداد للاجتماع يلبون الدعوة عن قناعة ورضا لا يرجون غير أن تسير الجمعية قدماً ولا يطلبون غير أن تجيء نجاحاتها تترى .

أما سكرتير تحرير المجلة السيد جعفر الشوحة ومساعد الأمين العام للجمعية السيدة كفاح نصراوي فإن ضغط العمل عليهما وحجمه كانا أكبر من أن يتحملاه، ومع هذا، لم تند عن أي منهما شكوى، ولم يصدر عن أي منهما تذمر، يعملان بصمت المؤمن برسالته ، المتطلع إلى أن يأخذ ما يوكل إليه عمله حقه كاملاً من التميز والنجاح.

وأما أنا رئيس تحرير المجلة والأمين العام للجمعية فيا طول ما قاسيت وما أكثر ما تعرضت له. ولكنني كنت واثقاً أنني على المسار الصحيح وأن العبرة دائماً في النتائج . ولهذا، فإني اليوم وأنا أودع الجمعية ومجلتها بحكم انتهاء عملي الرسمي عميداً لكلية الآداب في جامعة اليرموك لواثق كل الثقة أن الأستاذ الدكتور عبدالقادر الرباعي زميلي القادم بعدي أميناً عاماً للجمعية ورئيساً لهيئة تحريرمجلتها لن يكون أقل إخلاصاً لهما ولا عملاً بتواصل تقدمهما وإطّراد تألقهما مني .

ولا أقول من بعد، إلا أنني وعلى مدى أربع سنوات طوال عملت واجتهدت في إدارتي للجمعية وتسيير أمورها فإن كنت قد أصبت فله كان السعي، وإلا فعذري أنني اجتهدت وعلى الله أجر المجتهدين.

مع التحية ،

إربد في 2005/9/1

أ.د. حنا حداد

رئيس التحرير

الأمين العام لجمعية كليات الآداب



تقديم

فقد صدر هذا العدد استمراراً لعطاء جمعية كليات الآداب في الوطن العربي ممثلة بهيئة تحرير المجلة العربية للآداب الذي اشتمل بحوثاً قدمها مؤلفون من الوطن العربي في شتى حقول الأدب والعلوم الإنسانية.

بضعة أشهر تأخر إصدار العدد عن موعده بعد أن ارتأت الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية أن يغير اسم المجلة وبعد أن صدر المجلد الأول منها تحت اسم "حوليات جمعية كليات الآداب" كما أشار إلى ذلك بالتفصيل الأستاذ الدكتور حنا حداد رئيس التحرير في كلمة العدد.

وسكرتاريا التحرير تقدم كل الشكر لرئيس التحرير السابق الأستاذ الدكتور حنا حداد وإلى هيئة التحرير على جهودهم المخلصة في الإعداد لموضوعات هذا العدد، وتقدر عالياً الجهود الطيبة لرئيس التحرير الجديد الأستاذ الدكتور عبدالقادر الربّاعي الأديب والناقد العربي المعروف الذي بذل كل جهوده في تدقيقه وتواصله باستمرار معنا لإخراجه وإصداره بحلته الجديدة، ولا بد لسكرتاريا التحرير أن تقدم جزيل الشكر وعظيم الامتنان لسعادة الأستاذ الدكتور الأمين العام لاتحاد الجامعات العربية وإلى الأمانة العامة، وإلى كليات الآداب أعضاء جمعية كليات الآداب على الدعم المادي والمعنوي المتنامي، وإلى جامعة اليرموك في المملكة الأردنية الهاشمية ممثلة برئيسها الأستاذ الدكتور محمد الصباريني على استضافة الأمانة العامة لجمعية كليات الآداب ورعايته لها وتقديمه العون والدعم المادي والمعنوي لها وللمجلة التي تصدر عنها.

الشكر والتقدير للسيدة كفاح نصراوي مساعد الأمين العام لجمعية كليات الآداب على دقتها ومتابعتها العمل وجهودها الدائمة لإخراج المجلة في أبهى صورة، والشكر أيضاً للسيد أحمد أبوهمام من عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة اليرموك على جهوده في تنسيق العدد ودقته في إخراجه ومواصلته العمل معنا، والشكر الجزيل لدائرة العلاقات العامة في جامعة اليرموك على تعاونهم في طبعه، ونخص بالذكر مدير العلاقات العامة السيد ادميثان حلوش والسيد جهاد بدارنه والسيد فيصل الحموري والسيد حسين الزرقان وجميع العاملين في المطبعة.

سكرتير التحرير

جعفر الشوحة

المجلة العربية للآداب المجلد 2، العدد 1، 2005، ص ص 1- 29

في تأويل النصّ التاريخي
المؤرّخ وسلطة النصّ

نور الدين بن علي الصغير *

ملخص

يعتبر الغرب من السبّاقين في اقتحام مجال التأويل التاريخي بقدر ما عرف التعامل مع هذا الحقل المعرفي تأخّرا في التراث العربي الإسلامي بالرّغم من عراقة الفكر التأويلي وتطبيقاته في مجالات الدراسات القرآنية والآداب العربية.

وستحاول هذه الدراسة رصد الأرضية الأولية لبناء علم تأويل في مجال البحث التاريخي من خلال التعامل مع النص التاريخي بغية الوصول إلى الحقيقة التي تبقى مطلبا ملحّا ينشده كلّ الباحثين.

مقدمة

من أبرز العلامات المميزة للبشر خاصية العقل التي أكرمهم بها الخالق جلّ وعلا، ومن تجلّيات العقل إبداعات التفكّر التي تشمل كل الإمكانات العاقلة والمدركة لمختلف حيثيات الأبعاد المعرفية من بحث واستقصاء وتحليل وتعليل ونقد وتأويل بغية الكشف عن المجهول من خلال المعلوم وإدراك ما ترومه النفوس من معارف وترنو إليه من مقاصد تسموا بالإنسان إلى مصاف الإبداع والعبقرية لأنّ " كمال النفس البشرية في اللّذة المعنوية"[1]. أما الإدراك المعرفي الذي هو من خصائص العقل فإنّه يقوم على عمليتين: الماهية الفكرية والقدرة التفكيرية أو التفكّر. ولهاتين الخاصيتين آليات ومناهج تسخّر منطقيا لتحصيل المقاصد وتحقيق النظر الذي لا يكتمل إلاّ بالرؤى التأويلية التي تنتهي إلى أسنا المقاصد وأشرف المراتب.

وللعملية التأويلية مفاهيم ومناهج حدّدها العلماء منذ أن ظهرت الحكمة اليونانية وعرفت باسم (الهرمنطيقا) ثمّ تتابعت إثراءاتها الى يومنا هذا وفق اجتهادات العلماء وتقنينات أرباب المدارس الفكرية والعقدية، وهي اليوم تنهل من معين التطوّر العلمي والمعرفي في حقول

---

* استاذ في قسم التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة الشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة.

الدراسات الإنسانية والإجتماعية وتساهم في تجلية الحقائق الإبستيمية داخل كلّ منظومة معرفية. ولئن تعدّدت مفاهيم وتطبيقات العملية التأويلية من خلال جدلية العقل المدرك مع النصّ الحامل لرسالة التفكير والتفكّر التي اتسمت بالتنوّع والإختلاف والتغاير من تخصّص إلى آخر انطلاقا من النصوص الدينية والإنتاج الفني والأدبي فإنّ المعرفة التاريخية من خلال الرواية والسرد وتقصّي الأحداث والوقائع تبقى محلّ إشكال ونظر في شأن التأويل وتطبيقاته في حقل المعارف التاريخية. فهل يحتاج النصّ التاريخي لعملية تأويلية قصد تجلية أغراض المؤرّخ ومقاصده، وهل للنصّ التاريخي سلطة ونفوذ من خلال الدلالات اللّغوية تقتضي عملية تأويلية لسبر أغوارها ؟

يبدو أنّ التأويل في حقل المعرفة التاريخية غريب في نظر الدارسين والمهتمين من العرب والمسلمين وأنّ هذه العملية الإستقصائية للمفاهيم لا تطبق إلاّ على النصوص الدينية والأدبية والفلسفية والذوقية وأنّ النصّ التاريخي لا يتحمّل تطبيقات تأويلية لكونه واضح الدلالة، جليّ المعنى ومحدّد المقصد، فأية عملية تأويلية نسعى لإدخالها في حقل المعرفة التاريخية ؟ وهل النصّ التاريخي في تراوحه بين لغة الأمس وزخم اليوم يملي علينا وقفة تأملية إدراكية تأويلية من أجل إدراك حقيقة الماضي وكشف زيف وأهواء المؤرخين وميولاتهم الإيديولوجية والعقدية الدينية مثلما يؤكّد ذلك (بول ريكور Paul Ricoeur) [2] أو على غرار ما يؤكّده ابن خلدون من تعاظم افتراءات المؤرّخين في بعض الأحيان " ... والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون ... " [3] وهل يكون التأويل في اللّفظ الدّال أم في المعنى الذي يحثّ عليه الفيلسوف (بول ريكور) في قوله:"لأنّ التاريخ هو تاريخنا لذا فإنّ معنى التاريخ ومفهومه هو مفهومنا"[4] هذا المفهوم يجب أن يكون أكثر التصاقا بالحقيقة وتعبيرا عنها تجنّبا لأهواء المؤرّخين وميولاتهم الفكرية والعقدية وحرصا على الدقّة والمصداقية التي لا تحصل إلاّ باعتماد أمّهات الكتب ومقارنة المصادر [5]

إنّ مسألة استقراء الآليات المنهجية لإرساء فهم خاص بالتأويل وتطبيقاته على النصّ التاريخي من خلال تعدّد أوجه الخطاب واختلاف المدارس التاريخية من جانب، ومن جانب آخر الحاجة التي تمليها المنهجية الحديثة في الإستعانة بالعلوم الإنسانية في مختلف الحقول المعرفية بغية الوصول الى خفايا النصّ وكشف الحقيقة التاريخية في إطار جدلية التكامل بين المبلّغ (المؤرّخ) والمتلقّي (الدّارس للعينة) والنصّ (الرسالة). إنّه من خلال هذه العناصر الثلاثة يتمّ توجيه العملية التأويلية من أجل تشخيص المعلن وإبراز المسكوت عنه في النصّ الحامل للخطاب والمبلّغ للمعرفة التاريخية التي ترفض هيمنة البنيوية الهيكلية التي تحكم تركيبة النصّ في نسق من الإيحاء والإضمار والرمز حيث تكون اللّغة من عوامل التزكية والتغطية والمواراة.

وإذا كان المؤرخون والدّارسون العرب والمسلمون يخافون تطبيق المعرفة التأويلية في مناهجهم الإستقرائية للخطاب التاريخي فإنّ المدارس الغربية تجاوزت هذه المشكلة وأقرّت فلسفة متكاملة تأصّل للتأويل وتستخدم آلياته في استنطاق الخطاب التاريخي وتجاوز عموم لفظه وتعبيره الى خصوصية محتواه عن طريق المقارنة والتحليل والتعليل.

إنّ عصر ما بعد الحداثة في النقد التاريخي (خاصة ما قدمته التاريخية الجديدة والنقدية التاريخية والماركسية المحدثة ومواقفها من النصية التاريخية) اعتبر عملية التأويل من أبرز الآليات التي يلجأ إليها الناقد في تعامله مع الخطاب التاريخي واستلهام مكوّناته بغية إعادة تركيب المعنى في مختلف أنساقه المعرفية السياسية والثقافية والإجتماعية والإقتصادية والتربوية لكي يصبح التأويل فلسفة لا شرحا وتفسيرا مع مراعاة إشكالية التعامل مع النصّ من الداخل أو من الخارج [6].

ولبلوغ هذه الأهداف وتحقيق هذه الغايات سنحاول التطرّق للنقاط الآتية:

- حقيقة التأويل بين اللّفظ والمعنى
- طبيعة الخطاب التاريخي
- تأويل الخطاب التاريخي
- المؤرّخ وسلطة النص والوثيقة
- التأويل والحقيقة التاريخية

ومن خلال هذه المباحث يمكن الوقوف على مدى قدرة التأويل في كشف خفايا النصّ وتعرية الخطاب من أنساقه المضمرة وإيحاءاته ورموزه المغلّفة باللّغة وسلطة الذات (الأنا) لدى المؤرّخين اعتمادا على نماذج من الوقائع التاريخية والأحداث التي عرفت مواقف متباينة ضمن أعمال النخبة من المؤرّخين المسلمين، ومن هذه الأحداث نذكر على سبيل المثال:

- حادثة السقيفة
- حروب الردّة
- الفتنة الكبرى
- التحكيم في صفّين
- المحنة وآثارها في المشرق والمغرب
- مواقف المؤرّخين من حكّام الدولة الأموية والدولة العباسية
- معركة بلاط الشهداء والروايات العربية والإفرنجية
- مآسي تهجير المسلمين من الأندلس

فإلى أيّ مدى سيكون نجاح التأويل في مؤازرة الحقيقة التاريخية وإثراء العلوم الإنسانية ؟ وما المنهجية التي نروم اتباعها لإرساء جدلية حوار استقرائي بين المؤرخ والخطاب التاريخي ؟ وهل التأويل منهج له ما يميّزه من الخطوات أم أنّه أداة تفكير تحكمه آليات فلسفية معيّنة ؟

وإذا كان الغرب قد قطع أشواطا في هذا المجال فكيف يمكننا الإستفادة من تجربته وتأسيس علم تأويل في حقل الدراسات التاريخية له أهداف إبستمولوجية وغايات معرفية تواكب تطوّرات ما بعد الحداثة وتفسح المجال أمام نموذج الهرمنطيقا التاريخية وتطبيقاتها المنهجية ضمن اهتماماتنا التاريخية والتربوية؟ وهل بالتأويل وحده يمكننا فتح مجال الشرح والفهم الخاصين بالنصّ وبالتحديد عندما ندرك أنّ حقيقة الفهم تكمن في موضوعية الشرح الذي يعتمد مبدأ الإحتكام إلى مفهوم السببية لإبراز العلاقة بين الظواهر المكوّنة للحدث، كما أنّ الأصل في المعنى إنّما يعني استنطاق المحتوى ومساءلة النصّ أو الخطاب ميتافيزيقيا حتى يفصح التاريخ عن الحقيقة من خلال كشاكلة الزمان واحتواء المكان حيث يذهب (ريكور) إلى اعتبار الخطاب التاريخي تركيب وإعادة تركيب وهو كتابة وإعادة كتابة لذا فهو خطاب مفتوح [7]

في حقيقة التأويل:

في مستوى اللّفظ:

إنّ إنتاج اللغة العربية في مجال لفظ التأويل بمختلف اشتقاقاته يحتلّ حيّزا معرفيا متناميا خاصة إذا أضفنا إليه إجتهادات المفسرين وأصحاب المذاهب والعقائد فإنّنا نقف على زخم هائل من الاستعمالات متعدّدة الأوجه والنظائر للتأويل منها:

- التأويل في اللّغة على وزن تفعيل من آل يؤول: آل الشيء الى كذا إذا صار إليه وانتهى.
- وفي نظر ابن منظور تأوّل الشيء أي تدبّره وقدّره [8]
- وفي مجال القرآن الكريم: التأويل في المتشابه من الآيات لا المحكم منها لأنّ اليقين لا يعلمه إلاّ الله، ويقال: تأوّلها المتأوّلون أي تكلّموا فيها على ما أدّاه الاجتهاد إليها.

في مستوى المعنى:

النّاظر في مسألة التاويل في الفكر العربي الإسلامي يقف على نماذج متعدّدة من التعريفات الخاصة بهذه الإشكالية. فهي قضية محورية في القرآن الكريم وعلم التفسير وفي اللغة والأدب، وقد وردت لها تعريفات وحدود متفاوتة ضمن هذه الحقول المعرفية نذكر منها الآتي:

في القرآن الكريم: تردّدت عبارة تأويل (بمختلف مشتقاتها) خمسة عشرة مرة لتأخذ معنى الكشف المعرفي لا المعرفة الفلسفية في التعامل مع النصّ المقدّس حيث لا يسمح للعقل أن يسرح في مجال النظر في النصّ إلاّ بقدر ما يسرحه النصّ نفسه (9) وبذلك يكون النصّ القرآني مفتوحا للفهم والقراءة الإستكشافية وليس لإنتاج المعنى أو تجاوز المقاصد الشرعية التي يعني من خلالها المحدثون القراءة الحرّة للنصّ.وعلى العموم فإنّ التأويل يقتضي ترجيح المراد بخلاف التفسير الذي يعني الجزم بالمراد ذلك أنّ التأويل يهتمّ بمحتملات اللّفظ أمّا التفسير فغايته بيان مراد المتكلّم.

في المستوى الفني اللّغوي والأدبي: حيث تطالعنا البنيوية بنظرتها المتعددة للمعنى رافضة كل تفسير يفهم منه شمولية المعنى والوثوق في تحديده وهي ترمي إلى جعل المعنى متعدد الأوجه والدلالات " فكلّما تعدّدت المعاني أصبح عالمنا أفضل "(10) وفي نفس الصياغة تحدث عبدالقاهر الجرجاني مشيرا الى ابداع العقل في تعامله مع المخفي من المعاني حيث يعتبر ذلك من سمات الادراك " ولكان الادراك كالذي ينافيه من الأضداد، ولبقيت القلوب مقفلة على ودائعها، والمعاني مسجونة في موضعها " (11) كما يعتبر التشبيه من أوسع أبواب التأويل حيث يقول: " إعلم أن الشيئين إذا شبّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين (12)

- أحدهما أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج الى تأوّل
- و الآخر: أن يكون الشبه محصّلا لضرب من التأوّل

في المستوى الفلسفي:حيث يقترن مفهوم التّأويل بالنموذج ويتخذ منحى رياضيا ويصبح معناه قضايا أولية من قضايا حساب التفاضل والتكامل مما يؤدّي الى اكتساب كلّ القضايا ذات البنى السليمة للحساب المقصود معنى ... ويستخدم التأويل لتحديد قيمة الصدق المنطقية والقضايا التحليلية والتركيبية (13)

وفي مستوى تثبيت مفهوم خطاب النص في إطار نظام داخلي مغلق لا يعبر عن حقيقة الكينونة يبرز (جاك دريدا) بقوله: " إنّ المشروع التأويلي الذي يفترض وجود معنى حقيقي للنص يجري رفضه في ظلّ ذلك النظام إذ يجري تحرير القراءة من أفق المعنى أو حقيقة الكينونة، ويجري تحريرها من قيم إنتاج المنتج أو حضور الحاضر. "(14)

في مستوى المعرفة التاريخية:

أمّا في مستوى المعرفة التاريخية، وهذا محور بحثنا، فإنّ نظرية التأويل أو **الهرمنطيقا** تبدو غريبة بعض الشيء وليس لها في حقل المعارف التاريخية العربية الإسلامية دور إلاّ ما يمكن

استخلاصه اجتهادا وتأويلا من مواقف بعض المؤرّخين حيث يبرز التأويل داخل الحقل التاريخي بمثابة الوسيلة النقدية والعملية التحليلية والتعليلية التي يسخّرها المؤرّخ في سعيه وراء الحقيقة.

ففي نظر ابن خلدون مثلا، تتخذ هذه العملية أشكالا متفاوتة تبرز من خلال الإشارات الواردة ضمن منهجية ممارسة العملية التاريخية وشروط التعامل مع الحدث والوقائع التاريخية مثل:

- احتياج المؤرخ الى حسن نظر وتثبّت يفضيان الى الحقَ.
- عرض الأشياء على أصولها وقياسها بأشباهها.
- تحكيم النظر والبصيرة
- سبر الأشياء بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات
- تعليل الكائنات
- العلم بكيفيات الوقائع وأسبابها
- استيعاب أخبار الأيام
- ملاحظة أسباب الوقائع والأحوال
- الأخذ بمناهج التحقيق والتنقيح
- التبصّر بواسطة النقد الصحيح
- كشف علل الأشياء ومسبّباتها
- تحكيم النَظر والبصيرة واعتماد المنهج النقدي لإدراك الحقيقة.

كلّ هذه المناحي المنهجية الخلدونية تحيلنا على قراءة النص التاريخي قراءة معرفية تجمع بين الإكتشاف والتأويل حيث يتجلّى من خلالها تسلسل منطقي في عمليات الإدراك الفكري من حصر للمعنى وتجلية للفهم ومحاصرة المؤرّخ داخل النصّ وخارجه وكيفية إنتاج النصّ حيث يكون هذا التعامل ضمن أربعة محاور أساسية تسائل النصّ وتنقد محتواه وهي:

- اتجاه بنيوي تحليلي يهتمّ بنفسية المنتج وزمانه ومكانه
- استقصاء أدبي معرفي يرصد الأسلوب وفنون اللّغة والتعبير
- تحليل شمولي توظيفي غايته التفكيك وإعادة التركيب

- نقد معرفي يهدف الى تجلية الحقيقة عن طريق المقارنة والمقاربة

كلّ هذه الأركان تمثّل العمود الفقري للعملية التأويلية، خاصّة إذا أضفنا إلى ذلك ما تتميّز به منهجية البحث التاريخي المطبقة لدى المسلمين من نقد للأصول والمصادر والمراجع والوثائق يشمل مرحلتين:

- مرحلة النقد الظاهري: وترمي إلى إثبات صحّة أصل النصّ التاريخي وكشف مقوّمات شخصية المؤرّخ بخلفياته الزمانية والمكانية ثمّ إجراء عملية مقارنة ومقاربة بين مختلف النصوص لتحديد العلاقة بينها

- مرحلة النقد الباطني: وتركّز على التحليل والتعليل وتفسير الظواهر تفسيرا علميا قصد إدراك المعنى الحقيقي للخطاب التاريخي من خلال مقاصده اللّغوية والنفسية الخفية.

- مرحلة القراءة المنتجة والمبدعة التي تجمع بين الفهم والإدراك والوعي بحقيقة الوقائع.وتمثّل هذه المرحلة خطوة أساسية ومصيرية في التعامل مع النصّ باعتباره الشاهد على العصر والمعبر عن بقاياه.

إنّ القراءة فعل ذهني وإنجاز عقلي يتجلّى من خلال استعداد القارئ الذي يعيش لحظات استكشاف هائلة لدى التقائه بالنص، باعتباره أبرز آلية تتحقّق من خلالها القراءة المتكاملة التي تستجيب لمواصفات الوعي بالحقيقة واستحضار وسائل التدبّر التي اشترطها ابن خلدون [15] هذه القراءة التي تمثل الصدمة المعرفية الأولى لا تستقيم إلا إذا توفّرت لها المعطيات الآتية:

- التعامل الواعي مع النص (التجرّد من كل الخلفيات والأراء والعقائد المتحكّمة فيها أهواء النفس وانحراف المقصد)

- استنطاق مركبات النص ومساءلة معانيه (نقد النسق اللّغوي أوّلا ثمّ التدبّر في أفق تشكله المعرفي من خلال بنيتيه الواضحة الدلالة والخفية)

- ممارسة حقّ التفكيك والتركيب للحدث في نطاق نظام بنيوي نقدي وفلسفة تأويلية (ذلك أنّ التعامل مع عناصر النّص في مستوى بناه الداخلية تفكيكا وتركيبا يمكّن المؤرّخ من تحقيق قراءة تأويلية تساهم في إعادة تشكيل الوحدات المعرفية.)

- البناء التأويلي للحقائق والمعارف (محاولة إدراك علّية القصد والرؤية الشمولية الأمثل) التي تساهم في تجلية بعدين:الحقيقة ضمن المعرفة التاريخية، والحقيقة ضمن حركة التاريخ.[(16)]

- انتاج النص الجديد (خاتمة الدورة المعرفية)

بهذا الفهم لعملية القراءة النقدية التي تستجيب لمتطلبات الوعي الذي نظّر له ابن خلدون نتوصّل الى الإكتشاف والإستنطاق ثمّ التحليل والتفكيك وبذلك نضمن للعملية التأويلية الغاية المعرفية المتكاملة التي يتمّ استخراجها من بين التفاسير والآراء المتضاربة، ذلك أنّ فلسفة التأويل تسعى دائما إلى اجتثاث الموضوعي من حقل الآراء والتوجّهات المتضاربة (مثال ذلك: الفتنة الكبرى)

في طبيعة الخطاب التاريخي وإشكالية التأويل:

حقيقة الهرمنطيقا التاريخية:

اعتاد المؤرخون والدارسون في حقل المعارف التاريخية والحضارية العربية والإسلامية على التعامل مع النص التاريخي وما يحمله من خطاب تبليغي أحيانا وتوجيهي أحيانا أخرى التركيز على الدلالة المعنوية التقريرية التي يبوح بها ظاهر النص ويضمّنها المؤرخ رؤيته وتقييمه للحدث كواقع تحدّد انجازه من خلال عاملي الزمان والمكان، دون الظفر بآليات التحليل والتعليل والنقد في أغلب الأحوال ناهيك عن التأويل الذي يعتبر غيابه عاملا بارزا في مثل هذا المحفل المعرفي فإلى أيّ حدّ يمكن اعتماد التأويل أي الهرمنطيقا في مجال الدراسات والبحوث التاريخية وما مدى قدرة المؤرخ على تطويع آلياته كمنهج معرفي قادر على إيصال المؤرّخ الى الحقيقة دون الوقوع في متاهات تعدّد الآراء والنظريات التأويلية التي تزيد النص ارتباكا ولا تسهم في تجلية الحقيقة التي تعتبر روح البحث التاريخي الملتزم بصحة الإدراك ووضوح المقصد بعيدا عن التعقيد والتعسّف والإنتقاء والقفز على الحوادث.

إنّ التعامل مع مصطلح هرمنطيقا إيتيمولوجيا يحيلنا إلى كونه من أصل يوناني (نسبة إلى الإلاه هرمس) وهي في مفهومها تعني التعامل التأويلي أو القراءة التأويلية لكلّ ما هو مقدّس ومنه اشتقّت نظرية الفنّ الهرمنطيقي أي فنّ التعامل مع الكتاب المقدّس في فهمه وتفسيره [17] وقد تجسّمت فنون الهرمنطيقا في المجال اللاّهوتي وتعاطاها الكهنة والرهبان على امتداد الحضارات اليونانية والرومانية والبيزنطية في تعاملهم مع المقدّس باعتباره وسيلة تعامل مع الميتافيزيقا وكلّ ما هو مجهول في حقل الغيبيات من نصوص ورموز وشعائر. وقد عرف علم الهرمنطيقا تطوّرا كبيرا منذ القرن السابع عشر بعد أن احتضنته المدرسة الفلسفية الألمانية ليشكّل منحى معرفيا للإصلاح الديني في أوربا من خلال التعامل مع الكتاب المقدّس قراءة وتفسيرا ومحاولة العودة به إلى المعاني الأصلية دون تحريف أو تزييف أو زيادة. وفي عصر الأنوار التي انبثقت عن الثورة الفرنسية، أصبحت الهرمنطيقا تهتمّ بفنّ الكشف عن الحقيقة في المجالات اللاّهوتية والقانونية. وفي القرن التاسع عشر عرف هذا العلم على أيدي (الفيلولوجيين) نقلة نوعية ارتقت به إلى محاصرة أنماط المقاربات التي تضمن للخطاب قيمة موضوعية أقرب للفهم والدّلالة وأكثر تصويبا

لما حرّف من معاني ومحمولات النصّ، لتصبح الهرمنطيقا مذهبا معتمدا للفهم والتفسير. وبانجلاء عصور الحداثة وما بعد الحداثة تشكّلت في الأفق المعرفي الغربي أدبيات هرمنطيقية شملت كلّ مجالات العلوم الإنسانية لتصبح فلسفة نقدية ومن أبرز اهتماماتها التاريخ والنقد التاريخي.

وفي نفس الإتجاه استعمل المسلمون التأويل في التعامل مع المتشابه من آي الذكر الحكيم وبرع في ذلك المفسّرون وأرباب الفرق الكلامية، ناهيك عن وروده في الأدبيات والفلسفة.

أمّا في مجال التاريخ (نظرا لأهميّة هذا الحقل) فإنّ الغرب ومن خلال تطوّر عصوره المعرفية، فإنّه نزّل الهرمنطيقا كأداة معرفية رائدة في حقل المعارف التاريخية واستعملها في نقد وتفسير النصوص التاريخية باعتبارها تحاكي دلالة المعنى لا دلالة اللفظ، فكانت التطبيقات الهرمنطيقية التاريخية قادرة على كشف خفايا النصّ في تجاوز مقصود للدلالة اللفظية وتركيز أساسي على:

- استجلاء المعنى الخفي عن طريق المقاربة النصية والقراءة الأفقية المقارنة للحدث التاريخي من خلال جمع عناصره من قراءات متعدّدة.
- اعتبار النصّ نتاج بيئة خاصّة وانتاج حالة نفسية واجتماعية معيّنة [18]
- التعامل مع النصّ وفق منطق الإستدلال وشيوع المعنى الأقرب للمنطق والدلالة والفهم
- اخضاع المحتوى لإرادة فلسفة التاريخ حتى يبقى أفقه مفتوحا تتعاقب فيه المعاني ويتساوى فيه السابق واللأحق من المفاهيم والإستنتاجات وبذلك يبقى النصّ التاريخي متجدّدا على مرّ الزمن وقابلا لإعادة النظر والقراءة والتأويل ولما لا (تأويل التأويل) مثلما يرى ذلك الفيلسوف المؤرّخ: " إنّ النصّ التاريخي هو دائما مشروع ناقص، يمكن أن نضيف إليه "[19]

كما ارتبطت الهرمنطيقا في الآداب والفنون الغربية وخاصة في مجال النقد التاريخي وفلسفة المعرفة التاريخية بأسماء عديدة أمثال:

- جادمر (GADAMER) صاحب الفلسفة الهرمنطيقية من حيث ارتباطها بالفهم والتعقّل والتفسير وأنّ مجالها لا يحدّده النصّ داخل بنيته الشكلية التي تستوعب الزمان والمكان وتعبّر عن خبرة صاحبه في إطار جدلية الذات والموضوع [20] كما يؤكّد أنّ الهرمنطيقا النقدية ترفض كلّ فراغ معرفي أو هوّة إبستيمولوجية مجرّدة تأتي في سياق الترابط بين الإرث الروائي والعلوم التاريخية أي بين مجرى الأحداث التاريخية والمعرفة الخاصة بالتاريخ لأنّ القطيعة بينهما كثيرا ما تؤدّي الى تعطيل المشروع الهرمنطيقي الرامي الى إدراك الحقيقة التاريخية وتأصيلها.

- ولهالم ديلتاي (Wilhelm DILTHEY) في بحثه عن إعادة تركيب عالم التاريخ ليدرك عن كثب بأنّ كلّ ما لدينا من تفسير عن الكون والحياة لا يتعدّى ما حفظته لنا الكتابة عن الوجود الإنساني. (21)
- بول ريكور (PAUL RICOEUR) الذي يتمسّك بالتوجه العقلاني الفلسفي للتاريخ ويعتبر حقيقته مستمدّة من أصول بنائه التي تقوم على الهرمنطيقا النقدية.(22)
- ماكس ويبر (Max WEBER) الذي يتمسّك بالنموذج المثالي في إدراك حقيقة التاريخ ويحيل الفهم الحقيقي إلى التفكّر في ماهية التاريخ وفي قوانين الوجود الذاتية.(23)
- ميشال دي سرتو (Michel De Certeau) الذي يرى أنّ روح العملية التأويلية تتمثّل في نقد الوثيقة التاريخية أو النصّ التاريخي، ومن هذا النقد تتجلّى الحقيقة التاريخية عندها يكشف عن التاريخ الذي يبرز من خلال التراوح بين التناصّ والفيلولوجيا.(24)

ومن خلال هذه النماذج والعينات نتبيّن مدى عمق المعرفة التأويلية للقضايا التاريخية في التراث النقدي الغربي وفي ضوء هذه المعطيات المنهجية الخاصة بالتاريخ سنحاول الإستفادة من التجربة الغربية مع الحرص على الإقتداء بالأطر والتوجّهات المعرفية التي تحكم الفكر التاريخي الإسلامي. كما سنحاول استقراء المقوّمات التي سنعتمدها في إطار عملية تحديد المنهجية التأويلية التاريخية سواء تلك التي يقدّم عناصرها ابن خلدون في تعريفه للتاريخ ونقده للمؤرّخين أو التي تنظّر لها المنهجية الغربية وسنجد أنفسنا في النهاية أمام ثلاثة عناصر أساسية لإنجاز العملية التأويلية وهي:

- المؤرّخ المؤسّس للنصّ التاريخي
- النصّ التاريخي الذي يحمل الخطاب التاريخي
- القارئ المتلقّي للرسالة التاريخية

هذه الأبعاد الثلاثة التي سنتعرض لها لاحقا تشكل أسس المعرفة التاريخية وتكوّن لها حقلا دلاليا خاصا لم يتعامل معه الدارسون والباحثون بنفس المعايير العلمية بل اختلفوا في تقييمه وسبر أغواره حيث غرقت المفاهيم والإستنتاجات في متاهات الدلالات اللّفظية أو تقوقعت داخل سلطة النصّ وتوجهات منتج النصّ.فما السبيل الى اعتماد فلسفة هرمنطيقية نقدية تكون أقرب للمنطق والحقيقة في تعاملها مع محمول النصّ عامة والنصّ التاريخي على وجه الخصوص ؟

الهرمنطيقا والخطاب التاريخي:

يتبلور مفهوم التاريخ ورسالته من خلال التأكّد من فضل علمه الذي يقول عنه ابن خلدون:" إعلم أنّ فنّ التاريخ فنّ عزيز المذهب جمّ الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتّى تتمّ فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا ..."(25) وتضيف الدّراسات الحديثة في تعريفها للتّاريخ بكونه " الذاكرة الجماعية ومستودع التجارب التي من خلالها ينمّي الناس الوعي بهويتهم الإجتماعية وتوقّعاتهم المستقبلية " (26) ومن هنا كان الخطاب التاريخي مشحونا برسائل الوفاء والعبرة ملمّا بخبرات السابقين ومبرزا للحظات النّصر والهزيمة التي نعم بها الإنسان أو تألّم منها في لحظات معيّنة من عمر الزمن من خلال ارتباطه بذاته وبالجماعة: لقد ظهر اخيرا مع دراسة عصر النهضه،اتجاه للعودة إلى الاهتمام بالظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية لانتاج وإعادة انتاج الأدب والنتائج المترتبة على ذلك: فكتابة وقراءة النصوص بالإضافة إلى إجراءات تداولها وتصنيفها وتحليلها وتدريسها تجري إعادة بنائها باعتبارها أشكال من العمل الثقافي يحددها التاريخ وتحدده ويعاد تغيير القضايا الجماليه والأكاديمية الواضحة على أساس ارتباطها العضوي والمركب بالخطابات والممارسات الأخرى.تلك الإرتباطات تشكل شبكات اجتماعية يجري داخلها تشكيل الذوات الفردية البنى الجمعية بصورة متبادلة ودائمة(27)

إنّ رسالة التاريخ المشحونة بأنماط كثيرة من ضروب الخطاب تجعل المؤرّخ أو الدارس لهذا الحقل أكثر حذرا وحيطة في إدراك مفهوم التاريخ وأغراضه وأهدافه ومناهجه لأنّ التاريخ بالأساس يعتبر معرفة تراكمية تستوجب الفحص الدقيق لما تحمله من معاني وما تبلّغه من مواقف وقيم تتشكّل بواسطتها المعرفة التاريخية التي تقوم على نظام معرفيّ خاصّ بالتاريخ من حيث الفلسفة والإدراك سواء تلك التي عبّر عنها أصحاب المذهب الظاهراتي الفينومنولوجي أو الفلسفة الوضعية التي تحاول التركيز على الوقائع اليقينية متجاوزة التجريد في تجلية حقائق الأسباب المطلقة دون التفريط في مواقف الفلسفة المثالية وتعاملها مع قضايا الزمان والمكان في مفهومها التاريخي(28).
ولا شكّ أنّ هذه العملية الدلالية المحدّدة لرسالة الخطاب التاريخي تجعل الجانب المعرفي اليقيني عرضة للإنتكاسة إذا غاب إحكام المنهج أو ساءت عملية التفسير أو تداخلت الرؤى والنظريات وتزاحمت مستويات الإستنتاج وتقلّصت مساحة الحقيقة. في هذا المجال تواجه المؤرّخ صعوبات عديدة تخصّ المعاني والنتائج التي يمكن استنتاجها من النصّ أو من خارجه وهو المتضمّن للعدد اللاّمحدود من الحقائق الخاصة بالحدث الماضي. وإذا كانت الحقائق التاريخية تختار عند البعض أو تدرك فهما واستنتاجا عند البعض الآخر فإنّ طبيعة الموضوعية في البحث تتطلّب عملا فكريا قادرا على تجاوز عثرات النسبية المتيّهة للحقيقة أو المغيّبة للوعي المدرك في ثنايا الكساء اللفظي والتنميق الأسلوبي والتخفّي وراء الكلمات. ولتجاوز العقبات تكون الحاجة الى علم الهرمنطيقا أو

التأويل المعنوي أكيدة في إطار منهج يقوم على التفسير الكمّي والفهم الإستقرائي والإستدلالي الإستنتاجي وتصبح آلية الفهم ماسة لما لها من أهمّية في تجلية الحقيقة التي يفترض أن تكون ضائعة في ثنايا الماضي السحيق والتي تتطلّب حزما وعزما لا مثيل لهما لإحضارها وإعادة تركيبها.

هذه الأهداف التي يتضمّنها الخطاب التاريخي تتشكّل من خلال تكامل الجدل المعرفي للعناصر الثلاثة التي حدّدناها سابقا وهي: (النصّ والمؤرّخ والمتلقي). إلاّ أنّ تنظيم العلاقات بين هذه المكوّنات عن طريق التأويل لا يخلو من الصّعوبات المنهجية والأدلّة المنطقية والآليات العملية بغية تجاوز هوّة الأخطاء المنهجية والنظرة النسبية والإبتعاد عن الإنتقاء والقفز على الثوابت. فكيف يمكن للهرمنطيقا أن تفي بهذه الأغراض وإلى أيّ مدى نكون في مأمن من السلبيات والأخطاء التي يوقعنا فيها التأويل ذاته ؟

إنّ عملية تأسيس قواعد للهرمنطيقا ليست بالأمر الهيّن والسّهل نظرا لكون النسبية تبقى دائما السّمة المميّزة للعمل البشري، كما أنّ غياب نموذج مثالي لهذه العملية يحدّ من إمكانية تجاوز كلّ السلبيات المنهجية التي ترافق عملية الفهم والإستنتاج ومحاصرة الحقيقة داخل النصّ وخارجه والتصرّف في تأصيلها بكلّ حرية من قبل الباحث في حقل التاريخ أو المؤرّخ عند ممارسة العملية التاريخية، وهي الهرمنطيقا التي ينفي عنها بول ريكور إرادة الفهم الحرّ ويعطّل حرية الهرمنطيقا [29] كما يحيل ابن خلدون هذا الفهم على حاجة المؤرّخ إلى " مآخذ متعدّدة ومعارف متنوّعة وحسن نظر وتثبّت يفضيان بصاحبهما إلى الحقّ وينكّبان به عن المزلاّت والمغالط " [30] فإلى أيّ مدى يمكن للهرمنطيقا أن تكون تجربة رائدة في مجال فهم النصّ التاريخي ومدركة لفلسفة خطابه مع الأخذ بالحرية والإلتزام بنواميس الإدراك الصحيح للحقيقة وفق المنظور الخلدوني ؟

إنّ مسألة قياس الغائب على الشاهد في قضية التعامل مع الخطاب التاريخي فهما وإدراكا تفتح الباب على مصراعيه أمام التطبيقات الهرمنطيقية التي تقوم على مقوّمات القياس النقدي للتّاريخ والتي يطرح بعضها ابن خلدون حيث يقول: " ... ولا قيس الغائب منها بالشّاهد والحاضر بالذّاهب فربّما لم يؤمن فيها من العثور ومزلّة القدم والحيد عن جادّة الصّدق ... "[31] من هذا المنطلق تصبح الهرمنطيقا بابا من أبواب الكشف عن الحقيقة التاريخية ومسلكا من المسالك التي تيسّر الولوج الى اليقين المعرفي في حقل التاريخ من حيث الإلمام بكلّ الأحوال الماضية، لا بنفس الطريقة التي صاغها المفسّرون ولا رجال الأدب والفنّ بل بالكيفية التي تناسب ماهية التاريخ. فهؤلاء اللّذين سبق ذكرهم اعتبروا التأويل بابا من أبواب استنطاق النصّ ومساءلته وسبر أغواره والخروج به من سجن الدلالة اللّفظية القاتلة للمعنى وحرية التحليق به في

أفق الفنّ المطلق الذي يجعل الزمان والمكان متجدّدين على الدّوام. وإذا كان هذا الحقّ شرعيا بالنسبة لهؤلاء فلما نحرم المؤرّخ هذا الحقّ ونسدّ أمامه طريقا يبتغي من ورائه الخير المعرفي والمنافسة العلمية للإرتقاء بعلم التاريخ إلى مصاف العلوم ذات المقاصد اليقينية. وإذا أردنا لهذا المنهج المعرفي تأصيلا في مجال التاريخ فإنّه يتحتّم علينا إعداد العدّة الضرورية لتطبيقاته حتى نوفّر الجانب الأكبر من المصداقية وسداد الرّأي وحسن التوجيه.

لا شكّ أنّ المادة التاريخية من حيث مكوّناتها الشكلية لا تختلف عن الفنون والمعارف الأخرى حيث تجمع في طيّاتها نصّ الخطاب المؤمّن من قبل الجهة المنتجة والموجّهة له إلى جانب المتلقي لهذا الخطاب.

هذه العناصر توفّر للتطبيقات الهرمنطيقية في مجال التاريخ نفس الأسس التي اعتمدها غيرنا في العلوم سالفة الذّكر كما قال بها المنظّرون في مسألة الهرمنطيقا الّذين سعوا إلى تأسيس هرمنطيقا نقدية أحيانا وهرمنطيقا فلسفية أحيانا أخرى. أمّا العناصر المعتمدة في هذا المجال فهي الآتية:

- **سلطة النصّ**: (أي قصدية النص) حيث يكون النص التاريخي من صنع المؤرّخ لغة ودلالة ومفهوما ويحتاج إلى آليات خاصّة لاستنطاقه واكتشاف مكوّناته وبذلك يكون التأويل الوسيلة المثلى لتحقيق هذا المطلب: " ان النص الذي يفصل الأشياء للقارئ لا تترك له لا قبولها أو رفضها سوف يقلل من درجة المشاركة ذلك أن القارئ لا يعتبر النص الذي ساهم هو في تشكيل قصده، نصا حقيقيا، إلا حينما تتاح له فرصة المشاركة " [32].

- **مكوّنات النصّ**: وتشمل لغة المكان والزمان الذي تمّ فيه انتاج النصّ حيث تتحدّد المعاني وفق حاجة المؤرّخ وإملاءات العصر السياسية والثقافية والإجتماعية والعقائدية والفلسفية،ذلك أنّ النصّ صورة عصره ومرآة زمانه.

- **طبيعة النصّ**: ويشمل مكوّناته الداخلية غير المنطوقة المحمّلة بالأخطاء والتجاوزات والمغالطات التي سعى من خلالها المؤرّخ ذاته إلى تأويل الأحداث فأنتج لنا أحداثا مؤوّلة يجب التعامل معها بأدوات القراءة النفسية التي يوصي بها (ميشال دي سرتو) [33] حتّى نتجنّب مزالق الفهم المعرفي للقضايا التاريخية التي تتنزّل ضمن القراءات الباطنية، أو الكشف الصوفي، أو الجنوح العقلي لدى المعتزلة.هذا ما جعل طبيعة النصّ تكتسي غموضا معرفيا يجب على المؤرّخ التعامل معه بحذر ويمكن أن تكون (نصوص الفتنة، محنة الجماعة زمن الإختبار المعتزلي حول خلق القرآن ... وغيرها) خير دليل على ذلك، وتصبح آليات التأويل من الأدوات الضرورية لإدراك الحقيقة. فلو قارنا نصوص الفتنة بين كلّ من البلاذري

(ت279هـ) واليعقوبي (ت 292هـ) والطبري (ت 310هـ) باعتبارهم أقرب إلى فترة الخلفاء الراشدين وحاولنا تتبّع حقيقة الأحداث ضمن مباحث ابن خلدون (ت 808هـ) فإنّنا نجد أنفسنا أمام زخم هائل من المفارقات التي لا تتمّ معالجتها إلاّ تأويلا [34]

- **ميتافيزيقا النصّ**: ويعتبر هذا الجانب من أبرز الحواجز التي تحجب عنّا رؤية الحقيقة التاريخية وتجعلنا نتعامل مع هذا النصّ بخلفية مقدّسة نقبل من خلالها كلّ أشكال المغالطات التي ينبّه إليها ابن خلدون قائلا: " وكثيرا ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وأئمّة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرّد النقل غثّا أو سمينا ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة ... " [35]، وبهذه الهيمنة الميتافيزيقية يكتسب النصّ شرعية القداسة وتتعطّل أمامه آليات البحث والتدبّر ويستسلم الباحث لمشيئة التحريف والمنافاة لحقيقة المعرفة التاريخية. إنّ أهمّ ما تؤكّده مقولات (بول ريكو) تتركّز حول فكرة انفتاح النصّ وجعل الخطاب التاريخي حمّالا للآراء قابلا للتدبّر متجدّد المعاني بعيدا عن الإنغلاق والتقوقع داخل دائرة التسلّط والرفض [36] الناتجين عن عوامل انتاج النصّ في أبعاده الفكرية والعقائدية الروحية مثل التي ذكرها ابن خلدون والمتعلّقة بتفسير المؤرخين لسورة الفجر وحديثهم عن مدينة (إرم) التي تبسّط في وصفها المفسّرون وقدّموها على أنّها حقائق تاريخية أمثال: الطبري والثعالبي والزمخشري [37]فهذا مشهد تاريخي غير عادي لا يجب أن يصمت أمامه المؤرّخ لكونه يتجاوز الحقيقة ويجانبها.

عندها يصبح التأويل حقّا مشروعا،كما يحقّ للمؤرّخ استعمال كلّ الأدوات المساعدة على إدراك الحقيقة التاريخية من علوم ومعارفة مساعدة ومكمّلة وهذا أمر مشروط لاكتمال مقاصد الحكمة وانجاز مطالبها " ... يحتاج صاحب هذا الفنّ(أي التاريخ) إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار ... " [38] هذه الأخطاء وغيرها شائعة في كتب التاريخ كما أنّ عوامل التحريف لدى المؤرّخين المسلمين كثيرة [39] وتصدّى لمعالجتها أبرز العلماء لكشف بعض أشكال الزيف والمغالطات التي لحقت أحداث صدر الإسلام الأول [40] كما بيّنوا آثار المذهبية والتشيّع في تحريف المقصد الأسمى للتاريخ [41]

نحو هرمنطيقا تاريخية عربية:

انطلاقا من تراثنا العربي الإسلامي وما يحفل به من نماذج ثرية في مجال علم التأويل في مستوى العلوم الدينية وآراء الفرق والمتكلّمين أو ما تحفل به حقول الفنون واللغة وآدابها، ومن خلال رصدنا لتجارب الغرب في مجال الهرمنطيقا التاريخية سواء في تطبيقاتها النقدية أو في معارفها الفلسفية، واعتمادا على هذه المعطيات هل يمكننا صياغة منهجية تأويلية قادرة على التعامل مع النصّ التاريخي العربي الإسلامي، وتأسيس آليات معرفية لعلم الهرمنطيقا تأخذ بتجارب

الآخرين وتراعي خصوصيات الخطاب التاريخي العربي الإسلامي قصد تأمين الفهم الواعي للتاريخ وحتّى تكون العملية مقدّمة لما يروّج له من إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي.

إنّ أمر تأسيس هذه المنهجية لا يخلو من مجازفة إلاّ أنّه إذا التزمنا ببعض الضوابط المنهجية والآليات المعرفية الثابتة والقادرة على انجاز شروط الوعي والإدراك التاريخيين فإنّه يمكننا الإقتراب أكثر من الموضوعية التاريخية التي ظلّت حلما يراود المؤرّخين قديما وحديثا. لكثرة ما اعتور هذا الحقل من مغالطات وهفوات لا تغتفر: " حتّى صار فنّ التّاريخ واهيا مختلطا وناظره مرتبكا ... " [42]، فما هي ضوابط تأسيس هرمنطيقا تاريخية نقدية وفلسفية ؟

تختلف الهرمنطيقا التاريخية عن هرمنطيقا بقية المعارف الأخرى نظرا لخصوصيات الحقل التاريخي وطبيعة مادته المعرفية وهذا من شأنه أن يسبّب مشاكل بحثية تتفاعل فيها قضايا عديدة من أبرزها:

- مسألة قياس الغائب على الشاهد وتحيين الزمان والمكان
- ذاتية المؤرّخ وسلبيات الإنغماس في الحاضر وصعوبة الإنعتاق منه
- تدخّل الأنساق الثقافية والمعرفية في مساءلة المؤرّخ للنصّ
- صراع المؤرخ مع جبرية العلاقة بالنص وحرية الإنعتاق منه
- سيطرة الخلفيات الفكرية والأهواء الذاتية التي تبعد المؤرخ عن الموضوعية
- الإنطلاق من الأحكام المسبقة ومحاولة معاني ما قبلية للأحداث والشخصيات التاريخية وبالرغم من وجود هذه المزالق والصعوبات فإنّه يمكن الإجماع على الخطوط العريضة لمنهجية الهرمنطيقا على أن تلتزم بأساسيات البحث ومستلزماته والتي ستطبّق على ثلاث محاور: منها ما هو خاص بطبيعة النصّ شكلا ومضمونا، ومنها ما يتعلّق بالخطاب وتأويله، ومنها ما يتعلّق بالمؤرّخ ذاته.
- **خصوصيات النصّ المؤوّل:** إنّ مسألة البناء المعرفي للنص مسألة مطلوبة وعلى غاية من الأهمية وعليها تنصبّ اهتمامات المستفيد من النصّ التاريخي. ذلك أنّ الطبيعة المادية للنصّ توفّر لنا القراءة المترابطة والفهم المتكامل والإستنتاج الهادف حيث تتكامل الأرضية المثلى لممارسة العملية التأويلية. إنّ بنية النصّ تؤمّن مسالك الفهم والمراوحة في تعدّد القراءات وتوفّر مساحة أكبر للتعاطي مع آليات الهرمنطيقا، وكلّما كانت صياغة النصّ محكمة والدلالة حاضرة كانت عملية الإدراك المعرفي أكثر حزما وبالتالي يصبح التعامل مع النصوص المختلفة أسهل وأكثر وضوحا خاصة إذا أردنا أن نقوم بقراءة متقاطعة من أجل رصد فكرة معيّنة أما

إذ كانت النصوص متضاربة في رموزها ومعانيها وأفكارها مبعثرة وتعابيرها فجة (مثال ذلك: الكتابات الأندلسية زمن الهجمة المسيحية الشرسة التي نتجت عن حرب الإسترداد حيث يجد المؤرّخ لهذه الحقبة نفسه أمام كمّ هائل من النصوص المتّسمة بالتحريف وعدم وضوح التعبير،يغلب عليها التقطّع واللّغة المبتذلة[43] فإن التعامل معها يقتضي استعمال مقدار هائل من المعارف يقضي على مساحة التيه والمراوغات الدلالية داخل النص. هذه المواصفات تعطل عملية التأويل ولا تسمح للمؤرّخ باستكناه المعاني وتأويلها ومعرفة أبعادها الفكرية والإجتماعية والسياسية والدينية.. عندها تصبح عملية بناء النصّ مطلبا أساسيا لأنّ الفهم الذي تنبني عليه الهرمنطيقا والذي يعدّ عملية فكرية ملازمة لا يتمّ إلاّ بتكامل بناء النصّ وبها يتمّ الإكتشاف والتأويل وكلّما اكتملت شبكة الرؤى والعلاقات وأحكم بناء النصّ أثمرت عملية الإستقراء لأنّ النصّ يكتسب كماله من تماسك لغته ومتانة أسلوبه وحضور صاحبه، وكلّما توفّرت إمكانيات استنطاق البنى الرمزية والدلالية للنصّ كانت الحقيقة أكثر حضورا وأيسر محاصرة للتأويل الذهني. إنّ القراءة التأويلية للنصّ المحكم البناء تنتهي بإنتاج واستنتاج انطلاقا من كلّ المعطيات واعتمادا على كلّ المستويات البنيوية والتفكيكية والتركيبية التي تخضع لها القراءة الهادفة التي لا تكتمل إلاّ باكتمال بناء النصّ وتماسكه. إنّ النصّ التاريخي العربي الإسلامي لا يخرج عن أدبيات معيّنة شاعت على امتداد فترات كتابة التاريخ في البداية ثمّ تطوّرت بتطوّر الحضارة العربية الإسلامية لتترك انتاجا متماسك البناء يحمل سمات صاحبه أولا ثمّ خصائص عصره ثانيا، خاصة إذا عرفنا أنّ كلّ المؤرّخين تحمل كتاباتهم مسحات أدبية (ابن مسكويه وابن الخطيب) أو فلسفية (ابن خلدون) أو فقهية اجتهادية (الطبري)، وهي كتابات يجب التعامل معها عقليا بتسليط القراءة التأويلية للفوز بنظرة شمولية غايتها تجلية الحقيقة التاريخية. وبهذا يكون النصّ القابل للتّأويل هو الذي تنطبق عليه عمليات الإكتشاف والإستنطاق والتحليل والتفكيك، وهو القادر على رسم دورة معرفية متكاملة تختزل صيرورة الزمن وسيرورته، وفناء المكان وامتداده وغياب الإنسان وحضوره أي قراءة النصّ المفتوح على عصره وعلى بقية العصور. هذا البناء المتماسك يعطي القارئ المجال العقلي اللاّزم للتّأويل على غرار الخصائص الفنية التي يتميّز بها النصّ القرآني والأدبي والصّوفي. وإذا حاولنا تطبيق هذه المنهجية على بعض الأعمال التاريخية فإنّ خير مثال يمكن استعماله هو: تأويل النصوص الخاصة بالفتنة الكبرى، وبالأخص النصوص المتعلّقة بأسباب الفتنة، اعتمادا على ما أورده كلّ من البلاذري واليعقوبي والطبري وابن خلدون ونظرا لما تتميز به هذه النصوص من أحكام في البناء المادي والمعنوي فإنّ المطاعن التي أوردها المؤرخون تتمحور حول الأسباب الآتية:

- حجج السّاخطين على الخليفة عثمان بسبب محاسبته للصحابة

- كثرة منح عثمان وأعطياته
- الأخذ من بيت مال المسلمين
- محاباة عثمان لأقاربه
- لوم عثمان على بعض البدع التي استحدثها كتقديم الخطبة في العيد على الصلاة
- جمع الأمة على مصحف واحد ورفض عبدالله بن مسعود تسليم مصحفه
- كثرة إنفاقه على زيجاته
- إسراف الخليفة على نفسه ومظاهر البذخ التي ميزت حياته
- الإختلاف في أمر إقامة الحدّ على عبيدالله بن عمر بن الخطّاب الذي انتقم لمقتل أبيه
- ردّ الخليفة للحكم بن العاص بن أمية إلى المدينة، وقد كان الرسول صلّى الله عليه وسلّم قد أمر بتغريبه مع ولده في الطّائف لما لحقه منه من إيذاء
- قراراته بشأن ولاّة الأمصار
- انحياز الخليفة إلى الأمويين
- أمر توسيع الحمى
- فرض الزكاة على الخيل
- استعمال القوّة في توسيع أنصاب الحرم سنة 26 للهجرة

هذه خلاصة الأسباب التي أجّجت نار الفتنة بين المسلمين وما آلت إليه من نتائج أثّرت في مجريات أحداث التاريخ الإسلامي وقد تناولها كلّ من اليعقوبي والبلاذري والطبري وابن خلدون بالدّرس والتمحيص دفاعا عن الخليفة أحيانا واتهاما له أحيانا أخرى. لا شكّ أنّ هذه الروايات تعتبر القاعدة الأساسية لدراسة ظاهرة الفتنة، كما أنّ التعامل مع مختلف عناصرها ومكوّناتها يبعث على الحيطة والحذر في مستوى القبول أو الردّ. فهل بإمكان التأويل التاريخي أن يساعد المؤرّخ على إيجاد مخرج علمي منهجي أقرب إلى الوفاق والحقيقة ؟

إنّ دراسة هذه النماذج تجعلنا في البداية أمام ثلاثة نماذج من ميولات المؤرّخين:

- تحميل الخليفة مسؤولية أخطائه (مواقف اليعقوبي والبلاذري)
- الدفاع عن الخليفة (الطبري)

- الإعتدال في الحكم (ابن خلدون)

هذه المواقف تضعنا أمام إشكاليات عويصة في مسألة التعامل مع النصوص، لا من حيث نقد مصادرها وصحّة أصولها بل من حيث دقّة معلوماتها وحصافة رأي أصحابها ومدى التزامهم بأدبيات الحقائق التاريخية والإبتعاد عن الزيف والتحريف.

إنّ عملية قراءة النصوص ومن ثمّ تأويلها لا تتمّ إلاّ بالآتي:

- احترام مرجعيات وضوابط التأويل التي تبسّطنا في شرحها سابقا
- عدم الدخول في متاهات الأنماط الدلالية التي يغالي فيها العقل وتمنعه من الوصول إلى الغايات المحدّدة، وذلك بتحديد دلالة النصّ كونه أمر مطلوب والتحديد أصل البناء في عملية التأويل [44]

لذا فإنّ عملية فهم النصّ ضرورية من خلال نوايا صاحبه واعتمادا على ما يريد إبلاغه (أي قصدية النص وقصدية صاحبه). كما أنّ عملية الفهم تعتبر إعادة إنتاج النصّ ومنه الخطاب التاريخي بكلّ مقوّماته وذلك من خلال ما حضر لدينا من نصوص ووثائق مع مراعاة الظرفية الزمنية التي أنتج فيها النصّ واحترام خصائص الإنتاج المعرفي للعصر الذي ينسب إليه.

وإذا عدنا إلى النموذج الذي صغناه سلفا والمتمثّل في مواقف المؤرّخين ممّا نسب إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فإنّنا نكتشف ما من شأنه أن يوفّر لنا قاعدة تفكير عملية لإنجاز اللحظة التأويلية من خلال مقارنة النصوص ومقاربتها وممارسة النقد المتعالي الذي لا ينشد إلاّ الحقيقة وبكلّ تجرّد عن الأهواء، من ذلك نذكر:

- مواقف البلاذري واليعقوبي وانتقاداتهم لسياسة الخليفة والطّعن في تجاوزاته من منطلقات مذهبية وخلفيات فكرية وثقافية معيّنة، وذلك من خلال اعتمادهم على المصادر الآتية:

الزهري: (ت 124 هـ) محدّث ومؤرّخ من المقرّبين لبني أميّة

عوانة بن الحكم: (ت 147هـ) موثوق في رواياته ولم يجرّح، عثماني الهوى شديد التعلّق ببني أميّة.

أبومخنف: (ت157هـ) أسرته علوية وهو من أعظم مؤرّخي الشيعة، إخباري وضعيف الأسانيد وغير موثوق به.

هشام بن محمد الكلبي: (ت 204هـ) متشيّع وقليل الثقة، مقرّب للخلفاء العباسيين.

الواقدي: (207 هـ) ضعّف إسناده المحدّثون وهو من المقربين للعباسيين.

الهيثم بن عدي: (ت 209 هـ) إخباري ونسّاب جرّحه المحدّثون لكثرة تساهله في الإسناد، وهو على علاقة متينة بالعبّاسيين.

علي بن محمد المدائني: (ت 225 هـ) إخباري ومحدّث غير مطعون فيه، على علاقة وطيدة بالعباسيين.

وقد اعتمد البلاذري كل هذه المصادر إلاّ أنّ اليعقوبي اكتفى منها: بالواقدي والمدائني وأبي مخنف. (45)

- مواقف الطبري المتعاطفة مع الخليفة حيث يعتبر الطبري من العلماء المتعفّفين، فقيه ومحدّث ومؤرّخ.من أبرز مؤلّفاته تاريخ الرسل والملوك، وقد أورد فيه أخبار الفتنة اعتمادا على روايات: الزهري، عوانة بن الحكم، سيف بن عمر (ت 180 هـ)، الكلبي، المدائني.

- مواقف ابن خلدون المبنية على التحليل والتعليل للظاهرة التاريخية خاصة فيما يخصّ نشأة الفكر المعارض للخليفة وخلفياته الاجتماعية والتاريخية، وهذا في حدّ ذاته ضرب من التأويل والقراءة النقدية، وبالنظر لتأخّر ابن خلدون زمنيا فإنّه اعتمد كلّ الروايات ولا يبدو هذا في ذكر مصادره إلاّ أنّه يوجّه بعض الانتقادات لهذه المصادر، حيث يقول: "... في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الأثبات ... " (46)

فإذا كان المؤرّخون السابقون ينظرون إلى الأحداث من زاوية المتهم والبريء فإنّ ابن خلدون يسعى لمعرفة الكوامن والخلفيات الخارجة عن الحدث عن طريق تعليل الأبعاد النفسية وتغيّر الظروف والمستجدّات، إلى جانب إبراز سلبيات الإباء والعزّة والمنعة كعناصر مشكّلة للشخصية العربية الإسلامية في عصر الخلافة.

وإذا كان المؤرّخون السابقون يتعاملون مع الظاهرة في إطار صياغاتها المادية، فإنّ ابن خلدون ينظر إليها من جانب القبول والرفض والقيمة الاجتماعية والمكانة كمرجع أساسي تحدّد هوية الأطراف المتنازعة.

يقول ابن خلدون: "فلمّا انحسر ذلك العباب وتنوسي الحال بعض الشّيء وذلّ العدوّ واستفحل الملك، كانت عروق الجاهلية تنبض ووجدوا الرياسة عليهم من المهاجرين والأنصار من قريش وسواهم، فأنفت نفوسهم منه ووافق أيّام عثمان، فكانوا يظهرون الطّعن في ولاّته بالأمصار والمؤاخذة لهم باللّحظات والخطرات والإستبطاء عليهم في الطاعات والتجنّي بسؤال الإستبدال منهم والعزل ويفيضون في النّكير على عثمان ... " (47)

إنّ قراءة موقف ابن خلدون تجعلنا نخرج من دائرة الجدل الذي رسمته قاعدة _ الفاعل والمفعول به _ (48) والتي سلكها كلّ المؤرّخين في تعليل الأحداث التاريخية، وارتقى بفهمه إلى

مساءلة الدوافع الأساسية التي تقف وراء الفاعل، وهي نفسية واجتماعية وانتروبولوجية ... تتبنّاها العملية التأويلية لتكشف عن علاقة الشخص في سيرورته التاريخية بمتافيزيقا الأحداث – وهذا ما من شأنه أن يعطينا بعدا استكشافيا جديدا.

هذه النصوص تجمع نقاط اتفاق ونقاط اختلاف ومن هذا الجمع يبدأ العمل التأويلي.

إنّ كلّ النصوص التاريخية بكلّ إيجابياتها وسلبياتها تساعدنا على اختراق حجاب الحقيقة، وتعطي للمؤرّخ فرصة أكبر للإنعتاق والتحرّر من سلطة النصّ الواحد، والنظرية المفردة المتقوقعة داخل الدوافع الذاتية والعوامل الإنسانية في بعديها الزماني والمكاني.

- هذه المواصفات التي اشترطناها لإخضاع النصّ التاريخي للعملية التأويلية وفهم محمول خطابه لا تطبّق أساسا على بقية الأسانيد التاريخية كالوثيقة أو الرسالة أو الفتوى أو العهود والإلتزامات ذلك أنّ هذه النماذج يتوقف التأويل فيها دلالة المصطلح والعبارة ويتسع حقل التأويل فيها ليشمل الكلمة والجملة والفقرة وهذا يتطلّب قراءة خاصة تهدف إلى إدراك محمول الكلمة قبل توظيفها في إطار القراءة والفهم الشموليين.

- **تأويل الخطاب التاريخي:** إنّ التعامل مع المعنى الإجمالي للنصّ عملية معقّدة لكنّها مفيدة جدّا في مستوى التعامل مع روح النصّ حيث تختفي الرسالة التي يسعى إليها المؤرّخ جادّا ويحاول اكتشافها بكلّ الوسائل والسبل. إلاّ أنّ إدراك المعنى في هذه الحالة يتطلّب مواقف معرفية حاسمة تزكّي عملية التّأويل وتسمو بها إلى الإبداع والإبتكار حيث يتلازم بناء النص وسياقه في إطار ما يعرف بالنصّية التاريخية التي تنطلق من قاعدة التلازم بين كلّ العوامل التي ساهمت في إنجاز النص (من خصوصيات ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية وسلام وحروب ...) هذه المعاني لا يجب أن يتخلّى عنها المؤرّخ لا في فهمه ولا في تأويله باعتبارها من أبرز أدوات التنقّل بين مكوّنات نصّية التاريخ:" إنّني أعني بنصّية التاريخ أن أقترح، أوّلا، أنّنا لا نستطيع التوصّل إلى ماض كامل وصحيح، إلى وجود مادي معيش دون وساطة الآثار النصية المتبقية للمجتمع موضوع الدراسة، آثار لا نستطيع افتراض بقائها، باعتبارها عوارض محتملة فقط للعمليات الإجتماعية المركبة والعميقة، بل يجب افتراض ترتب تلك الآثار عنها، ثانيا، أن تلك الآثار النصية تخضع لعمليات وساطة ثانية حينما ينظر إليها باعتبارها "الوثائق " التي يقيم عليها المؤرّخون نصوصهم التي يسمونها " نصوصا تاريخية "[(49)] هذا البعد الثاني الذي يمثّل الوساطة إنّما يعبّر عن اكتمال البناء المنطقي للنص التاريخي الذي تسلّط عليه آليات الهرمنطيقا حتى تكتمل تاريخية النصّ التي تقوم على فهم الخصوصية الثقافية والقاعدة الإجتماعية لكلّ إنتاج معرفي يتحيّز في المكان والزمان. فالنصوص هي إنتاج للظروف وتعبيرات عنها وهي دائما محمّلة بالإحتمالات التي تجعل باب

التأويل مفتوحا على الدوام وغير قابل للغلق وهذه أبرز تجليات اكتشاف الماضي إذا أردنا أن نجعل له علامة تميّزه.[50] فمثلا إذا أردنا دراسة " محنة الجماعة " على أيدي المأمون زمن هيمنة مذهب الإعتزال فإنّ ذلك لا يتمّ إلاّ بقدر ما يجمع من نصوص العصر المعبّرة عن تلك الأزمة بمختلف تجلّياتها العقدية والسياسية والإجتماعية والأدبية والثقافية وهذا هو المطلب الأساسي الذي تعبّر عنه اليوم - التاريخية الجديدة –[51] هذا الواقع الذي يعبّر عنه النصّ يفرض على المؤرّخ الخطوات الآتية:

فهم النصّ التاريخي وتطبيق آليات القراءة الهادفة

تطبيق أساسيات المقاربة والمقرنة والتحليل والتعليل لتجلية حركة النصّ الداخلية

فلسفة النصّ والبحث عمّا أضمر من المعاني

التسلّح بالمعارف التاريخية اللّازمة لفهم النصّ

التوفيق بين سياقية النصّ وتاريخيته أي بين مرجعيته وخلفيته وبين خصوصية عصره.

الإبتعاد عن التناقض واسقاطات الحاضر [52]

مسايرة بنيوية النصّ ومقاربته لغيره من النصوص مع المقارنة واعتماد الفيلولوجية المعرفية الخاصة بالإدراك اللّغوي المساعد لعملية التأويل والمثبّت لقواعد الفهم المركّز.[53]

المؤرّخ والتأويل:

إنّ تعامل المؤرّخ مع النصّ التاريخي فهما وتأويلا يضع أمامه عدّة إشكاليات معرفية منها ما يعود إلى طبيعة النصّ، وقد أفضنا في ذكرها وبسطها سلفا، ومنها ما يتعلّق بقدرات المؤرّخ واستعداداته لممارسة هذه التجربة بصفة أقرب إلى الموضوعية. فالمؤرّخ يتعامل مع النصّ الذي يعتبر كائنا حيّا يتطوّر فهما واستنتاجا، فسلطته لغوية ورسالته ملزمة إنّما فهمه من أجل المقاصد.و للتعامل مع هذا النصّ يفتح باب التساؤل والإحتجاج كوسيلة تبادل بين نص الخطاب ومحتواه والمتلقي أي المؤرّخ وآليات إدراكه وفهمه. والنصّ، دائما يفرض هيمنة وتوجيها وسلطة على المتلقي، وعلى هذا الأخير محاولة فكّ الحصار وكسر السلطة والهيمنة. إنّ سلطة النصّ التاريخي (قصدية)[54] وتأويلها يعني انعدام التناقض بين منطق الواقع والمعنى المؤوّل وإلاّ يحصل التضادّ وتنتهي المصداقية. لذا يجب أن يراعي المؤوّل الشروط الآتية:

الإلتزام بالمعنى الدلالي للألفاظ في إطارها الزماني والمكاني

عدم إخضاع النصّ التاريخي لمقولات وتوجّهات (ماقبلية) أي إبعاد النصّ عن كلّ أصناف الإيديولوجية الفكرية والسياسية والعقدية.

الإبتعاد عن توجيه الخطاب نحو غايات تجعل من عملية التأويل سلطة تفرغ النصّ وتقتله.

مراعاة كلّ جوانب التراث المادية والمعنوية وعدم الخروج عن أخلاقيات التعامل مع النصّ واحترام مميزات الأزمنة والعصور: " ... فأمّا ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار فهو أسّ للمؤرّخ ... " (55)

سلوك المنهج التأويلي القائم على: (نظرية المعرفة التاريخية التي لا تستقيم إلاّ بالتحليل والتعليل والإستنتاج وهي الخطوات التي اتبعتها الهومنطيقا من (أرسطو) إلى (ديكارت) عندما كانت ذات صبغة دينية، ومن (ديكارت) إلى (كانت) عندما أصبحت علما يؤسّس لقواعد المعرفة.

التركيز على قصدية النصّ (رسالة الخطاب وغائية المنتج للخطاب) قصد إدراك شمولية المعنى من خلال خصوصيات النصّ.

المراهنة على المعاني ودلالاتها وعدم تجاوز حدود الموضوع وفرض ممارسات تؤدّي إلى إبطال العملية التأويلية والوقوع في مضان التأويل وتضارب آلياته.

التعامل بحياد وموضوعية وإلمام معرفي مع النصوص التاريخية في مختلف أشكاله وطبيعة مواضيعها: كالكتابات في المغازي والسنة النبوية الشريفة، والكتابات في أحوال الملوك والسياسة، والكتابات في المناقب والأولياء وكراماتهم والصوفية وحلولهم، والكتابة في عادات الشعوب وتقاليدهم، والكتابة في تاريخ الأدب وأعلام اللغة والفنّ ...

الأخذ بعين الإعتبار خصوصيات مكوّنات التاريخ والحضارة الإسلامية وعدم اتخاذ المناهج الغربية في التأويل (الهرمنطيقا) قياسا لكلّ شيء.

إذا حرصنا على هذه المقوّمات وأخذنا بعين الإعتبار آليات التطبيق المعرفي للهرمنطيقا باعتبارها فلسفة تحليلية ومنهج نقدي لتجلية الحقيقة التاريخية عند ذلك يصبح يقين المعنى يتقدّم المساءلة عن المفهوم ليتشكّل بناء _ منطق الهرمنطيقا _ في مجال التراث الهرمنطيقي الغربي الذي أسّس له كلّ من: ديلتاي، هايدجر، جادامير، هابرماس وآبل في منهجية ذات نسق تصاعدي انتقلت فيه الهرمنطيقا من إشكالية فهم المعنى إلى إشكالية ما سبق هذا المعنى أي الماقبلية، ورسمت بذلك ملحمة صراع ضدّ المفاهيم السائدة عامة والتي تحمل أحكاما ميتافيزيقية أو أسطورية صنعها العقل ثمّ انبرى يقدّسها.

لقد أصبحت الهرمنطيقا عندهم عملية إستكناه فلسفية استطاعوا من خلال تطبيقاتها مؤازرة الحقيقة التاريخية وسهّلت لهم في نفس الوقت إعادة تركيب التاريخ ثمّ تدقيقه. فإلى أيّ مدى يمكن أن نستفيد من هذه التجربة ؟ وأيّة حقيقة يمكن إدراكها ؟

الحقيقة في الحقل التاريخي كغيرها في بقية حقول العلوم الإنسانية نسبية، وتختلف من شخص الى آخر، إلاّ أنّها في مجال البحث التاريخي تبدو أكثر حدّة نظرا لطبيعة القضايا التاريخية وأصالة المادّة المختلف في تراوحها بين الإنتماء الى العلم أو إلى الفنّ، وبالتالي فهي على الدّوام عرضة إلى الغياب أو التغييب ولا نظفر منها إلاّ ببعض العناصر المبعثرة داخل النصّ.

إنّ إدراك الحقيقة التاريخية عمل مضن يستوجب معالجة النصوص والوثائق والشهادات بدقّة وبمنهجية محكمة قوامها المقارنة والمقاربه والتفكيك والتركيب والإستقراء التحليلي والتعليلي يتحقق الفوز بالعناصر المكوّنة للمشهد التاريخي المطلوب اعتمادا على كلّ النصوص التي لها علاقة بالأمر وغيرها ممّن لا علاقة له، أي تلك النصوص المقاربة للحقيقة أو البعيدة عنها. إنّ جمع هذه العناصر يمثّل عملية توثيق ضرورية لبناء القاعدة الأساسية للمعرفة اليقينية إلاّ أنّ التعامل مع هذه العناصر لا بدّ أن يمرّ بعملية نقدية واستقراء فلسفي يتمّ من خلاله رفض بعض المعطيات وتأكيد البعض الآخر، حيث يتمّ تحطيم المقولات ذات الأبعاد الإيديولوجية المذهبية أو التعصّب العقائدي أو التملّق السياسي أو الحقد الذاتي. إنّ فكرة الحقيقة تقوم على الأحكام والقيم ولا تخلو من العناصر المؤثّرة سلبا وإيجابا وبالتالي فإنّ الموضوعية تبقى عرضة للمساءلة ذلك أنّ معرفتنا بالماضي لا تعتمد على أسس مضمونة نظرا لتراكمية هذه المعرفة وغلبة الرؤية الشخصية للماضي التي تنأى بالبحث التاريخي عن الحقيقة والموضوعية وتسلّمه إلى النسبية الجزئية أو المطلقة. وقد حاول كلّ من (هايدجر وكانت) تجاوز النسبية التاريخية باتخاذ الهرمنطيقا منهجية فلسفيا تحليليا وتعليليا للعناصر المكونة للحدث التاريخي، مهما كانت هذه العناصر مادية متغيّرة أو قيم مفارقة وغير ثابتة عبر الزمان، وأنّ فهمها يستوجب تفكيكها وإعادة تركيبها وصياغتها في إطار من الحرية الملتزمة بقيم التاريخ دون الإسراف في الأحكام الجانبية أو التيه في النسبية المجحفة والمغالطات المفتعلة.

إنّ العناصر التي تجلّيها آليات الهرمنطيقا هي عناصر تفكير تحمل قيم إبداع وتدعوا إلى التأمّل والفهم، فمعانيها مفتوحة وليست مغلقة بل قابلة للأخذ والعطاء في إطار تأويل ملتزم بالموضوعية وإدراك الحقيقة التي يقول عنها (هوسرل) _ إنّها اللّحظة الحاسمة التي تعطي للتاريخ معناه الحقيقي، ثمّ يضيف (بول ريكور) أنّ هذه اللّحظة تمثل المساحة التي تنشط فيها آليات التأويل، أي، ذلك الإمتداد بين المؤرّخ والنصّ حيث تتحرّك عناصر الإبداع في محاكاة الحقيقة، إنّها مساحة حرية المؤرّخ وانعتاقه من الجمود، وبهذه الحرية تدرك الحقيقة.

ولعلّ التأويل والحقيقة يكونان الطريق الأمثل لإعادة كتابة التاريخ الذي بدأت أصوات كثيرة تنادي به اليوم.

الخاتمة

إذا كان الغرب قد أنجز خطوات هامة في مجال الهرمنطيقا من خلال اشتغال فلاسفته وعلمائه ومؤرّخيه في هذا الحقل المعرفي، وعلى الأخصّ في مجال التاريخ ومصادره، فإنّ الأمر بالنسبة للتأويل في مجالات التاريخ والحضارة الإسلامية يعتبر جديدا وخطواته محتشمة ومحسوبة ولا تكاد ترتقي إلى عمليات التأسيس الأولى لهذا العلم، على عكس ما هو موجود ومتعارف في تخصّصات التفسير القرآني أو التطبيقات النقدية التأويلية في آداب اللّغة وفنونها. وإذا أردنا النهوض بهذا الحقل يجب علينا إنجاز الآليات التطبيقية الضرورية مثل:

- معجم المصطلحات التاريخية ودراسة تطوّرها إيتومولوجيا
- معجم الرموز الحضارية والتاريخية
- فهرسة المصادر والوثائق التاريخية
- الإستئناس بالنصّ التاريخي والعودة إليه في مناهجنا وتدريسنا
- وضع قواعد وأسس لعلم التأويل في التاريخ
- الإستفادة من التجربة الغربية في هذا المجال
- إنّها الطريق الأمثل الذي سيحقّق لنا هذا المقصد ويجعلنا نفهم التاريخ بالتاريخ.

Historical Hermeneutics

Nooreddean Bin-Ali al-Saghier, *Department of History and Islamic Civilization, Al-Sharjah University, Al-Sharjah, UAE.*

Abstract

For few decades now, western scholars have acknowledged the value of hermeneutic interpretation of history. This interpretation, however, has remained unknown among Muslems for various reasons in spite of their established competence in the fields of coranic studies and literature.

It has become pressing conclusion now that the historical text cannot and perhaps should not remain a closed unit. This paper aims at suggesting a hermeneutic methodology specific to the historical studies of Islamic history and civilization, and intends to demonstrate how to apply this methodology to convey a more objective histirical reality.

قدم البحث في 2004/9/8 وقبل للنشر في 2005/5/10

الهوامش

1- ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق _ دار الكتب العلمية – بيروت 1985 – ص: 37
2- Paul Ricoeur: Histoire et Verite. Paris. Le Seuil 1955 –P: 28
3- ابن خلدون: المقدمة – المطبعة الأدبية - بيروت 1990 – ص:4
4- Paul Ricoeur: a l ecole de la phenomenologie - edition Vrin- 1986 – p: 34
5- عدنان محمد ملحم: المؤرّخون العرب والفتنة الكبرى. تقديم عبد العزيز الدوري.دار الطليعة. بيروت. لبنان. 1998. ص: 7
6- اختلفت مناهج التعامل مع النص التاريخي بين التاريخية الجديدة والنقد التاريخي، أي من حيث تقييم النصية التاريخية وحقيقة التعامل مع ظاهرتها من الداخل أم من الخارج وهل ننطلق من داخل النصّ أو من خارجه ؟ - راجع أعمال:
Louis MONTROSE: professing the renaissance - New York 1987
7- انظر:
Paul Ricoeur: La marque du passé. In revue de metaphisyque et de morale.N1.1998
8- ابن منظور: لسان العرب – دار صادر بيروت – لبنان – 1992- طبعة أولى - مجلد 11 - ص: 34
9- الشاطبي: المقدّمات – المقدّمة العاشرة
10- انظر:
John Sturrock: structuralism and since: from Levi-strauss to Derrida. OXFORD University Press1979 p15
11- عبدالقاهر الجرجاني: أسرار البلاغة. مطبعة صبيح - القاهرة –1959- الطبعة السادسة. ص: 2
12- راجع: عبدالله الغذامي: المشاكلة والإختلاف – المركز الثقافي العربي -بيروت – 1994 – ص: 93
13- راجع: روزنتال: الموسوعة الفلسفية - ترجمة سمير كرم – دار الطليعة – بيروت – لبنان – 1997 – ص: 108
14- راجع:
Jacques Derrida: ecriture et difference. Paris- Seuil1967- p: 211
15- ابن خلدون: المقدّمة - ص: 16
16- انظر:

Paul Ricoeur: histoire et verite – P: 9

17- راجع هذا المفهوم وغيره لدى: سعيد توفيق: هرمنطيقا النصّ الأدبي. مجلة –نزوى- عدد 2 – مارس 1995

18- انظر:

Arthur Danto:Analytical philosophy of history. CAMBRIDGE University Press. 1965

19- راجع:

Paul Ricoeur: Temps et recit. Edition Le Seuil. PARIS 1991. Pp: 52-55

20- راجع:

GADAMER):Verite et Methode - edition Le Seuil – Paris 1976

21- انظر:

Wilhelm DILTHEY: Introduction to the human sciences – Princeton University Press - 1989

22- انظر:

Paul Ricoeur: Temps et Recit - edition Le Seuil - 1994

23- انظر:

CHOWERS EYAL: MAX WEBER the fate of homo-hermeneut in a disenchsnted world -JES-june 1995

24- انظر:

Michel De Certeau: Histoire et Psychanalyse - Gallimard

25- ابن خلدون: المقدّمة - ص:9

26- جون توش: المنهج في دراسة التاريخ –ترجمة د- ميلاد المقرحي –منشورات جامعة قاريونس –بنغازي – ليبيا-1994-الطبعة الأولى – ص: 25

27- أنظر:

Louis Montrose: Professing the Renaissance. New York 1987 - P: 240

28 - Lee Benson: Towards the scientific study of history -Lippincott - 1972

29- راجع في هذا المجال:

PAUL RICOEUR: Du texte a l action. Jules Vrin - Paris - 1986

30- ابن خلدون: المقدّمة - ص: 9

31- ابن خلدون: المصدر نفسه

32- انظر:

Wolfgang Iser: Indeterminacy.Selected papers from the English Institute 1969.P: 198

33- انظر:

MICHEL DE CERTEAU: Histoire et Psychanalyse – edition GALLIMARD – PARIS 1987

34- هشام جعيّط: الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكّر – ترجمة خليل أحمد خليل –دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت -

35- ابن خلدون: المقدّمة -: 9

36- راجع:

PAUL RICOEUR: histoire et rhetorique – in DIOGENE , N 168 -oct- dec - 1994

37- ابن خلدون: المصدر نفسه - ص: 14

38- ابن خلدون: المصدر نفسه - ص: 28

39- ابن خلدون: المصدر نفسه – ص: 35

40- ابن العربي: العواصم من القواصم – تحقيق محبّ الدين الخطيب – المطبعة السلفية – القاهرة - 1979

41- راجع: - السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ – مكتبة المثنى – بغداد - 1963

42- ابن خلدون: المقدّمة - ص: 28

43- لغة الألخميادو - انظر:

محمد عبدالله عنان: دولة الاسلام في الاندلس -مطبعة الخانجي - القاهرة – 1997 – الطبعة الرابعة – العصر الرابع نهاية الاندلس

44- راجع:

Roland Barthes: theory of the text - in Robert young - ed -

45- للمزيد من هذه الإشارات راجع: عدنان محمد ملحم: المؤرّخون العرب والفتنة الكبرى – دار الطليعة –بيروت –لبنان –1998

محمد أمحزون: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة. مكتبة الكوثر – الرياض – 1994

46- ابن خلدون: المقدّمة – ص: 4

47- ابن خلدون:كتاب العبر –دار الكتاب المصري – القاهرة –1999 - المجلّد الرابع - ص: 1026

48- راجع:

PAUL RICOEUR: Le conflit des interpretations

49- راجع:

LOUIS MONTROSE: Professing The Renaissance- New York - 1987

50- انظر:

PAUL RICOEUR: La Marque du Passe - IN Revue de Metaphysique et de Morale – N- 1 - Mars:1998 -

51- اتجاه جديد في فهم التاريخ وكتابته ظهر على أيدي ستيفن جرينبلات - انظر:

Stephen Greenblatt: Renaissance- Chicago University Press 1980

52- راجع في هذا المعنى:

Michel DE Certeau: L ecriture de L Histoire - edition Gallimard 1987 - P: 288

53- عبدالله العروي: مفهوم التاريخ - المركز الثقافي العربي - بيروت - لبنان - 1992 - ص: 308

54- نعني الجمع بين قصد النصّ وقصد المؤلِّف.
55- ابن خلدون: المقدّمة - ص: 32

المصادر والمراجع

المراجع العربية

ابن العربي: **العواصم من القواصم**، تحقيق محبّ الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1979

ابن خلدون: **المقدمة**، المطبعة الأدبية، بيروت 1990.

ابن خلدون: **كتاب العبر**، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1999، المجلّد الرابع، ص: 1026

ابن مسكويه: **تهذيب الأخلاق**، دار الكتب العلمية، بيروت 1985.

ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر بيروت، لبنان، 1992، طبعة أولى، مجلد 11.

أمحزون، محمد: **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة**. مكتبة الكوثر، الرياض، 1994

توش، جون: **المنهج في دراسة التاريخ**، ترجمة د. ميلاد المقرحي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 1994، الطبعة الأولى.

توفيق، سعيد: هرمنطيقا النصّ الأدبي. **مجلة نزوى**، عدد 2، مارس 1995.

الجرجاني، عبدالقاهر: **أسرار البلاغة**. مطبعة صبيح، القاهرة، 1959، الطبعة السادسة.

جعيّط، هشام: الفتنة: **جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكّر**، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

روزنتال: **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1997.

السخاوي: **الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ**، مكتبة المثنى، بغداد، 1963.

العروي، عبدالله: **مفهوم التاريخ**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1992، ص: 308

عنان، محمد عبدالله: **دولة الاسلام في الاندلس**، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1997، الطبعة الرابعة، العصر الرابع نهاية الاندلس.

الغذامي، عبدالله: **المشاكلة والإختلاف**، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994.

ملحم، عدنان محمد: **المؤرّخون العرب والفتنة الكبرى**. تقديم عبد العزيز الدوري.دار الطليعة. بيروت. لبنان. 1998.

المراجع الأجنبية

Benson, Lee: *Towards the scientific study of history* ,Lippincott , 1972 .

Certeau, Michel De: *Histoire et Psychanalyse* , edition GALLIMARD , PARIS 1987

Danto, Arthur:*Analytical philosophy of history*. CAMBRIDGE University Press. 1965

Derrida, Jacques: *Ecriture et difference*. Paris, Seuil, 1967.

Dilthey, Wilhelm: *Introduction to the human sciences* , Princeton University Press , 1989

Eyal, Chowers: max weber the fate of homo,hermeneut in a disenchsnted world, *JES*, june 1995

Gadamer:*Verite et Methode* , edition Le Seuil , Paris 1976

Greenblatt, Stephen: *Renaissance*, Chicago University Press 1980

Iser, Wolfgang: *Indeterminacy*. Selected papers from the English Institute 1969.

Montrose, Louis: *professing the renaissance* , New York 1987

Paul Ricoeur: *Temps et recit*. Edition Le Seuil. PARIS 1991.

Ricoeur, Paul: *a l ecole de la phenomenologie* , edition Vrin, 1986

Ricoeur, Paul: *Du texte a l action*. Jules Vrin , Paris , 1986

Ricoeur, Paul: *histoire et rhetorique* , in DIOGENE , N 168 ,oct, dec , 1994

Ricoeur, Paul: *La Marque du Passe* , IN Revue de Metaphysique et de Morale , N, 1 , Mars:1998

Ricoeur, Paul: *Temps et Recit* , edition Le Seuil , 1994

Sturrock, John: *structuralism and since: from Levi,strauss to Derrida*. Oxford University Press, 1979.

إعداد اللغة العربية للترجمة الآلية:

المكون الدلالي

محمد الصرايرة *

ملخص

يقدم هذا البحث فكرة بشأن إعداد اللغة العربية للترجمة الآلية، مستقاة من التجربة الأوروبية في هذا المجال. ويركز الباحث على أن إعداد معجم إلكتروني شامل هو الخطوة الأولى على هذا الطريق، يختلف عن غيرة. فهو ليس مجرد مفردات بلغة ما لها مقابلات بلغة أخرى، وإنما هو موسوعي متراكم، وتصمم فيه تعريفات المفاهيم بطرق معينة. ويشكل هذا المعجم الركيزة الأساسية لإعداد اللغة العربية دلاليا.

مقدمة

أدت الثورة التقنية إلى تطوير حقول المعرفة. وأخذ اعتماد الإنسان على الآلة يزداد يوما بعد يوم، بل صار إدخالها في عمله من مظاهر التقدم، وغير ذلك من مظاهر التخلف. والحاسوب، الذي يعد قمة نتاج البشر حتى الآن، من الأجهزة التي دفعت بالتقنيات نوعا وكما، فلا تكاد صناعة أو طريقة عمل تخلو منه. إلا إن اللغة تشكل المجال الذي يظهر تحديا له، لصعوبة برمجته ليحاكي عمل العقل البشري، وخاصة في مجال الترجمة، لأن التعامل هنا يزداد تعقيدا بعدد اللغات المشمولة في عملية الترجمة ونوع النص.

لا يزال الإنسان يعتمد على قدراته الذاتية في الترجمة بشكل أساسي، ويعبر إلياس[1] (Ilyas) عن ذلك بقوله:

> One parameter would be agent. The human translator was until recently the only agent, and one capable of extremely skilful work, such as the translation of poetry. The key advantage of humans is their enormous range and flexibility in making the decisions translation demands.

إلا إن الثورة التقنية وتطوير الحاسوب أدى إلى التفكير جديا في إدخال الحوسبة إلى الترجمة، بما يعرف بالترجمة الآلية Machine Translation (MT) أو بمفهومها الآخر، مع بعض

* قسم اللغة الانجليزية وآدابها، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

الاختلاف، Computer Aided Translation (CAT). وهذا أمر يعتمد على عدة عوامل لقيامه ثم نجاحه. الأول هو تطوير الجهاز وبرامجه، ليتمكن من التعامل مع اللغات؛ أما الأمر الثاني فهو إعداد اللغات بشكل يتيح للحاسوب التعامل معها.

ولا ضرورة للخوض في مجال إمكانة الترجمة من عدمها. فقد أشبع ذلك بحثا وجدلا عن الترجمة ككل، وخاصة الترجمة الآلية. ومع أن الكثيرين يشككون بقدرة الحاسوب على الترجمة، فإن الأمل لا يزال يساور آخرين بإمكانة التوصل إلى الترجمة الآلية. وقد يبنى هذا الأمل على أن أي شيء يبدأ متعثرا وبسيطا، ولكن مع المثابرة على التطوير يمكن الوصول به إلى مراتب متقدمة. فمثلا أين طائرة اليوم من تلك التي صممها الأخوان رايت في مطلع القرن العشرين؟ مع أن الفكرة الأساسية لا تختلف. والمهم هنا هو البداية وتحسس أماكن القوة لتطويرها وأماكن الضعف لمعالجتها. وقد بدأت بعض المشاريع المتواضعة في الترجمة الآلية وهي في تطور مستمر. وقد وصل الأوروبيون إلى مستوى مقبول في الترجمة الآلية في برنامج[2] Infoterm الذي جاء من الحاجة إلى وسيلة سريعة لنقل المعرفة بين اللغات الأوروبية.

ولكن علينا أولا أن نحدد الهدف من الترجمة الآلية حتى نستطيع الجزم بإمكانة تحقيقها. فهل نريد من الحاسوب أن ينقل النصوص المعلوماتية (الترجمة التقنية)، أو النصوص الأدبية؟ إذ إن جدلية من يقول بعدم إمكانة الترجمة الآلية ترتكز أساسا على الحديث عن النصوص الأدبية. أما حجة من يقول بإمكانتها فترتكز أساسا على النوع الأول من النصوص. وهناك، كما هو معروف، فروق شاسعة بين النوعين، أهمها أن النوع الثاني إبداع فكري جمالي(Aesthetic Art) للغة فيه دور أكبر من أنها فقط وعاء لنقل المعلومة، بينا يهدف الكاتب في النوع الأول إلى استخدام اللغة كوعاء للمعرفة.[3] وتهدف الترجمة الآلية إلى التعامل مع النوع الأول من النصوص وليس الثاني.إذ لا نتوقع من الحاسوب أن يخرج لنا قصيدة جون ملتون "Paradise Lost" قصيدة عصماء بالعربية. وحتى بالنسبة للنوع الأول من النصوص، فلا نتوقع منه إخراج ترجمة لا عيب فبها. إذ يصعب على الآلة حتى الآن القيام بعمل يتطلب ملكة عقلية لا يمكن، بالخصائص الحالية لها، برمجتها بشكل دقيق. وهذا ما ذهب إليه W. Wilss بقوله[4]:

> Machine-translation research has taught us that, apart from standardized transfer operations in the routine translation of strictly formatted texts, translation problems cannot be solved by conventional algorithms in any encompassing way. Translation problems typically call for cognitive insights, heuristic procedures, and multiple stages, that do not operate by predetermined standards and algorithms.

وتتعزز هذه الفكرة بقول Rey [5]:

> . . . computer technology borrows its procedures from neurophysiology, trying to copy the functions of the brain; while being far from achieving this objective, it has achieved slow and partial successes.

أولا: خصائص الإعداد الدلالي

لا بد، عند الإعداد الدلالي للغة، من تحديد العلاقات الدلالية بين المفردات، أو على وجه الدقة بين مجموعات المفاهيم من جهة، وبين المفاهيم في المجموعة الواحدة من جهة أخرى. وهذا يشمل المفاهيم التي تخص حقلا معينا، مثل الرياضيات، وعلاقتها بالحقول الأخرى مثل الجبر والهندسة وغيرها، وهكذا. وينطبق هذا على الحقول الأخرى، أي التي لا تنتمي إلى تخصصات أكاديمية. فمثلا مفهوم "همس" بين المفردات "تكلم" و "صرخ" إلخ، وهي في نطاق دلالي واحد يخص الاتصال الشفوي بين الناس؛ أما "همس" في عبارة مثل "همس النسيم بين الأشجار" فإن لهذا المفهوم صفات دلالية تختلف عن تلك التي وردت له كنوع من الاتصال الشفوي البشري، فكلمة "همس" هنا ليست صادرة عن إنسان، بل عن جماد في الطبيعة، ولذلك يختلف المفهوم شيئا ما عن السياق الأول.[6]

العلاقات الدلالية للمفردات

ويكون ذلك بإعداد ملفات أو حقول حسب المتطلبات التالية:

1. تحليل المفهوم

لا بد من الوقوف على كنه المفهوم وما يتفرع عنه من معان، وخاصة المجازية منها، لتحديد العلاقة بين هذا المفهوم الأساس وفروعه وبين المفاهيم التي يمكن أن تتصل به، أي العلاقة بينه وبين مجموعات المفاهيم الأخرى، وذلك للوصول في النهاية إلى الجملة أو شبه الجملة. وتقلل الدقة في هذا المجال من حالات الترجمة السخيفة بسبب عدم وضوح العلاقة بين مفردات (أو مفاهيم) الجملة (أو شبه الجملة) الأصل، وكذلك الجملة (أو شبه الجملة) الناتجة عن عملية الترجمة. إذن، فالهدف ليس إعداد مسارد مفردات وما يقابلها، وإنما إدراج المفردات في علائق دلالية ليكون بالإمكان الوصول إلى ترجمات باعتماد مضمون النص وليس معاني مفرداته. إذ إن المفهوم السائد في الترجمة هو أن معنى جملة أو شبه جملة ليس حصيلة جمع معاني مفرداتها، وإنما تفاعل هذه المفردات لإعطاء معنى جامعا. ولا بد، أيضا، من أخذ الخصائص الصرفية والنحوية للمفردات بعين الاعتبار، إلى جانب الخصائص الدلالية، للوصول إلى أفضل النتائج، وتطوير قواميس آلية على هذا الأساس. فالعلاقة هنا ليست رياضية متعلقة بمفردات ومقابلاتها،

وإنما تعتمد أيضا على الخصائص التي ذكرتها. والهدف المنشود، إذن، هو الوصول إلى المعنى واحد وإن ورد بعدة صيغ. والاقتباس التالي يؤيد ذلك(7):

> The very act of putting this conceptual network into a computer takes the machine a long way toward "understanding" natural language. For example, to figure out that "Please arrange for a meeting with John at 11 o'clock" means the same thing as "Make an appointment with John at 11," the computer simply has to parse the two sentences and show that they both map to the same logical structures in MindNet. "It's not perfect grokking," Jensen concedes. "But it's a darn good first step."
>
> MindNet[8] also promises to be a powerful tool for machine translation, Jensen says. The idea is to have MindNet create separate conceptual webs for English and another language, Spanish, for example, and then align the webs so that the English logical forms match their Spanish equivalents. MindNet then annotates these matched logical forms with data from the English-Spanish translation memory, so that translation can proceed smoothly in either direction.

وتضيف (Jensen) ليس الوصول إلى هذا الهدف سهلا في اللغات الطبيعية. وقد تعزي تلك الصعوبة إلى تعقيد العلاقات بين مجموعات مفاهيمها من ناحية، والاستخدام المجازي لهذه المفردات من ناحية أخرى، ناهيك عن حالة التغير المستمرة في اللغات الطبيعية الحية.

1.1 العلاقة ما بين المفهوم والتعريف والمفردة

عندما يخطر لنا مفهوم معين، مادي أو مجرد، مثل تفاحة، يتبادر لنا عدد من الخصائص التي تميز ذلك المفهوم عن غيره، يكون مجموعها وحدة ذهنية له، أو مجموعة المفاهيم التي تنتمي إلى ذلك المفهوم، وفي مثالنا التفاح بأنواعه المختلفة من حيث اللون والحجم والشكل.

فالمفهوم الذي يرتبط بجسم واحد بعينه، أو يدل عليه، هو مفهوم إفرادي، مثل "المريخ." أما إذا ارتبط المفهوم بعدة أجسام بينها نوع من التجانس الذي يضعها في مجموعة واحدة، فإن المفهوم يكون عاما، مثل "كوكب." فهذا المفهوم يدل على جميع الأجسام التي تنطبق عليها خصائص المفهوم "كوكب" ومنها "المريخ." والمفاهيم صور ذهنية مجردة، لا بد من تعريفها والتعبير عنها بمفردة معينة أو عدة مفردات. والتعريف هو جملة تصف المفهوم، والمفردة هي الكلمة التي تعبر عنه.

2.1 تعريف المفهوم

ويقصد به الوصف الذي يبرز المفهوم بين المفاهيم الأخرى، وخاصة تلك التي تقع في نطاقه الدلالي (مثل "قميص" بين الأنواع المختلفة مما يلبس الإنسان). ومع أن هناك اختلافات بين

مستخدمي اللغة الواحدة على تعريف بعض المفاهيم، لا بد من تعريفها بشكل دقيق وتقييسها، لأن التعامل الآلي لا يقبل التقريبات. ويذهب بعض المعجميين المهتمين في هذا المجال إلى القول بأن نوعية النتاج المعجمي المعرفي تعتمد بشكل أساسي على دقة التعريف. ويشمل ذلك المترادفات أيضا؛ إذ يشيع في وسط الترجمة أنه لا يوجد مترادفات بشكل كامل، إلا إذا كنا نتحدث عن اللهجات، وليس هذا مجال اهتمامنا، لأن التركيز في حالة اللغة العربية هو على ما تعرف بالعربية المعيارية (Standard Arabic).

1.2.1 أنواع التعريف

هناك نوعان من التعريف يستخدمان لوصف مفردات (مفاهيم) اللغة، ويكون التمييز بينهما على أساس عدد الخصائص التي يشملها ونوعها، وهما على النحو اللآتي:

1.2.1. 1 التعريف المركّز (Intensional Definition)

يتحقق هذا النوع من التعريف بذكر الخصائص التي تميز مفهوما معينا من غيره. وهذا النوع مفيد لأنه يختار الخصائص المميزة من العديد منها، التي إن ذكرت كلها جعلت التعريف عصيا على الفهم، بسبب كثرة تلك الخصائص. وتهمل هنا الخصائص التي يستدل عليها من الخصائص الأخرى (redundant). ولذلك فإن هذا النوع من التعريف يضع المفهوم في مضمونه الصحيح بين المفاهيم المماثلة. فمثلا يضع مفهوم "البرتقالة" بين الفواكه، و "عصيرة البرتقال" بين عصائر الفواكه(Same Semantic Domain). ولذا يحافظ على الخصائص الدلالية المميزة للمفهوم بين المفاهيم ذات العلاقة (Semantic Distinctive Features)، وأيضا يحفظ خطوط الارتباط الدلالي مع مجموعات المفاهيم التي ترتبط به بعلاقة دلالية ما Related Semantic) (Domain. ويمكننا إعطاء مثال آخر على هذا النوع: "الغاز النبيل" هو " الغاز الذي يبقى خاملا كيميائيا في حالته الطبيعية."

1.2.1. 2 التعريف الموسع (Extensional Definition)

يختلف هذا النوع من التعريف عن سابقه بأنه، بدلا من إعطاء خصائص دلالية للمفاهيم، يضع الأجسام التي يشملها المفهوم موضوع التعريف في قوائم. وتشترك هذه الأجسام في خصائص معينة. ويمكن النظر إلى مفهوم "الغاز النبيل" الذي ذكرناه كمثال على النوع الأول من التعريف من هذه الزاوية أيضا. فنقول "الغاز النبيل هو: الهيليوم، أوالنيون، أوالأرغون، أوالزنون، أو الكريبتون." فهذه الغازات جميعها تشترك في الخصائص المذكورة التي يشملها مفهوم واحد.

2. 2.1 الطبيعة النمطية للتعريف (Systematic Nature of Definition)

من المعروف أن الوضوح في التواصل يتطلب وصفا واضحا للمفاهيم والعلاقات والاختلافات في ما بينها. لذلك، فإن من الضروري معرفة كيف ينسجم المفهوم في نظامه عند محاولة وضع تعريف لذلك المفهوم.

وفي أنظمة المفاهيم العامة (Generic Concept Systems)، فإن التعريفات المركزة تبنى دائما على المفهوم التابع للأقرب لها. ثم توضع الخصائص المحددة لتبين العلاقة بين المفاهيم الرئيسية والتابعة من جهة وبينها وبين المفاهيم التي تناظرها من جهة أخرى.

أما في أنظمة المفاهيم الجزئية (Partitive Concept Systems) فإن العلاقة بين المفهوم الرئيسي والتابع تظهر فقط في أحد تعريفات المفهوم. فمثلا تعرف "السنة" على أنها "الفترة الزمنية اللازمة لتدور فيها الأرض حول الشمس دورة كاملة." أما تعريف "الفصل" فيكون "تلك المدة الزمنية من السنة التي تتميز بظروف مناخية معينة متشابهة،" وما إلى ذلك.

وأما بالنسبة للعلاقة الارتباطية، فإن التعريف المركز يبدأ عادة بعبارة عامة تمثل مفهوما رئيسيا عاما يتبعه خصائص تبين تلك العلاقة.

3. 2.1 دقة التعريف (Conciseness of Definition)

يجب أن تكون المفاهيم مختصرة. والمفاهيم المعدة بعناية تحتوي على المعلومات اللازمة لوضع المفهوم بشكل صحيح في نظام المفاهيم، ويجب وضع أية معلومات إضافية أو أمثلة في ملاحظة، تذكر أهم الصفات غير المهمة، أو قائمة بالأشياء التي تندرج تحت امتداد مفهوم ما.

ويمكن أخذ المثال الآتي على تعريف تنقصه الدقة: شجرة دائمة الخضرة: هي شجرة تحتفظ بأوراقها في الفصل البارد عند خطوط عرض معينة حيث تبدو مثل هذه الفصول منتظمة، ولكنها قد تفقد أوراقها في مناخ أكثر برودة، أو أنها شجرة تنمو في مناخ ليس له فصول متتابعة واضحة.

وقد يعدل هذا التعريف ليكون دقيقا على النحو التالي: شجرة دائمة الخضرة: هي شجرة تحتفظ بأوراقها طوال العام. ملاحظة: فيما إذا كانت الشجرة قادرة على الاحتفاظ بأوراقها، فتصنف على أنها دائمة الخضرة، يعتمد على المناخ الذي تعيش فيه. وبذلك يكون التعريف أكثر دقة.

2.1 .4 مبدأ الإحلال (أو التعويض) (Principle of Substitution)

تحل العبارات والتعريفات محل بعضها في النصوص. وهذا يعني أنه، عند الضرورة، يمكن لتعريف أن يحل محل عبارة، مع إمكانة إجراء تعديلات طفيفة على النص. وتجرى هذه العملية لاختبار صحة التعريف وذلك بوضعه في محل العبارة التي يصفها، ثم ينظر فيما إذا حدث تغيير في معنى النص أو لا.

2.1 .5 التعريف المَعيب (Deficient Definition)

هناك ثلاثة أنماط من هذا النوع من التعريف، نوجزها في ما يأتي:

5.2.1 .1 التعريف الدائري (Circular Definition)

يحدث هذا النوع من التعريف المعيب عندما يعرف مفهوم بنفسه بشكل مباشر أو غير مباشر. وهذا التعريف لا يزيد الباحث عنه أي فهم. ويقع هذا التعريف في نوعين هما:

أ. ضمن تعريف مفرد

يكون ذلك عندما يكرر المفهوم على أنه المفهوم الرئيسي، أو أنه أحد الخصائص في التعريف.

مثال 1: الماء هو الماء.

مثال 2: شجرة دائمة الخضرة: هي شجرة ذات أوراق دائمة الخضرة.

ب. ضمن نظام مفاهيم

هنا يعرف مفهومان أو أكثر كل منهما بالآخر.

مثال 1: غابة عذراء: هي الغابة التي تتكون من مجموعة أشجار طبيعية.

مثال 2: مجموعة أشجارطبيعية: هي مجموعة أشجار تنمو في غابة عذراء.

مثال 2 مصوبا: هي مجموعة أشجار تنمو بدون تدخل الأنسان.

5.2.1 .2 التعريف السلبي (Negative Definition)

في الأساس يصف التعريف كنه المفهوم بما يتوفر فيه من صفات، وليس بما لا ينطبق عليه من صفات. إلا إن بعض المفاهيم تتطلب هذا النوع من التعريف (أي التعريف السلبي)، وذلك لأن

نقص صفة معينة من الصفات التي تكون ذلك المفهوم سمة مهمة فيه، تميزه عن غيره من المفاهيم.

مثال على تعريف سلبي غير مقبول:

شجرة متساقطة الأوراق: هي شجرة غير تلك دائمة الخضرة.

والأولى أن يكون التعريف كما يلي: هي شجرة تفقد أوراقها (خضرتها) حوليا.

مثال على تعريف سلبي مقبول:

مادة غير غذائية: مادة لا تستعمل كغذاء.

3. 5.2.1 التعريف الناقص (Incomplete Definition)

يجب أن يكون التعريف دقيقا في وصف المفهوم الذي يرتبط به حتى يكون مفيدا. وبذلك لا يشمل غير المفهوم المقصود منه. وكذلك أن لا يكون ضيقا، فيخرج بعض عناصر المفهوم الذي يصفه من ذلك المفهوم. ولذلك فإن هذا النوع من التعريف يشمل نمطين هما:

1. 3.5.2.1 التعريف الفضفاض (Broad Definition)

ويكون التعريف فضفاضا إذا لم يحو المعلومات (الخصائص) اللازمة لتحديد المفهوم الذي يصفه.

مثال: شجرة: هي نبات طويل يعمر لعدة سنين.

والمشكلة في هذا التعريف هي أنه يشمل نباتات بهذا الوصف ولكنها لا تعتبر أشجارا، مثل النباتات المتسلقة، فهي طويلة وتعمر عدة سنين ولكنها ليست أشجارا. ولذلك يجب أن يعدل التعريف بإضافة صفة مهمة للشجرة وهي أن لها ساقا تحملها. وبذلك فإن النباتات التي لا تنطبق عليها هذه الصفة (أي ساق تحمل النبتة) تخرج منه.

2. 3.5.2.1 التعريف الضيق (Narrow Definition)

يكون التعريف ضيقا إذا اشتمل على صفات من شأنها أن تستثني بعض عناصر المفهوم التي تكون جزءا منه. وهذا ينطبق أيضا على التعريف الذي يوضع بشكل يجعله صادقا فقط على مجموعة منه ويستثنى مجموعة أخرى يجب أن يشتمل عليها.[9]

مثال على تعريف ضيق:

الخصوبة الجنسية: هي قدرة الشجرة على التكاثر.

والمشكلة هنا هي أن هذا التعريف يستثني أحياء لها القدرة على التكاثر، ويحصر الخاصية في الشجرة.

ويمكن تعديل التعريف على النحو التالي:

الخصوبة الجنسية: هي القدرة على التكاثر.

وعلى هذا الأساس لا ينصح بتعريف شئ عام على أنه جزء من جسم (أو مفهوم) واحد. مثل تعريف "العجلة" على أنها جزء من الدراجة الهوائية فقط، وذلك لأنها تشكل جزءا من مفاهيم غير الدراجة الهوائية. وهنا ينصح بتعريف العجلة بأدائها وليس بالجسم الذي توجد فيه.

3.5.2.1 .3 التعريف الموسع الناقص (Incomplete Extensional Definition)

يجب في حالة التعريف الموسع وضع قائمة للأجسام التي يشملها المفهوم الذي يصفه هذا النوع من التعريف. ويجب تجنب عبارة مثل إلخ في مثل هذه القوائم عندما نحضرها للاستخدام الآلي، والسبب أن الآلة لا تعرف بقية القائمة من تلقاء ذاتها.

3.5.2.1 .4 التعريف الداخل في آخر (Hidden Definition within Another)

يجب أن يصف التعريف مفهوما واحدا فقط. وإذا كان لا بد من أن يتعرض التعريف لأكثر من مفهوم، فيجب أن يوضع كل مفهوم في فقرة إدخال منفصلة، طالما أن للمفاهيم الأخرى صلة بحقل الموضوع الذي يتعامل التعريف معه.

كما إنه لا يجوز أن تفسر العبارات المستخدمة في التعريف داخل التعريف ذاته. وبذلك فإن التعريف يصف فقط المفاهيم التي تعد لمستخدم معين، أو تلك التي قد عرفت في مكان آخر من المشروع.

مثال: شجرة: هي نبات له جذع صلب يحمله وفروع، وهي تفرعات تنمو من الجذع، وتعيش لعدة سنوات.

والشكلة هنا، في الواقع، نوعان: الأول أن تعريف الشجرة يحتوي تعريف مفهوم آخر هو الفرع. والثاني أن تعريف الفرع جاء مقاطعا لتعريف الشجرة. وقد يظن أن عبارة "وتعيش لعدة سنوات: تعود على الفروع مباشرة، وليس تابعة لتعريف الشجرة.

2. العبارات (Terms or Signifiers)

لقد ورد في مرحلة سابقة من هذا العرض أنه لا بد من استخدام عبارات للتدليل على المفاهيم المعرفة. إذ بدون هذه العبارات فإن المستخدم، سواء أكان انسانا أم آلة، لا يستطيع

استخدام المفهوم، لأنه بدون المفردة كأنه لا وجود له. ومن ناحية أخرى فإن عدم وجود عبارة محددة يفتح المجال أمام الاجتهاد لعدد من المستخدمين، وهذا بدوره يؤدي إلى تعدد العبارات التي تدل على مفهوم واحد، الأمر الذي سيخلق نوعا من الإرباك عند وروده في نصوص مختلفة بصور مختلفة. وتسمى هذه الحالة في مجال الترجمة "عدم الثبات" (Inconsistency). وهي حالة لا يفضل وجودها في الترجمة التقنية بالذات. وتبدو هذا التعدد كظاهرة عندما يتعلق الأمر مثلا بالادوات، فهي تأخذ أسماء متعددة حسب المجال الحرفي الذي تستعمل فيه. وقد أشار (Diderot) إلى ذلك بقوله[10]:

> The language of crafts is grossly inadequate for two reasons: the scarcity of suitable words and the abundance of synonyms . . . In the language of crafts, a hammer pincers, an auger, a shovel, etc. have almost as many names as there are crafts.

3. أنواع العبارات (Types of Terms or Signifiers)

قد تتكون العبارة من مفردة واحدة مثل "العولمة،" وقد تتكون من مركب مثل "رأس مال" أو "عبد الله" أو عدة مفردات مثل "معدات شبكة رقمية." ويمكن هنا الإشارة، بدون توسع إلى الطرق المستخدمة، مثلا، في حالة استيراد مفاهيم من لغة إلى لغة أخرى. فقد تجلب العبارة الأجنبية مع المفهوم، كما في "أستوديو" باللغة العربية، أو أن مفردة تشتق من اخرى للدلالة على المفهوم الجديد مثل "حاسوب" أو توظف كلمة موجودة مثل "سيارة" أو تعرف بعدة مفرات، مثل "جهاز مراقبة"، وهكذا.

4. متطلبات اختيار العبارات وتشكيلها (Requirements of Selection and Formation of Terms)

يجب أن تكون العبارة المختارة للدلالة على أي مفهو سليمة لغويا. وهذا يتطلب أن تراعي هذه المفردة قواعد النظام الصرفي والنظام الصوتي في اللغة. وعلاوة على ذلك فإنه لا بد من أن تظهر في المفردة بعض خصائص المفهوم التي تعبر عنه، أي العلاقة ما بين المفردة وكنه المفهوم. كما يجب أن تكون العبارة قصيرة قدر الإمكان، وتسمح، على الأقل في معظم الحالات، باشتقاق عبارات أخرى منها لتلبي حاجات المستخدم للدلالة على الحدث (اشتقاق الفعل) للدلالة على التسبب (اشتقاق الفاعل)، وهكذا[11].

5. العبارات المفضلة (Preferred Terms)

ترادف العبارات من صفات اللغات الطبيعية. ولكن عند دخول مفهوم جديد إلى لغة ما، فيجب استخدام واحدة من هذه المترادفات لتعبر عنه، وليس أيا من المفردات المترادفة الأخرى، وذلك من أجل عدم إرباك المستخدمين لها. وإن تطلب الأمر استخدام أكثر من مفردة واحدة لمفهوم

واحد، فيجب الإشارة إلى ذلك، مع أن هذا أمر مستقبح في هذا الباب. وعادة ما توضع قوائم بالعبارات المسموح بها للتعبير عن مفهوم معين. وهنا تجب الإشارة إلى خطأ شائع في هذا المجال وهو تعمد استخدام المرادفات لتجنب التكرار، ولو كان ذلك على حساب المعنى. ويعزو الصرايرة (1994) ذلك إلى الأسباب التالية:[12]

> . . . the lack of standardization across different Arab countries or even inside one country; the translator's inattention or unfamiliarity with a technical field; or even the mistaken idea that 'stylistic variation' should be achieved through 'the use of different terms for the same referent' by means of 'purposeful verbal avoidance' (De Ward & Nida, 1986).

وينطبق هذا على المختصرات أيضا. فهي إما أن تكون من ضمن المرادفات المسموح بها، أو إنها هي المفردات المعتمدة أولا، مثل "الأنروا" أو "دي دي تي" وهكذا، لانها هي الأكثر شيوعا في هذه الحالات. أما بالنسبة للشكل الكامل، فإنه يوضع مع المرادفات كخيار ممكن، إن أراد المستخدم استعماله. وكثيرا ما تكون المفردات التي على ألسن المستخدمين لها في حقل ما افضل من تلك التي يعينها مختصون لغويون بعيدون عن ميدان استخدامها. ولذلك يفضل إجراء مسح للمفردات المتداولة واستخدام ما يمكن منها، أو إجراء تعديل على بعضها لتكون مناسبة، فإن ذلك أفضل من توظيف مفردة لا يستسيغها المستخدم، وبذلك لن تجد طريقها إلى الحياة العملية في حقلها.

6. مواءمة المفاهيم والعبارت (Harmonization of Concepts and Terms)

نحتاج إلى هذه الخطوة للمواءمة بين العبارات والمفاهيم بين مختلف حقول الموضوعات في اللغة الواحدة وبين اللغات المختلفة. والهدف من المواءمة هو خفض أو القضاء على الاختلافات الصغيرة فيما بين مفهومين أو أكثر بينها علاقة. وتعتبر الموائمة بين المفاهيم من أهم خصائص عملية التوحيد القياسي (Standardization).

1.6. مواءمة المفاهيم وأنظمة المفاهيم

(Harmonization of Concepts and Concept Systems)

تتطلب عملية مواءمة المفاهيم وجود مقارنة بين أنظمة المفاهيم المختلفة. إلا إنها لن تتطلب وجود عملية نقل مباشر لنظام مفهوم من لغة إلى أخرى. ومن أجل إقامة موائمة فإن جميع الأنظمة المتوفرة ستقارن، بغض النظر عن أصلها اللغوي، أي سواء أكانت خضعت لعملية توحيد قياسي داخل لغة الأمة أم كان ذلك على مستوى عالمي. ولعله من المفيد أن لا يقتصر التحليل على اللغات الرسمية فقط، فقد يوجد في المستويات اللغوية الأخرى ما ينفع في علمية الموائمة ككل.

2.6. موائمة العبارات وانظمة العبارات

(Harmonization of Terms and Term Systems)

لا تكون موائمة العبارات وأنظمتها ذات دلالة إلا بعد إجراء موائمة المفهوم. إذ من المهم، خلال عملية الموائمة، أن لا يضلل المرء بتشابه المفاهيم الظاهري. ويجب، خلال عملية الموائمة هذه، أن لا يكون هناك ضغط على اللغات حتى تتبنى عملية تشكيل عبارة غريبة على نظامها الصرفي أو الصوتي. والأولى أن نجد في اللغة الطريقة السليمة صرفا وصوتا لإيجاد عبارة نعبر فيها عن المفهوم الذي نتعامل معه. وهذا لا يمنع محاولة إيجاد مقابلات بطريقة واحد إلى واحد، ولكن بدون الالتفاف على قواعد اللغة الصرفية أو الصوتية من جهة أو إجهاد نظامها الدلالي من أجل ذلك. إذ لا بأس من تحديد مجموعة من المفردات لتشكل عبارة تشير إلى مفهوم معين.

7. مراحل مشروع المصطلحات الفنية (Phases of a Terminology Project)

تقدم القائمة الآتية مقترحا استرشاديا لمثل هذا المشروع. وهو مستقى من خبرة من قام بإعداد مشاريع مشابهة. ويمكن للمتصدي لمشروع كهذا أن يأخذ به أو يعدل عليه حسب حاجته. وذلك لأن اللغات تختلف في متطلباتها بعضها عن بعض، فليس كل ما يصلح العمل به في اللغة الأنجليزية، مثلا، يصلح ايضا في اللغة العربية أو غيرها.

أ. تقييم الحاجات وتحديدها
ب. تحديد المجموعة المستهدفة
ج. التعرف على المفاهيم
د. جمع المعلومات وتسجيلها
ه. إنشاء قائمة العبارات
و. إنشاء أنظمة المفاهيم
ز. صياغة التعريفات
ح. اختيار العبارات وصياغتها
ط. مراجعة المفاهيم

يراعى هنا حقيقة أن بعض هذه المراحل تتداخل.

1.7 فريق العمل (Working Group)

يبدو من خبرة من عمل في هذا المجال أن العدد المثالي للمجموعة هو ما بين خمسة إلى ثمانية افراد.[13] ويجب أن يكون من بين هؤلاء الأعضاء من لهم الخبرة الكافية في العمل

بالمصطلحات الفنية. وعند الحديث عن فريق العمل فإن الفكرة هنا ان يكون فيه أعضاء يكملون بعضهم في شتى الاهتمامات المطلوبة لإنجاز مثل هذا العمل. فمثل هذه التركيبة من شأنها تسريع العمل وتحسين نوعيته وتقليل الأخطاء.

2.7 تعيين الموضوع (Subject Delimitation)

يجب تعيين حقل الموضوع حسب الهدف من المفردات وحاجات مجموعتها. وهذا التحديد يتطلب وصفا تفصيليا لحقل الموضوع وتقسيمه إلى فروع ممكنة.

3.7 المصادر (Sources)

يجب الرجوع إلى اية مادة ذات علاقة في الحقل. وذلك لأن أمثلة، وتطبيقات، وعبارات، وأنظمة مفاهيم يمكن أن توجد في أنواع مختلفة من النصوص. وهذا يعزز من القدرة على شمولية القوائم. ومن النصوص التي يجب تفحصها تلك التي تتعلق بالقانون والتعليمات والتوجيهات والمعايير والكتب المقررة والأطروحات والدوريات وتعليمات التشغيل والتقارير وقوائم المفردات والمعاجم والموسوعات وقواعد البيانات إلخ. وتدرس هذه النصوص للوقوف على علاقتها بالموضوع قيد الدرس، وكذلك درجة الاعتماد عليها. إلا أن الحذر واجب عند الرجوع لمواد مترجمة من لغة أخرى. وذلك لأنه لا يمكن ضمان الدقة في الترجمة أصلا.

ومن المهم جدا إجراء تحليل للخطاب في هذه المصادر، وذلك لأن العبارات تأخذ معانيها في مضامينها، وليس بمعزل عنها. وليس من الغلو القول بأن معاني العبارات تتعدد بتعدد مضامينها المختلفة. بل إن (Rey) تعتبرها أول أهم خطوة في هذا المجال.(14)

Discourse analysis is, nevertheless, the compulsory starting-point for every analysis of lexical units from an empirical point of view, which is in fact that of the linguist. The terminologist must adopt a different point of view and presuppose that the constitution of terminological structures does not only depend on morphosyntacitc rules but also, and primarily on operational schemes, documented , preserved, and transmitted by symbolic systems, including natural languages. These schemes may be theoretical, classificatory or practical, etc., and the unit of access is epistemological and semiotic. Linguistic reduction would have a paralyzing effect in this area.

4.7 عدد المفاهيم (Number of Concepts)

يجب أن يكون عدد المفردات التي يتعامل معها فريق المصطلحات الفنية محدودا، وذلك لأن التعامل مع عدد كبير من هذه المصطلحات يؤدي في الغالب إلى حالات من التضارب وحالات أخرى تغفل فيها المفاهيم، ناهيك عن أن العدد الكبير يؤدي إلى ضياع الكثير من الوقت في أمور خارجة عن العمل الحقيقي، كتصفح قوائم طويلة. ويقول أصحاب الخبرة إنه إذا زاد عدد المفاهيم

كثيرا عن 200، فمن الأفضل تقسيمها إلى قوائم فرعية، تعمل عليها فرق عمل إما بشكل متزامن أو متتابع. ويجب أن نعلم هنا أن الدقة في العمل أهم من السرعة التي ينتج عنها أخطاء في هذه القوائم، والتي يصعب اكتشافها فيما بعد، أو أن تصويبها يأخذ وقتا وجهدا وكلفة يمكن تجنبها في اثناء العمل.

5.7 الجدول الزمني (Schedule)

يجب وضع جدول (أو خط زمني) زمني للمشروع تحدد فيه فترات زمنية لكل مرحلة، وكذلك مسؤوليات كل فريق عمل والأفراد المعنيين به. بهذه الطريقة، يعرف منظمو المشروع مقدار التقدم، وذلك بالرجوع إلى الجدول ومعاينة الإنجاز في حينه.

6.7 جمع البيانات المصطلحية واختيارها

(Collecting and Selecting Terminological Data)

يجب تحليل نصوص المصادر من أجل التعرف على المفاهيم المتعلقة بحقل الموضوع. ولا ينصح، في هذه المرحلة، بالمبالغة في تحديد عدد المفاهيم والعبارات التي جمعت. ويجب الإشارة بوضوح إلى مصادر البيانات التي جمعت، وذلك ليتمكن فريق العمل المعني بها من الرجوع لهذه المصادر إذا لزم الأمر بسهولة، لتوفير الوقت والجهد لأمور أجدى من مجرد البحث ثانية عن مكان مفهوم أو عبارة في نص ضائع بين المئات أو ربما الآلاف من النصوص.

والتقسيم التالي للمفاهيم إلى أربع مجموعات قد يعين على تقرير فيما إذا كان من الضروري اعتماد مفهوم ما أو لا:

أ. مفاهيم خاصة بحقل الموضوع

ب. مفاهيم شائعة بين العديد من حقول المواضيع

ج. مفاهيم مقترضة من حقول مواضيع قريبة

د. مفاهيم تستعمل في اللغة بشكل عام

ويجب أن يشمل قائمة المصطلحات المفاهيم الرئيسية العائدة لحقل موضوع معين (أ)، وعدد محدود من المفاهيم المذكورة في (ب و ج)، أما المفاهيم الواردة في المجموعة (د) فلا تسرد إلا في حالا استثنائية. فالمقصود هنا هو قوائم المصطلحات الفنية وليس الشائعة في اللغة العادية.

7.7 أنظمة المفاهيم والتعريفات (Concept Systems and Definitions)

يجب ترتيب المفاهيم المختارة ووضعها في أنظمة مفاهيم وذلك حتى يعطى كل مفهوم مكانا محددا في نظامه. وينصح بأن يبدأ بالعلاقات العامة ثم المرور إلى المفاهيم ذات العلاقات الجزئية ثم ذات العلاقات الترابطية. ويمكن وضع رسم بياني قائمة نظام تبين العلاقات بين المفاهيم وذلك من أجل ترتيب نظام المفاهيم.

8. كتابة المصطلحات الفنية (Terminography)

1.8 شكل التعريف (Form of Definition)

أ. تكتب العبارة والتعريف بصيغة المفرد، إلا إذا كان المفهوم الذي يعرف بصيغة الجمع.

ب. يجب أن لا يبدأ التعريف بعبارة مثل "عبارة تستعمل لوصف"، ولا عبارة مثل "هو يعني هو كذا."

ج. لا يبدأ التعريف بأداة، إلا إذا كان هناك سبب لذلك.

د. في حالة اللغات التي تكتب بالحرف اللاتيني، فإن الحرف الأول يكون صغيرا ولا تنتهي الفقرة بنقطة.

ه. إذا اقتبس التعريف من أي نص فيجب الإشارة إليه بين [ ] في نهاية التعريف.

و. لا يدخل في التعريف إلا العبارات المفضلة.

ز. تعلم العبارات الواردة في التعريفات إذا ورد لها تعريفات في أماكن أخرى.

2.8 شكل المدخلات (Form of Entries)

يجب أن يحوي مدخل المصطلح الفني العناصر التالية كحد أدنى وذلك لأغراض التوحيد القياسي (Standardization):

أ. رقم الإدخال

ب. العبارة المفضلة

ج. تعريف المفهوم

ويمكن إضافة معلومات أخرى إذا لزم الأمر.

3.8 ترتيب المدخلات (Order of Entries)

يحب وضع المدخلات في نظام معين كلما كان ذلك ممكنا. والشائع هو وضعها في ترتيب هجائي حسب نظام اللغة المعنية. أما إذا كان الهدف منها استعمالها في الحوسبة، فإن المدخلات تأخذ شكل قاعدة بيانات ترتبط فيها مجموعات المفاهيم والمفردات بعضها ببعض، وهذا مهم لتكون قابلة للاستعمال في حالة الترجمة الآلية. ولا يهم هنا أن ترتب هجائيا أو لا ترتب، لأن التعامل معها ليس على أساس يدوي، كما هو الحال مع المعاجم الورقية. ويمكن لها أن تكون شاملة ايضا. لأن الوصول إلى محتواها لا يتطلب تقليب صفحات مجلد تقليدي، بل يمكن إعطاء العبارات رموزا تحدد الحقل، أو الحقول، التي تنتمي إليها. وهذا غير ممكن في حالة المعاجم الفنية الورقية، لأنها غير اقتصادية، حتى إذا كان تنفيذ الفكرة ممكنا صناعيا. فلا يستطيع القارئ العادي ولا حتى المتخصص اقتناء مثل هذه المعاجم التي ستكون حتما عددا كبيرا من المجلدات، ناهيك أن استخدامها ليس عمليا.

ثانيا: علم المصطلحات الفنية وصناعة المعاجم Terminology and lexicography

قد يتبادر إلى الذهن أنه لا فرق بين علم المصطلحات الفنية وصناعة المعاجم (أو المعجمية). والحقيقة أنه بالرغم من التشابه الكبير بينهما، فإن هناك خصائص تميز أحدهما من الآخر. ومن أجل إجراء مقارنة بين الاثنين، يجب أولا معرفة الخطوط التي تحدد حقل كل منهما، وكذلك توضيح أهدافهما التعليمية والعملية، وثانيا، يجب تعريف كل منهما.

بداية، تعتبر صناعة المعاجم فنا (أو علما) تطبيقيا. وهي، كما هو الحال في جميع التطبيقات، كما وصفها Claude Levi-Strauss (1968) بالإشارة إلى علم دراسة الإنسان (Anthropology)، على أنها "حرفة" ولكن ليس من منطلق سلبي. فالحرفة هي الطريقة الفضلى اقتصاديا والنجعى لتلبية مطلب ما، نظريا وتطبيقيا. إن صاحب الحرفة يعمل بأدوات ضمن إطار نظري، ولذلك عليه أن يوفق بين هذين الجانبين، النظرية والتطبيق، ليحقق مطالب المستخدمين. وعند الحديث عن العاملين في هذه الصنعة (أي صناعة المعاجم)، لحساب ناشرين، يجب أن يكون في الحسبان تحقيق ربح مادي لهم. ولهذا السبب نتحدث عن هذه الصناعة على أنها حرفة، إلا أن ذلك لا يعني استثناء تطوير نظرياتها، فلكل حرفة نظرياتها الخاصة بها، لا تتطور إلا بتطوير هذه النظريات، كما يؤكد Levi-Strauss (1966).

يخفي هذان التعبيران (أي علم المصطلحات الفنية وصناعة المعاجم) عدة حقائق وراءهما. أولها هو الاختلاف الذي يدركه اي متفحص لهما. فتقدم المعاجم أحادية اللغة أو ثنائية اللغة حقيقتين تتضمنان طريقتي إنتاج مختلفتين تتعلقان بأهداف مختلفة لهما. ويتبع علم المصطلحات

الفنية الطريقتين ذاتهما ولكن ضمن شروط مختلفة جدا عن صناعة المعاجم. وليس علينا أن نتحدث عن وجود المعاجم الثنائية أو متعددة اللغات إلا في حالتين هما الترجمة وصناعة المعاجم والترجمة وعلم المصطلحات الفنية.

أما الاختلاف المهم الثاني بين هذين المفهومين فهو محاولة بعض المعاجم التعامل بفرضية الأداء الكلي (Functional Totality) بتوفير ما يحتاجة المستخدم لإنتاج جمل بشكل غير مقيد، وهذا ما ذهب إليه Noam Chomsky (1966) في نظرياته. وهذا يعني أن هناك معاجم عامة تعين المستخدم على تركيب ما يمكن أن يكون خطابا (Discourse)، يقابلها معاجم مصطلحات فنية لا تصلح لمثل هذا الغرض، وذلك لأنها تفتقر إلى مفردات النحو، والأفعال الرئيسية، والمفردات العامة المألوفة. وهذه هي التي تسمى المعاجم الفنية المتخصصة، لانها تهتم بعبارات التخصص في حقل ما دون غيره.

إن صناعة المعاجم تعتمد على عدد من حقول المعرفة، ولها روابط قوية بعلم المصطلحات الفنية. وهي تعتمد أساسا على اللغويات وليس على علم المصطلحات. وترجع أهمية ذلك إلى أنه ليس من الممكن وضع المعاجم، حتى المتخصصة منها، بدون أخذ عناصر حقول اللغويات، علم الأصوات Phonetics والنحوsyntax والصرفmorphology وعلم الدلالة semantics إلخ، بعين الاعتبار.

أما الملاحظة الثالثة حول صناعة المعاجم فتتعلق بتطور أساليبها. وعلاقتها بعلم المصطلح الفني في هذا المجال واضحة أيضا. ويمكننا التحدث عن ثورتين مهمتين: الأولى تتعلق بالنهضة الأوروبية (Renaissance) وبالتحديد اختراع الطباعة. أما الثانية فهي تقنية الحاسوب وتطويره خلال العقود الأربعة الماضية. ولعل الثورة التي سببها دخول الحاسوب في صناعة المعاجم لا تقل أهمية في تطور صناعة المعاجم عن الثورة التي أحدثها اختراع الطباعة من قبل. إذ لكل منهما دوره البارز في جعل هذه الصناعة جزءا من عالم التجارة في المنشورات إجمالا. ولعل دخول الحاسوب عالم المعاجم جعل من الممكن تطويرها حتى ليمكننا القول إنها أصبحت تشبه دوائر المعارف في محتواها، وكذلك القدرة على إجراء تعديلات عليها، من تنقيح وزيادة إلخ بكل يسر وبأقل كلفة، بدلا من إعادة وصفها بالكامل، كما كان الحال في السابق.

1. طبيعة علم المصطلحات الفنية Nature of Terminology

يعد علم المصطلحات الفنية من العلوم اللغوية التطبيقية أيضا. وهو يمتاز بثلاث خصائص مترابطة، نوردها في الفقرات الآتية.

الخاصية الأولى هي أنه تطبيق معرفي (Cognitive Application)، وهذه خاصية أساسية لأنها ترتبط بالبعد العلمي لعلم المصطلح الفني (Wuster, 1978). وهذه الخاصية، التي تتغير حسب الحقل الذي نتعامل معه، أساسية، لأنها تصل الخاصية اللغوية (الخاصية الثانية) بالخاصية الاجتماعية (الخاصية الثالثة). وبغياب مثل هذا الربط بين الخاصيتين (اللغوية والاجتماعية)، فإن علم الصطلحات الفنية لا يعدو كونه فصلا في صناعة المعاجم.

والخاصية الاجتماعية لهذا العلم ملازمة للخاصيتين الأخريين. إذ هناك إجماع عام على أن المعرفة تنشا وتتطور في المجتمعات البشرية. وينتجها مبدعون، وهم قد يكونون مبدعين للمفاهيم مثل الفلاسفة وعلماء المنطق وعلماء الرياضيات أو الباحثين أو المبدعين في الفنون.

ولعل من أهم ما يميز علم المصطلح الفني عن صناعة المعاجم، أنه يهتم بالمفهوم ليس من وجهة نظر لغة واحدة، بل يتعدى ذلك، وبدون مبالغة، إلى لغات العالم. والسبب أن هذا العلم يهتم بالمفهوم، الذي يمكن أن يوجد أو يدخل إلى أي لغة في العالم. وتتعزز هذه الفكرة بقول Rey الذي اقتبس منه النص التالي:[15]

> This occasional multilingualism, which is rare in lexicography, is certainly not inevitable in terminology because there are monolingual terminologies; but by its nature and to the extent that it follows the onomasiological approach, terminology can designate an object of though or a class of objects in all the languages of the world.

2. علم المصطلحات الفنية والترجمة الآلية
(Terminology and Machine Translation)

كما ذكر سابقا فإن علم المصطلح الفني يضع المفاهيم في إطار لغوي يجعل من الممكن تطويره ليكون مفيدا في عدد من اللغات. وهذه خاصية مفيدة جدا في الترجمة الآلية. وقد أستغل الأوروبيون هذه الخاصية في التخفيف من أثر الحواجز اللغوية في ما يتعلق بنقل المعرفة بين اللغات الأوروبية بسرعة ملحوظة وبجهد وكلفة في تناقص مستمر.

أما بالنسبة للغة العربية، فإن التجربة الأوروبية توفر على القائمين عليها كثيرا من الوقت والجهد والمال، ولم يبق إلا القيام بخطوة جريئة للإفادة من طريقة بنائها، وتطوير المعجم الفني العربي قياسا عليها. صحيح إن هناك مشكلات كثيرة تتعلق بالمفردات الفنية، ولكن لا بد من انطلاقة، وإن لزم، توضع المفردات المتعددة للمفهوم الواحد كمرادفات، حتى يتسنى تنقيح هذا المعجم الفني في وقت لاحق.

ومن التطبيقات العملية على مثل هذه المعاجم الفنية، ما يستعمل في ترجمة النصوص ليس على أساس المفردة الواحدة وما يقابلها، بل على أساس المفردة في مضمونها النحوي الدلالي. وأورد الوصف الآتي لأداء هذا التطبيق:[16]

> Desktop Translator is a program that translates from English to Spanish, French, Italian, German and Portuguese, and from French, Spanish, and German into English. One can translate typed text, dictated text, files, documents, Web pages and e-mail into a selected language. Using a technique called Machine Translation, Desktop Translator translates a word in relation to sentence structure and parts of speech rather than translating words in isolation. The result is a higher level of accuracy and comprehension.

ربما لا يلبي هذا التطبيق الطموح المرجو منه، لكنه يعطي فكرة عن إمكانة تطوير برامج قادرة على التعامل مع النصوص كخطاب، وليس على أساس أنها مسارد مفردات تعطي مقابلات في لغة أخرى. وهذه الطريقة مبنية على أساس علم المصطلح الفني، وكذلك تستفيد من المعاجم العادية الإلكترونية في الوصول إلى شكل من أشكال الترجمة الآلية. ويجب أن لا نتوقع الحصول على نتائج مذهلة منذ المحاولة الأولى، لأن هذا سيكون مشروعا جديدا بحاجة إلى المزيد من التطوير والمتابعة.

وحتى نكون متفائلين في إنجاز شئ، لا بد من قيام مؤسسة تجارية بهذه التجربة. لأن انتظار المؤسسات الرسمية قد يطول، وربما لا تكون هذه الأمور على جدول اهتماماتها أصلا. وقد قيل بأن الأوروبيين قلصوا الجهد البشري في الترجمة التقنية إلى ما يقارب 20-30% فقط، وذلك في منتصف التسعينيات. وهم يقومون باستمرار على تطوير قاعد البيانات الداخلة في الترجمة الآلية.

إذن، هناك تجربة أثبتت درجة عالية من الدقة، وهي قابلة للتطوير، وهذه خاصية مهمة. وما علينا إلا أن نبدأ بوضع الخطوات العملية لتطوير المعجم الفني للغة العربية، لتكون جاهزة لمثل هذا النوع من الترجمة.

Preparing Arabic for Machine Translation: The Semantics Component

Mohammad Atawi Saraireh, *Department of English and Literature, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This paper provides a suggestion for the preparation of Arabic for machine translation, elicited from the European experience in this filed. The researcher stresses that the compilation of a comprehensive electronic lexicon be the fist step towards this goal. The lexicon is not a mere list of words and their meanings; rather, it is encyclopedic and cumulative. It is believed that this lexicon makes the main pillar towards the semantic preparation of Arabic for machine translation.

قدم البحث في 2004/4/25 وقبل للنشر في 2005/5/10

الهوامش

(1) Ilyas، 1997 .47

(2) لقد قام المشرفون على هذا البرنامج بتطوير قاعدة بيانات للمفردات على أساس معرفي (knowledge-based terminology) . وهي ذات طبيعة تراكمية، إذ يقوم الخبراء في البرنامج بإضافة ما هو جديد للقاعدة، الأمر الذي يؤدي إلى تناقص الزمن والجهد اللازمين لعملية الترجمة مع ازدياد مادة هذه القاعدة.

(3) لقد وردت مواصفات النص المناسب للترجمة الآلية في عدد من المصادر، أذكر منها:

Sager, Jane C., 1993. *Language Engineering and Translation: Consequences of Automation*. John Benjamins Publishing Company, Amesterdam/ Philadelphia, pp. 291-2.

Gordon, J. 1990. "Essai de typologie des texts sources, dans le cadre de la traduction assistee par ordinateur." Agard, 1990.

(4) Wilss, Wilfram, 1994: 41

(5) Rey, 1995: 115

(6) De Waard, J. and E. Nida (1986: 144-5) From One Language to Another: Functional Equivalence in Bible Translating. Thomas Nilson Publishers. Nashville, Camden, New York.

(7) Jensen, 2001:107.

(8) (Mindnet) مؤسسة لتطوير برامج ترجمة آلية بين اللغات الطبيعية، ويهتم المبرمجون فيها بالترجمة التي تعتمد مبدأ الفكرة بغض النظر عن اختلاف مفردات النص، طالما أنها في مضمونها

تعطي المعنى ذاته. وهي هنا لا تعتمد على مسارد بمعاني مفردات، وإنما على علائق دلالية بين المفاهيم.

(9) إن تعريف مفهوم شائع بأنه يعود إلى حقل موضوع واحد فقط قد يمنع القائمين على تحضير قوائم التعريفات من اقتباسه لاستخدامه مع مفردات أخرى، الأمر الذي يؤدي إلى مضاعفة الجهد بلا داع. وهذا سيؤدي إلى زيادة الكلفة الإجمالية لمثل هذا المشروع الذي يتطلب إقامة معيارية ثابتة، ناهيك عن الزمن الثمين الذي سيطول بدون سبب حقيقي.

(10) Diderot, 1969: 106

(11) للمزيد من المعلومات يمكن للقارئ أن يرجع إلى Al-Najjar, 1984.

(12) Saraireh, 1994: 80

(13) تبين التجربة الأوروبية أن هذا العدد هو المناسب لمثل هذه المشاريع؛ وذلك لأن عددا أكبر يعق العمل، وأقل منه لا يكفي لإنجازه. وعلى أي حال فإن القائمين على هذه المشاريع يقدرون الحاجة الفعلية حسب متطلبات العمل الخاص بمشروعهم، فقد تختلف تقديراتهم عن تقديرات غيرهم.

(14) Rey, 1995: 28

(15) Rey, 1995: 121

(16) Collete, 1999: 54

المصادر والمراجع

Beaugrande, De R. (et al). (eds.) 1994. *Language, Discourse and Translation in the West and Middle East*. John Benjamins publishing company, Amsterdam.

Chomsky, N. 1966. *Cartesian Linguistics: A Chapter in the History of Rationalist Thought*. New York: Harper & Row.

Collete, J., 1999. "The desktop Translator" *The Journal*, Dec99, Vol. 27 Issue 5, p54.

Diderot, D. 1969. *The Encyclopaedia of Diderot and d'Alembert: Selected Articles*. Cambridge: Cambridge University Press.

Gordon, J. 1990. "Essai de typologie des texts sources, dans le cadre de la traduction assistee par ordinateur." *Agard*.

Ilyas, Asim, 1994. "A Typology of Translation." In Beaugrande, De Robert (et al) edits, *Language, Discourse and Translation in the West and Middle East*. John Benjamins publishing company, Amsterdam, pp. 45-53.

Jensen, K. 2001. "Natural Language Processing," *Technology Review*, Jan/Feb., Vol. 104 Issue 1, p107.

Levi-Strauss, C. 1968. *Structural Anthropology*. London: Allen Lane.

Levi-Strauss, C. 1966. *The Savage Mind*. Chicago: Chicago University Press.

Najjar, Al- Majid, 1984. Translation as a Correlative of Meaning: Cultural and Linguistic Transfer between Arabic and English. Unpublished PhD. Thesis, Indiana University, Bloomington.

Rey, A. 1995. *Essays on Terminology*. Translated by Juan Sager. John Benjamins Publishing Company Amsterdam.

Sager, Jane C., 1993. *Language Engineering and Translation: Consequences of Automation*. John Benjamins Publishing Company, Amesterdam/ Philadelphia, pp. 291-2.

Saraireh, Muhammad. 1994. "Terminological Inconsisitencies in English-Arabic Translation." In Beaugrande, De Robert (et al) edits, *Language, Discourse and Translation in the West and Middle East*. John Benjamins publishing company, Amsterdam, pp. 79-82.

Waard, J. De & E. Nida. 1986. *From One Language to Another: Functional Equivalence in Bible Translation*. Camden, NY: Thomas Nelson.

Wilss, Wolfram. 1994. "Translation as a Knowledge-Based Activity." In Beaugrande, De Robert (et al) edits, *Language, Discourse and Translation in the West and Middle East*. John Benjamins publishing company, Amsterdam, pp. 35-43.

Wuster, E. 1978. *Einfuhrung in die allgemeine Terminologielehre und terminologische Lexicographie* (2 vols) Wien: Springer.

المجلة العربية للآداب المجلد 2، العدد 1، 2005، ص ص 53- 124

البعدان الطبيعي والمادي للعمران في الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي

حسن فالح بكور *

ملخص

يشكّل العمران في الشعر بصورة عامة أهمية كبيرة للدارسين في المراحل الزمنية التالية، فمن خلال الشعر يكتشف المهتمون والباحثون مفاصل التطّور الحضاري من جهة العمران المادي ومدى مواكبة الفكر والابداع الفنّي المتمثل في الشعر لتلك الحركة العمرانية، ولعلَّ البحث هذا قد أنار السبيل وفتح الطريق للتعرف الى جانب مهم من جوانب حياة الانسان في العصور الجاهلية والاسلامية والاموية، وفيه إجابة شافية لمن يزعم أن الإنسان منذ القدم كان يجهل عملية البناء والعمران وكان اعتماده على الخيمة وبيت الشَّعَر، والطريف في الامر أن هذا البحث استطاع عبر محطاته المختلفة أن يبلور فكرة مهمة عن حياة العرب القدامى، فليس من المعقول أو المنطق أن يكون الانسان مبدعاً في الشعر متميزاً في نظمه، ويكون عاجزاً عن بلورة وعي للجانب المادي الذي يتعلق بالمسكن والملجأ، ومن هنا فإنني أرى أن القرآن الكريم حينما تحدَث عن قصص الامم الخالية أشار الى عمرانهم، وهذا دليل على أن البشرية عرفت العُمران من القصور والحصون والسدود والمدن، وتطوّر الأمر مع مرور الزمن، ومن هنا كانت تلك الحضارة المادية نتاجاً للحياة اليومية التي يعيشها الانسان لتأمين احتياجاته الاساسية من الامن والصحة والاقتصاد.

ولقد كان الشاعر يعيش تلك الحياة بكل تفاصيلها وجزئياتها، وحينما نظر الى ما حوله هاله ذلك العمران، فراح يُحدّث نفسه في تصوير تلك المشاهد العمرانية بريشته المبدعة وبوعيه الثاقب، فلم يكتفِ بتصوير تلك المشاهد العمرانية من حيث الموقع وجغرافية المكان وطبيعته وجمالياته الخارجية وما يحيط به من جنان وبساتين، بل راح يتغلغل في إضفاء الأبعاد النفسية من معاناة وخوف وألمٍ وأمل وربطها بالعمران. أي أن الشاعر القديم استطاع أن يضفي على المكان مشاعره وأحاسيسه ووجد في العمران مثالاً لما يُعانيه، وكثيراً ما كان المكان تجسيداً لهموم الشاعر فقد أصبغ على المكان روحه ووجدانه وانفعالاته، فحينما يتحدَث عن فعل الزّمن التدميري في التخريب والهدم بعدما كانت تلك المعالم العمرانية تمثّل عنصر الحياة والازدهار والتطور والفاعلية فإذا بتلك الجماليات تتحوّل إلى الانطفاء والهدم والزّوال وكأن الشاعر يضفي البعد النفسي على هذا المشهد، فحدثيه عن عملية التحوّل المادي يقابله التحوّل الإنساني من الفاعلية والحيوية والنشاط والحياة إلى الزوال والموت والفناء.

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الحسين بن طلال، معان، الأردن

ولعلّ الشاعر القديم كانت تؤرقه مسألة الموت، فيُعزّي نفسه بأن الكون والحياة مهما بلغت من الازدهار والنهوض فإنها في طريقها إلى الزوال.

وكان الشاعر الجاهلي يعقد صلة بين الناقة والعُمران، وهذا دليلٌ قدرة الشاعر على الربط بين الحي والجماد وهما عنصران مهمان في حياة الشاعر، إذ يشكلان الأمن والاستقرار، فعلى ظهر الناقة يحقّق الشاعر الأمن فتغزو بها الأعداء ويُسلّي نفسه من خلالها بالوقوف على الأطلال والوصول إلى الممدوح وكذلك العُمران الذي يحتمي به الإنسان ويلجأ إليه.

ويستعرض البحث صورة العمران في مجال الشعر في الجاهلية والإسلام وكيف انعكست تلك الحياة المادية على الإبداع الفنّي، وأثبت البحث بما لا يقبل الشك أن الشعر لم يكن في عزلة عما يحيط به من الأحداث والحِراك العمراني وتطوره، فقد استعرض التفاصيل الدقيقة للعمران، مما يدّل على معرفة واعية للشاعر بالبيئة المحيطة به، وأن الشعر مرآة تعكس الواقع بأسلوب الخيال والمجاز.

مقدّمة

يتناول هذا البحث بالتحليل والدراسة الجوانب الطبيعية والمادية للعُمران في الشعر من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي، حيث يعرض الشعر للعُمران بمختلف جوانبه المادية. وقد توقفت لمعالجة هذه الدراسة من خلال القضايا والأبعاد التالية:

الموقع الجغرافي: لقد حدّد الشعر المواقع التي بُنيت فيها هذه المعالم العمرانية وتناولها بصور فنية تدل على وعي متميّز وإدراك ثاقب لمواكبة الشعر لهذه الحركة الحضارية، فقد عرض الشعر للآثار العمرانية للأمم الخالية وبيّن مواقع هذه الآثار العظيمة وربط هذه المعالم بنظرة الشاعر للكون والحياة والموت، كما ألقى الشعر إضاءة متميّزة للطبيعة الجغرافية التي تحيط بالمعلم العمراني حيث تطّرق إلى المناطق الجبلية والمطر والطيور والحيوانات والسهول والبساتين والأنهار. أي أن الشعر وهو يحّدد الموقع العمراني لا يجرده من الطبيعة الساكنة والمتحركة حوله، كما أنه أضاف بعداً جديداً وهو العلاقات الاجتماعية ومدى الارتباط بهذه المعالم العمرانية. فقد تحدّث الشاعر عن المدح والافتخار والهجاء والرثاء وربطها بالموقع العمراني، مما نجم عنه عرض صور فنية ولوحات فنية جميلة تنبض بالحيوية، ومن المعالم العمرانية التي برزت في الشعر كل من: المدن والقرى، والقلاع والحصون والقصور، والسدود والأبراج والمساجد والكنائس.... الخ.

وقد وردت هذه المعالم تارة بأسمائها وأخرى بالإشارة إليها، كما وردت إشارات إلى ما يتعلق بالعمران كالإشارة إلى الأبواب والأثاث المستخدم في هذا البنيان مثل: الستور والحجب والمصابيح، كما أشار الشعر إلى المواد التي بُنيت منها المعالم العُمرانية كالحجارة الكبيرة الضخمة والبلاط والحديد والقرميد والرّخام والجصّ والشّيد، وكذلك تناول الشعر مظاهر الزخرفة

في هذه المعالم العمرانية كالتماثيل والدُمى والنقش والزخارف والحلي، وقد أشار الشعراء إلى هذه المعالم وربطوها بقضاياهم الحياتية كأن يكون حديث الشعراء من خلال الرغبة في التحوّل من حياة الهدم والجفاف إلى حياة الخصب والنماء وغير ذلك من القضايا العامة.

وأما المنهجية التي سرت عليها في طرح هذه القضايا فكانت التّتبع التاريخي والزمني بصورة متسلسلة، فقد طرحت القضية ثم عرضت للشعر الذي تناولها وعالجها ثم بدأت بعرض رأيي وتفسيري لهذه القضايا من خلال الإحاطة بمضمون النص الشعري والأبعاد والدلالات التي يشير إليها النص، وكان ديدني في التعامل مع النص الشعري الذي يتلخّص في النظرة الشاملة التكاملية لما يُطرح من أفكار، إذ كنت أحاور النص وأناقشه من خلال ما تضيئه عباراته وتراكيبه التي غالباً ما كانت تختزن صوراً فنية جميلة وأفكاراً عميقة، ومن هنا كانت محاوراتي لهذه النصوص لا تتعامل مع البيت الشعري على أنه وحدة متكاملة يصعب تكوين فكرة محددة من خلال النسق الضمني للنص، وكنت أدّلل إلى ذلك من خلال حشد الألفاظ والكلمات من مختلف الأبيات وهذه الألفاظ تتفاعل معاً لتكوين مفاهيم عميقة ودلالات محدَدة يمكن تكوينها من خلال ما تشكّله من علاقات فيما بينها.

وفيما يلي المحاور الرئيسة التي تُشكّل بمجموعها البعدين الطبيعي والمادي للعمران في الفترة الزمنية موضوع البحث:

- الموقع والعمران.
- جغرافية العمران في الشعر.
- قصر الخورنق والسَدير.
- الحصون والآطام.
- قصرا الموقر في الشعر الأموي.
- المعالم العمرانية في الحجاز، مكة، يثرب، خيبر.
- الناقة والعمران.

معالم عمرانية متفرقة.

- الزخرفة.
- متعلقات العمران وأثاثه.
- نتائج البحث.

الموقع والعمران

يشكل العمران المادي هاجساً دائماً لدى الإنسان، فهو يبحث عن الاستقرار والحياة الحضارية مهما بدا أنه موغل في البداوة، وظلّ يتطور من مرحلة الصيد إلى مرحلة الرعي إلى مرحلة الزراعة حيث استقر على ضفاف الأنهار، وبدأ تشكيل مجتمعات زراعية صغيرة ما لبثت أن رسمت خطوط الحضارة بشكلها المادي من خلال العمران أولاً، وهكذا ظل تعلق الإنسان بالعمران تعلقاً بالحياة الآمنة المستقرة الحضارية.

قال القَلَمّس* بن عمرو وقد اجتمع بأهل نجران وحدّثهم عن ملك سليمان عليه السلام، فقد بُني له الصرح الأملس الذي لا يشوبه عيب ويحار الفكر في إبداعه وجماله:

بَنَـــوا صَرْحـــاً لـــه دُوْنَ الثُّـــريَّا وأُجْـــريَ تحْتَـــه المـــاءُ المعيـــنُ

تَـــــرَاه أملـــساً لا عيــــبَ فيـــه يَحَـــارُ بـــصرْحِه الـــذِّهنُ الـــذَّهينُ[1]

حدّد الشاعر موقع المعلم العُمراني في هذين البيتين فهو عالٍ، وقد أشار إلى ذلك من خلال استعارته كلمة الثُريًا، وهي إشارة إلى العلوّ والسُمّو والشُموخ، وفي الشطر الثاني من البيت انتقل إلى البناء التحتي للصّرح في ثُنائية ضِدّيَة بين الأعلى والأسفل، فالجانب العلوي يمثّله الشطر الأوّل (بنوا صرحاً له دون الثريّا) والجانب السفلي من الصّرح يمثله الشطر الثاني (وأُجري تحته الماءُ المعين)، وكلاهما يمثل عنصر الحياة والحيوية فالقاعدة حيّوية وفيها حياة لجريان الماء فيه أو تحته، وإذا كانت القاعدة تنعم بالحياة والحيوية فإن القّمة تتطلّع إلى معانقة المعالي لأنها تستمد إرادتها من القاعدة الحيّة، ومن هنا كان الصرح مكتمل البناء تام الصُنع والإبداع والخلق، فلا ثلم فيه ولا عيب، ويبعث على الحيرة والدهشة لمن يشاهده أو ينظر إليه، وإذا ما توقفنا عند كلمة " الذهن " وكذلك " الذهين " فإننا نرى مثالية هذا الصرح وقيمته العُمرانية فإذا كان هذا الصرح يبعث على العجب العجاب لمن تميّز بالذكاء والفطنة، فكيف بمن يمتلك عقلاً عادياً.

ويشير علقمة بن ذي جدن إلى أبنية الأمم السالفة:

هـــــل لأنـــــاسٍ مثـــــلُ آثارهـــــمْ بمـــــأربٍ ذات البنـــــاءِ اليَفَـــــعْ

أو مثـــــلُ صَـــرْوَاحَ ومـــا دونهـــا ممـــا بَنَـــتْ بلقيـــسُ أو ذو تُبَـــعْ[2]

فهـــــل لقـــــومٍ مثـــــلُ آثارهـــــمْ مـــــن إرمٍ ذاتِ البنـــــاءِ اليفـــــعْ[3]

ويقول عن قصر غُمدان:

هـــــــذاك غُمـــــــدانُ مُحْزَئـــــــلاً	**بنــــــاؤه العَجـــــــبُ العجيـــــبُ**[4]
ويقـــول: فـــذاك غُمـــدان محـــزئلاً	**كأنـــــــه جبـــــــلٌ منيـــــــفُ**
يـــــــسكنـه مـاجـــــــدُ أبـــــــيّ	**تَرْغَـــــمُ قُدّامـــــه الأنـــــُوفُ**[5]

ويصف* علقمة بن ذي جدن قصور ظفار ومنها " قصر ذي ريدان "

وَمَـــصْنَعَةٍ بـــذي رَيـــدانَ أُسَّـــتْ	**بأعـــلا فـــرعِ مَتْلِفَـــةٍ حَلُـــوقِ**[6]
وَمَـــصَنعةٍ بـــذي ريـــدانَ أخـــرى	**بناهـــا مـــن بنـــي عـــادٍ قـــرومِ**[7]
وَمَـــصْنَعَةٍ بـــذي ريـــدانَ أُخـــرى	**بنـــوا فـــي رأسِ مَتْلِفـــةٍ حَلُـــوقِ**[8]
وَمَـــصْنَعَةٍ بـــذي ريـــدانَ أُخـــرى	**أقاموهـــــا ببنيـــــانٍ وثيـــــقِ**[9]

وقال ذو جدن الحميري يصف قصر غُمدان:

وغُمْـــدَانُ الـــذي حُدِّثْـــتَ عنْـــهُ	**بَنَـــوْهُ مُـــسَمَّكاً فـــي رأسِ نيـــقِ**[10]

وعلى جدار قصر شحرار باليمن وُجد هذان البيتان المدوّنان:

شحـــرارُ قـــصرُ العُـــلا المُنيـــفِ	**أسَّـــــسَـهُ تبّـــــعُ بنـــــوفِ**
يـــــسكنُه القَيْـــــلُ ذو معاهـــــرٍ	**تخـــــرُّ قُدّامَـــــه الأنـــــوفُ**[11]

والمتعمق لهذه المظاهر العُمرانية من الحصون والقصور يلحظ أن عملية التحصين كانت هي الجامع المشترك بينها من حيث اختيار الموقع وتحصينه في أعلى الجبال، وإذا ما عدنا إلى الأبيات السالفة وحاولنا رصد كلماتها التي تشير إلى هذا الموقع فإننا نتوقف عند هذه الكلمات والتراكيب:

مأرب ذات البناء اليفع، إرم ذات البناء اليفع، غُمدان كأنه جبلٌ منيف، مصنعةُ ذي ريدان، أَسِّت بأعلا فرع متلفة حلوق، بناها من بني عاد.

بنوا في رأس متلِفةٍ، البنيان الوثيق، بنوه مسمّكاً. رأس نيق.

إن هذه الأبيات تشتمل على مظاهر عُمرانية كالمدن مثل مأرب، وإرم، كذلك على القصور مثل: صرواح، وغُمدان، وريدان، وشحرار، وقد أُسِّسَ بناؤها على قمم الجبال العالية الشامخة

تناطح السُحب كأنها طيور تُحلّق، في أجواز الفضاء، ولعل هذه الظاهرة المشتركة بين مختلف المعالم العُمرانية تدلّ بوضوح على أن عملية البناء لا تتأتى عشوائية وإنما تحتاج إلى جمع بيانات عن الموقع ورصد المعلومات، وربما يعود ذلك إلى أسباب متعًددة: منها البعد الحربي والصحّي، فالموقع المُشرف العالي أكثر قدرة على مواجهة الأعداء وأكثر استعداداً.

كما أن المناطق العالية مدعاةُ إلى الجوّ اللطيف الهادئ ذي الرياح الجميلة والهواء الطلق.

وقال بعض طيء يفتخر بموقع معقلهم الحصين بين جبلي أجا وسلمى المشهورين في أرض نجد:

وبالجبليـــــن لنـــــا معقـــــــلٌ   صعدنـــا إليـــه بـــسُمْر الـــصِّعَادْ

ملكنـــــــاه أوليـــــــات الزَمـــــــا   ن مـن بعـدِ نـوحٍ ومـن قبـلْ عـاد[12]

ويصف عدي بن زيد مدينة صنعاء بقوله:

مــا بَعْــدَ صَنْعَــاءَ كــان يَعْمُرهــا   ســاداتُ مُلْــكٍ جَــزْلٌ مواهبُهــا

يرَفعهـــا مَـــنْ بَنَـــى لـــدى قُـــزَعِ   ألـ   مُـــزنِ وتَنْـــدَى مِـــسْكاً محاربُهـــا

يأنـــسُ فيهـــا صـــوتُ النُهـــامِ إذا   جاوَبَهـــا بالعَـــشِيِّ قاصبُهـــا[13]

...

ويقول عدي بن زيد:

وأخُـــو الحَـــضْرِ إذ بنـــاه وإذ دجـــ   ـلـــة تُجبَـــى إليـــه والخابـــورُ

شـــــادَهُ مَرْمَـــــراً وخلَّلـــــهُ كلـــــ   ســـاً فللطَّيـــر فـــي ذُراهُ وُكـــوُر[14]

وحينما نبحث في هذه الأبيات عن موقع مدينة صنعاء فإننا نجدها محفوفة بالجبال من مختلف جوانبها وقد بُنيت في مكانٍ عالٍ يناطح السّحاب، حيث تأنس في قممها وأعاليها الطيور وخاصة البُوم، ويصف عدي بن زيد موقع مدينة الحضر فهي شامخة في مكانٍ عالٍ وقد أشار إلى ذلك من خلال " أعشاش الطيور " التي بنيت في قممها.

ويصف عدي بن زيد موقع المعلم الذي سُجن فيه:

تركـــوني لـــدى قُـــصُورٍ وأعـــرا   ض قُـــصورٍ لزيفِهـــنَّ مَرَاقـــي[15]

لقد أودعه أعداؤه السجن الذي كنّى بالقصور عنه وهي في مواقع عالية، فمعنى ذلك أن الموقع وَعِرٌ وقد بُنى في منطقة صعبة المسالك، وهذا أمر طبيعي لئلا يُقتحم السجن أو يصل إليه

الأعداء بكل سهولة ويَسُر، فاختيار الموقع في مكان صعب المنال يتناسب والغاية التي بُني من أجلها.

ويفتخر أميّة بن أبي الصلّت بمنعة قومه " ثقيف " وقوتهم وعزّتهم ولا يستطيع أحدٌ اقتحام قومه أو الانتقاص من قدرهم والحط من شأنهم كأنَ عزّهم قصرٌ عالٍ مرتفع لا يقدر أحدٌ على اقتحامه:

نحــــن ثقيــــفٌ، عِزُنـــا منيــــعٌ   أعيـــطُ صعـــب المرتقـــى رفيـــع[16]

وإذا ما بحثنا في البيت عن طرفي التشبيه فإننا نلحظ صورة مكانة القوم الراسخة العصيّة على النيل منها أو إهانتها، بصورة القصر المسمّى " أعيط " المُقام في مكانٍ عالٍ منيع يصعب اقتحامه، هذه الصورة الجمالية تنبض بالحيوية والحركة من جهة وبالثبات من جهة وبالثبات والسكون من جهة أخرى، فالقومُ يتميزون بالرزانة والاستقرار والثقل والمهانة كأنهم حصنٌ منيعٌ متزن ثابت مستقرّ، وهناك صورة حركية من جهة الذين يودّون اقتحام القوم " ثقيف " فلا يقدرون مغالبتهم، فيصطدمون بقوة راسخة قوية، وكأننا أمام ثنائية ضدّية تبدو ملامحها في الشطر الأول من البيت " عِزُ " ثقيف منيع في وجه من تسوّل له نفسه اقتحامهم أو مهاجمتهم " فالهجوم والاقتحام حركة تحمل في ثناياها الفشل والهزيمة أمام ثقيف العزيزة المنيعة " الرُسوخ والقوة والمنَعَة "، وكذلك هناك ثنائية في الشطر الثاني " قصر أعيط " الثبات والاستقرار والمنعة، أمام من يبتغي إرتقاءَه أو الوصول إليه، هذه الثنائية يمكن تشكلها على النحو الآتي: ثقيف " الأهل " عزّهم منيع ثابت مستقرّ. العدوّ فاشل يُدحر حينما يروم الاعتداء عليهم. هذه الصورة الثنائية تشبه الصورة الثنائية التالية:

قصر أعيط راسخ ثابت في مكان مرتفع لا يستطيع العدوّ الوصول إليه فهو مهزوم وفاشل ومندحر لاصطدامه بقوة لا تتزعزع مكانتها " صعبُ المرتقى ".

ويشير أمية بن أبي الصُلت إلى بناء مدينة الطائف في موقع محصّن[17] دليل مَنَعَة قومه وشرف مكانتهم وقوّتهم من خلال الإشارة إلى موقع ديارهم في مدينة " وج " وهي مدينة الطائف، فدارهم تربض في مكان مرتفع من الأرض:

إنّ وجّـــاً ومـــا يلـــي بطـــنَ وجٍّ   دارُ قـــومي بربـــوةٍ ورُتـــوق[18]

ويمدح أُمية ممدوحة بنزوله ذُرى القصور الشامخة العالية وينفي عنه السكن في منخفض الأرض:

لا الغيابــــاتُ مُنْتــــوَاكَ ولكـــنْ   فــي ذُرى مُــشْرِفِ القــصور ثواكــا[19]

ويصف النابغة الذبّياني منازل قومه فيقول:

وحلّــت بُيوتـــي فـــي يَفَــاعٍ مُمَنَّــعٍ   تخــالُ بــه راعـــي الحَمُولــة طــائراً

تــزِلُّ الوُعُــول العُــصْمُ عــن قُذُفاتـــه   وتُــضحي ذُراه بالــسّحاب كــوافرا[20]

يصف الشاعر منازل قومه في الأماكن العالية من خلال الصُور المرئية والحركية التي يمكن تقديمها من خلال هذه العبارات، راعي الحمولة، الطائر، تَزلُّ الوعول، السّحاب، وإذا ما عُدنا لربط هذه الصُور معاً فإنه يمكن تشكيلها جمالياً على هذا الوجه " لقد سكن قومُه في منازل عالية في أماكن محصنّة تخطف البصر ويزيغ عنها فيعود كليلاً ضعيفاً يرى الكبير صغيراً لبعده، وهنا تبرز ثنائية القرب والبعد، فالمنزل على قمة الجبل يبدو للقريب بصورته الحقيقية، ولكن البعيد يراه صغيراً لاسيّما إذا كانت الرؤية منطلقة من الأسفل إلى الأعلى، ويبدو راعي الإبل في هذا المكان كأنه طائرٌ صغير، وهذه الصورة الجمالية النابضة بالحركة والحيوية تتعزّز قيمتها من خلال عنصر التحّول ويتضاءل حجمه ويتناقص للرائي فيبدو بحجم الطائر الصغير، وهذا مؤشر ودليل على علوّ المكان وارتفاعه الذي يسكن فيه قوم الشاعر، وإذا ما انتقلنا إلى صورة الوُعول التي تزل عن جوانبه ونواحيه، فمعنى ذلك أن هذه المنازل عالية في السماء ومُشرفة وقد اعتصمت هذه الوعول بالجبال وامتنعت فيها، ويؤكّد الشاعر ارتفاع هذه المعالم العُمرانية من خلال قوله " وتُضحي ذُراه بالسَّحاب كوافرا " صورة جميلة رسمها الشاعر لعلو هذه المنازل، فقد اقتربت من السّحاب فكأنها كفرت أنفسها بالسّحاب، كأنه إكليلٌ ويشتمل عليها. ويُحدد علقمة الفحل موقع حصني براقش ومعين " فهما في جبل عالٍ مرتفع:

وهـــل أســـوَى بـــراقشُ حـــين أســـوَى   ببلقعـــــةٍ ومنبـــــسطٍ أنيـــــــق

وحَلُّـــوا مـــن معيـــنٍ يـــومَ حَلُّـــوا   لعِزّهـــم لـــدى الفـــجّ العميـــق[21]

ويفتخر زهير بن أبي سلمى على بني تميم ويريهم قوة قومه وتمكُّنهم:

ألا أبلِـــغْ لديـــك بنـــي تميْـــمٍ   وقـــد يأتيـــك بالخبـــر الظُنـــونُ

بـــأنَ بُيُوتَنـــاَ بمحـــلِّ حجـــر   بكـــلِّ قـــرارةٍ منهـــا نكـــونُ

إلـــى قَلْهَـــى تكـــونُ الـــدّار منّـــا   إلـــى أكنـــافِ دُومَـــةَ فالحجـــونُ

بأوديَــــــةٍ أسافِلُهُــــــنَّ روْضُ   وأعلاهـــا إذا خِفْنـــا حـــصونُ[22]

إن افتخار زهير يتركز على البعد العُمراني من خلال ثنائية ضدّية تتمحورُ حولها الأبيات، وهذه الثنائية تظهر بوضوح في البيت الرابع:

الأسافل والأعالي.

وهذان القُطبان يشكّلان فضاءً حيّاً يعبق بالحضارة العُمرانية وإن شئت تزدهر في أنحائه الحضارة ببعدها المادي، وهذه الثنائية على الرُغم من تضادّها أسفل، وأعلى، فهي تحملُ في أعماقها عنصر الحياة والخصوبة والتوالُد، فالمنطقة الجغرافية ذات التضاريس المتضّادة تبشّر بميلاد جديد وفجرٍ آمن، أسافل المنطقة رياضُ وجنّات، وهذا مؤشر على خصوبة المنطقة واهتمام أهلها بالزراعة مما يعني أنهم أهل حاضرة وليسوا أهل بادية أي أنهم آمنون بمنازل عُمرانية لا في بيوت الشَعر التي هي من سمات أهل البادية، وإن كلمة روض في المنطقة السُفلى توحي بالحياة والخصوبة والولادة والرّغبة في عملية البناء والإزدهار، وهي نقيض الهدم والخراب، وأما المنطقة العلوية (أعلاها) فهي الملجأ والمأوى حينما يخاف الإنسان أو يخشى على نفسه هجمات الأعداء، فهي منطقة محصّنة يأمن في ظلها الإنسان، ومن هنا تظهر عملية الرغبة في الحياة والإعمار من خلال قوله إذا خفنا، فهو يهرب إلى الحصون خوفاً من الموت ورغبة في استمرارية الحياة. وتتوزّع على هذه المنطقة الأماكن العُمرانية: حجر، وقلهى، ودُومة، والحجون".

ويصف الأعشى الأماكن التي كان لديه فيها ذكريات في اللهو والطّرب:

وصحِبْنَــا مــن آلِ جَفْنــةَ أمــلا ... كــاً كرامــاً بالــشـَام ذات الرفيــفِ

وبنــي المنــذر الأشــاهبِ بالحيــ ... رة يمــشون غُــدْوَةً كالــسُيـوفِ

وَجُلُنْــدَاءَ فــي عُمَــانَ مقيمــاً ... ثــم قيــساً فــي حـضرموتَ المُنيـفِ

قاعــداً حولَــه النّدامــى فمـا ينــ ... فــكُ يُؤتَــى بُمُوكــرٍ مجــدُوفِ

وَصَــدُوحٍ إذ يُهيّجُهَــا الــشُـر ... بُ ترقّــتْ فــي مِزْهَــرٍ منــدُوفِ[23]

وفي هذه الأبيات يتوقف الشاعر عند المعالم العُمرانية " الشام، والحيرة، وعُمان، وحضرموت " فقد لعب الشاعر ولَهَا في المرابع والمصايف، وصحب ملوكاً يتميزون بالكرم ونُبل الأخلاق وهم ملوك آل جفنة في الشام ذات الخصب والزراعة، وصحب بني المنذر ملوك الحيرة وهؤلاء بيض الوجوه يمضون في الغداة كأنهم السيوف، والتقى الشاعر بجلنداء في عُمان وقيس في حضرموت حيث القصور الشامخة البنيان وفيها شارك بمجالس اللهو والطرب والخمر والغناء على أوتار العود، وهذه المعالم العُمرانية تفوح من ثناياها رائحة اللهو والطرب، ولعلّ هذا الفرحِ تزداد نشوته وفاعليته حينما يكون المكان المُعَدُ لذلك عالياً مرتفعاً لأن هذا يجلب الدّفء

والحيويَّة والنشاط في ظلال الأجواء المعطَّرة بالنسيم العليل، ومن هنا يكمن سرّ اختيار الشاعر النَّدامى حيث كؤوس الخمر والغناء والطرب في قصور حضرموت المنيفة.

ويصف الأعشى حصن المشقّر:

سائــلْ تميمــاً بهــم أيّــامَ صَــفْقَتِهِمْ	**لمّــا رآهــمْ أســارَى كُلُّهُــمْ ضَرَعــا**
وَسْـطَ المُـشَقَّرِ فــي عَيْطــاءَ مُظْلِمَــةٍ	**لا يــستطيعون فيهــا ثَــمَّ مُمْتَنَعَــا**
فقــال للمَلْــك ســرِّح مــنهُمُ مائــةً	**رِسلاً من القول مخفوضاً وما رَفَعَا**
ففــكَّ عــن مائــةٍ مــنهم وثــاقَهُمُ	**فأصــبحوا كُلُّهُــمْ مــن غُلِّــه خُلِعــا**
بهــم تقــرَّب يــوَمَ الفِــصح ضــاحيةً	**يرجُو الإله بما سدّى وما صنعا**[24]

المعلم العُمراني البارز في هذه الأبيات.

هو حصن المُشَقَّر الذي يجثُمُ في هضبةٍ شامخة منيعة لا يستطيع أحدٌ اقتحامها، ولكي يدُلك على رهبة هذا الحصن ومنعته لم يكتف بموقعه، بل وصف هذه الهضبة بأنها مظلمة، وهذا تأكيد على رهبة الحصن لأن الظلمة موحشة تبعث الخوف في نفس من تُسوِّل له نفسه مهاجمة الحصن.

وإذا ما ربطنا هذا الموقع بالجوّ العام للنص فإنّ ثمة علاقة حميمة بينهما، فليس من المعقول أن يُزجّ أسرى الحروب في المتنزهات أو في الأماكن العامة، لئلا يكون ذلك سبيلاً إلى عملية اقتحامٍ لفكّ قيودهم من الأسر، ومن هنا نرى التناسب في عملية اختيار المكان، ليكون الجزاء من جنس العمل، وحينما نبحث في النص عن هذا الجوّ المُرعب فإن ثمة إشارات تؤكّد هول الموقف في هذا الحصن المنيع، الأسارى كُلُّهم ضرعا، والعيطاء المظلمة، ولا يستطيعون، والممتنع، والرِّسل من القول المخفوض مِنْ جانب مَن جاء شفيعاً لأسرى بني تميم عند كسرى.

ومما سبق يتضح أن هناك صورة قاتمة ومظلمة في هذا الحصن تتوزّع أجزاؤها بين (المكان العُمراني، والأسرى، والوُسطاء) المكان منيعٌ مظلمٌ في هضبة مرتفعة عالية، وفيه الأسرى لا يرفعون هاماتهم فهم أذِلاء، والوُسطاء يتحدثون إلى كسرى بلغة هادئةٍ لا يرفعون أصواتهم ليشفع لهم (رِسلاً من القول مخفوضاً وما رفعا) وعُقدت الصفقة يوم فصح النصارى بإخلاء سبيل مائةٍ من أسرى بني تميم في هذا الحصن المنيع.

ويمدح الأعشى السَّموْأل بحصنه المشهور الأبلق:

بالأبلــقِ الفَــرْدِ مــن تيمــاءَ منزِلُــهُ	**حِـصْنٌ حـصينٌ وجـارٌ غيـرُ غـدّار**[25]

إنَّ هذا الحصن المسمَّى بالأبلق عصيٌّ على الأعداء لأنه محصَّن منيع، لا نظير له، ولأهمية هذا المعقل الحصين افتتح الشاعر البيت به وأردف خطابه بصفة (الفردِ) التي تكشف عظمة الموصوف (الأبلق)، ولو لم يقرن الموصوف بهذه الصفة لما كان للحصن هذه السِّمة المتميِّزة، ولَغَدا حصناً عاديًّا يُحاكي الحصون الأخرى، فهو فريدٌ لا يضارعه حصن، وتأتي الكلمتان "حصنٌ حصينٌ " لتميز هذه الصفة (الفرد) وتوضيح كنهها ومضمونها فالصفة (الفرد) هي في الموقع والبناء والجاهزية والفاعلية، ويعرض الشاعر الكلمتين " حصن حصين " إمعاناً في هذه السِّمة المميِّزة لهذا الحصن، فلم يكتفِ بالقول إنه حصن، بل أردف الموصوف بصفةٍ تكشف منعه هذا الحصن وقوته، ومن هنا تبدو الصورة على هذا النحو الأبلق الفرد: الحصن الحصين. ولنلاحظ موقع هاتين الجملتين في البيت الشعري. الأبلق الفرد في صدر الشطر الأول. والحصن الحصين في الشطر الثاني، ولعلَّ هذه الصَّدارة في النظم تنسجم وصدارة الحصن على أرض الواقع حيث التميُّز في المنعة والقوة، لاسيّما إذا أخذنا بعين الاعتبار صدارة الأبلق في موقعه الشامخ الجاثم في منطقة مرتفعة، ومن هنا تتناغم هذه الخصوبة المتميّزة لهذا الحصن بين موقعه على أرض الواقع وصدارته في البيت الشعري بشطريه الأول والثاني، فاستحق هذه الخصوصية التي تؤهله للتميُّز بين أقرانه.

ويرتبط حصن " الأبلق " بالسَّموأل:

كُـن كالـسَّموأل إذ سـار الهُمـامُ لـه ... فـي جَحْفَـلٍ كَـسَوادِ الليـلِ جـرّار

جـارُ ابـن حَيَّـا لمـن نَالَتْـهُ ذِمَتُـه ... أوفـى وأمنـعُ مـن جـار ابـن عمَّـار [26]

ويفتخر الأعشى بإحدى مغامراته في المعاقل المحصنة المنيعة:

ولقـد أنـالُ الوَصْـلَ فـي مُتَمَنَّـعٍ ... صَعْـبٍ بنـاه الأوَلـون مَـصَادِ

مَنَعَـتْ قيـاسُ الماسِخيّـةِ رأسَـه ... بـسهامِ يثْـربَ أو سِهَـام بَـلاَد

وَتَـرى الحَمَـام مُعَانقـاً شُرُفاتـِه ... يَهْـدِلْنَ بـين أجنَّـةٍ وحَـصَادِ [27]

ولو بحثنا عن مسرح مغامرات الشاعر لوجدنا القصور والحصون المنيعة، فإذا كان الشاعر غير قادر على لقاء محبوبته في الأماكن العامة حيث يخشى على نفسه، فإن الوصل واللقاء يكون في الأماكن القاصية البعيدة التي يصعب على الناس ارتيادها لموقعها المُمنّع والمحصّن (في مُتَمَنّع) وهذا الحصن بناءُ قديم أسسه الأولون، وفي هذا السيّاق تطلّ ثنائية البُعد والقُربَ، لتشكّلَ مركزاً أساسياً وبؤرة رئيسةْ تدور في فلكها الأبيات.

فيندرج تحت القرب كلّ من: الوصل، والحمام المعُانق، وهديل الحمام بين الأجنّة والحصادِ، أما البُعد فيستقطب كلاً من: المَتَمَنِّع، والصعب، والمنع، والسهام ولكن هذا البُعد والامتناع حيث الموقع المحصَن، والحرَاس الأشِدّاء الذين وقفوا على رأس الحصن بأدوات القتال من القِسيّ والسِّهام لا يمنع عملية الاختراق وتجاوُز هذه الصعوبات، ومن هنا تأتي عبارة (ولقد أنالُ الوَصلَ) في البيت الأول ويعزِّز هذه الرؤية البيت الثالث (وترى الحمام معانقاً شُرفاته) هذه المعانقة الحميمة بين الحمام وشُرفات الحصن، توحي بالوصل الذي سعى إليه الشاعر في هذا الحصن المنيع، ولنلاحظ أطراف المعادلة الحمام وَشُرُفات الحصن، المحب: وهو الشاعر والوصل في هذا الحصن الذي تقبع فيه محبوبته والمُحبّ والحمام يسعيان إلى تحقيق الطموح والأمن والراحة، وهذه الغاية تتحقق للمُحبّ في الحصن المنيع الذي تسكن فيه محبوبته والحمام يحقّقَ طموحه من خلال معانقته لشُرُفات القصر، حيث تبدأ نشوته من خلال غنائه (الهديل) وتنقّله بين شُرُفات القصر والجنان حيث الأغصان والثمار، والهديل مؤشر على الأمن والراحة والهدوء، كما تتحقق هذه الغاية لدى المحبّ في أحضان الحصن المنيع، فيقول:

إذ سامَــهُ خُطّتَــي خـسفٍ فقــال لــه:	**مهمــا تَقلْـــهُ فإنِّـــي سامِـــعُ حــــارِ**
فقــال: ثُكْــلُ وغَــدْرٌ أنــت بينهمــا	**فأختــر ومــا فيهمــا حــظٌ لمختــارِ**
فــشكّ غيــرَ قليــلٍ ثــم قــال لــه:	**اذْبــح هَدِيَّــك إنــي مانــعُ جــاري**
إنّ لــــه خَلَفَــــاً إن كنــــتَ قاتلَــــهُ	**وإنْ قتلــــت كريمــــاً غيــــرَ عُــــوّار**
مــالاً كثيــراً وَعِرْضــاً غيــرَ ذي دَنَــسٍ	**وإخــــوةً مثلــــه ليــــسوا بأشــــرار**

إلى أن قال:

فقـــال تقدمـــة إذ قـــامَ يقتلـــه	**أشْـرِفْ سـموألُ فـانظر للـدَم الجـاري**
فـشكّ أوداجَـه والـصّدرُ فـي مـضضٍ	**عليـــه منطويـــاً كاللَّـــذع بالنـــارِ**
واختـــار أدراعَـــه ألاّ يُـــسَبّ بهـــا	**ولـــم يكـــن عهـــدُهُ فيهـــا بختّـــارِ**
قـــال لا اشتـــري عـــاراً بمكرُمـــةٍ	**فاختـــارَ مَكْرُمـــةَ الـــدنيا علـــى العـــارِ**
والـصبر منــه قديمــاً شــيمةٌ خُلُــقٌ	**وَزَنْـدُهُ فـي الوفـاءِ الثاقـبُ الـواري**[28]

هذه قصة السَّموأل مع الملك الغساني أو الحارث بن ظالم المرّي، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحصن " الأبلق " إذ جرت أحداثها في هذا الحصن، فقد هاجم الملك الغساني أو الحارث ظالم

المرّي السّموأل في حصنه لانتزاع الأمانة التي أودعها امرؤ القيس عند السّموأل، بعد سفره إلى قيصر روما، وهذه الأمانة هي دروع وأسلحة، وتقدم الملك الغساني بجيش جرار صوب الحصن لمساومة السّموأل على هذه الدروع فرفض تسليمها، وأغلق باب الحصن، وصادف أن أحد أبناء السّموأل كان خارج الحصن، وحينما عاد ألقى الجيش القبض عليه. فكان رهينة لمساومة أبيه، وهدّدوه بالقتل إن لم تُسلم الأسلحة، إلا أن السّموأل لم يستجب لهذا الأمر، وفضّل الوفاء بالأمانة والمحافظة عليها وإن قُتل ابنه منطلقاً من رفض العار والخيانة مختاراً مكرمة الدنيا على العار.

وقـال لا اشتـري عـاراً بمكرمـةٍ   فاختـار مَكْرُمـةَ الدنيـا علـى العـار

وكانت النتيجة ذبح ابنه أمام عينيه:

ويطرح السؤال نفسه في هذا السياق: لِمَ لَمْ يقتحم الغسّاني وجيشه الحصنَ للاستيلاء على هذه الدروع ؟ إنّ الحصن قلعة حصينة كما مرّ آنفاً لا يقوى الجيش على اقتحامها والنيل منها والدخول إليها، وهذا ما يُفسّر قتل أبن السّموأل ونكوص الجيش دون الاستيلاء على هذه الدروع.

بـالأبلق الفـرد مـن تيمـاءَ منزلُـهُ   حِـصْنٌ حـصينٌ وجـارٌ غيـرُ غـدّارِ

وقال الأعشى مفتخراً بقومه ومذكّراً بآثارهم العُمرانية:

ألـم تـرَ أنّ العَـرْضَ أصـبح بطنُهـا   نخيـلاً وزرعـاً نابتـاً وفصافـصا

وذا شُـرُفات يُقْـصرُ الطيـرُ دونـه   تـرى للِحَمَام الـوُرقِ فيـه قرامِصَا[29]

يرسم الأعشى لوحة جميلة كأنها ثوبٌ موشى ومزركش بشتى الألوان الزاهية فبساط هذه اللوحة الوديان ورؤوس الجبال، وعناصرها الأشجار والطيور، وتحيط العِرض (وادي العرضِ) غابةٌ من أشجار النخيل والزرع وقمم الجبال مكان تُشرف من عليائه القصور، وفي هذه اللوحة تبرز ثنائية القمة والقاعدة، فالقصر والشُرُفات والحمام تمثّل القمّة، وبطن العِرضِ والنبات والأشجار تمثّل القاعدة، فالقاعدة فاعلة وعاملة في أرضها ومتوحّدة ومتجذّرة في الأرض لأنها مصدر الخير والعطاء ومن هنا جاء الفعل أصبح العائد إلى العرضِ، مؤشراً على عملية الفاعلية والبناء والعمل، فقد يدلّ هذا الفعل " أصبح " على أن بطن الوادي كان غير مُستَغَلٍّ، لاسيما أن " أصبح " تفيد التحوُّل من حالٍ إلى حال، فقد تحوّل هذا الوادي بفعل العمل إلى أرض معطاءة منتجة، ومن هنا جاءَت الكلمات: النخيل، والزرع النابت، والفصافص (علف الدّواب)، كدوالّ على أن ثمة حياة وخصباً في هذا المكان (القاعدة)، وأما القمّة التي تمثّلها القصور فهي رابضةٌ

في موقع مرتفع، ويأتي الفعل " يقصُر " ليعزِّز عملية الارتفاع والشّموخ والقمّة، وتتقّوى دلالته هذه حينما يرتبط بقوة فاعلة (الطير) التي تسكن القمّة، فإذا كان الطير يعجز عن معانقة شُرُفات القصور، فمعنى ذلك أن موقعها شاهقٌ يصعب الوصول إليه، ومع ذلك ترى الحمام تبني أعشاشها على هذه القصور.

ويؤكد حاتم الطائي بأن ساكن العلياء مثل ساكن الصحراء في نظر الموت[30]:

ومـا أهـلُ طَـودٍ مكفهـرٍ حـصونُه	**من الموت ِ إلا مثل من حلَّ في الصَّحرِ**
ومـا دارعٌ إلا كآخـر حاسـرٍ	**ومـا مقتـرٍ إلا كآخـر ذي وفـر**
تنـوط لنـا حـبَّ الحيـاة نفوسُنـا	**شقاءً ويأتي الموتُ من حيثُ لا ندري[31]**

يعالج هذا النص قضية الموت من خلال طرح الشاعر لأحد المعالم العُمرانية وهو الحصن، فالحصن في مكانٍ عالٍ شاهق من الجبل يسكن فيه أهله، ومع هذا الأمان والاستقرار والتحصُّن في هذا المكان إلا أن ذلك لا يمنع من تسلُّل الموت إلى قلب هذا الحصن والإطاحة بأهله، ويؤكد الشاعر هذه الحقيقة من خلال هذه الثنائية الحصون والصحر، فالحصون تربضفي مكان عالٍ والصحراء أرضٌ منخفضة يسهلُ اقتحامها، ومن هنا لا فرق بين الحصون والصحارى في نظر الموت، فمن حلَّ في الحصون أو الصحر فإنه قريب يسير في نظر الموت، فهذه الثنائية الحصون والصحر تتوحَّد معاً في نظر الموت وتغدو محطَّة سهلة المنال وبلوغ الهدف، ومن هنا تبدو هذه الثنائية أمام الموت عاجزة ومستسلمة تتلاشى بينها أسباب المنعة والمخاطر، ويعزِّز الشاعر هذه القضية بثنائية أخرى في البيت الثاني دارع وحاسر وقصرٌ وذو وفر، فالموت يُدرك الجندي المتحصِّن بالدروع وكذلك الذي لا درع له، كما يدرك الغنيّ والفقير، وفي البيت الأخير تظهر ثنائية الحياة والموت، لتكون عنواناً أساسياً للثنائيات السابقة، فالإنسان يعيش حياته في الحصون غنياً أو فقيراً متحصناً أو غير ذلك، فإن الموت يقتحمه ويحوِّله إلى الهلاك والفناء.

وقد يقف السيد العظيم عند العرب في منزلة الحصن، يلوذ به الناس، فإن مات أو هوى، تَقوّض ذلك الحصن وتهدَّم، وأصبح في العراء غرضاً يرمى، وهي فكرة تؤكدً أن العرب حصونها رجالُها[32] قال مهلهل بن ربيعة يرثى أخاه كليباً:

هُـدّتْ حـصونٌ كـنَ قبـلُ مـلاوذاً	**لـذوي الكهـولِ معـاً وللـشبَّان**
أضحـتْ وأضـحى سُـورُها مـن بعـده	**مُتهـدَّمَ الأركـان والبنيـان**
فأبكيـنَ سيِّـدَ قومـه واندبنـه	**شـدّت عليـه قباطـيَ الأكفـان[33]**

تبرز في هذا النص بعض المعالم العُمرانية كالحصُون، ويشير الشاعر إلى أجزائها مثل الأركان، والبنيان، والسُور، ويأتي ذكر هذه المعالم في معرض حديث الشاعر عن قيمة الرِّجال الأشدّاء الذين يُشكّلون ملجأً لجميع الناس من الكهول والشبان، فقد شبّه الشاعر أخاه كليباً الذي كان ملاذاً للشيّب والشبان زمن العُسرة والشدّة ثم هوى نجمه كالحصن المنيع الذي يلجأ إليه الجميع للحماية من الأعداء، ثم تهدّم الحصن فتفرّق الناس ليصبحوا عرضة لِسهام الآخرين وطمعهم.

ولقد كان كليبُ السُور الذي يحمي الجميع، والرُكن المنيع الذي يستند إليه الأهل والأصدقاء، والبُنيان الحصين الذي يستظل فيه الأهل.

فانهدم الحصن والسُور والأركان والبُينان فتفرق الناس في العراء عُرضة لطمع الأعداء والطامحين، وأخيراً يدعو الشاعر إلى البكاء على الفقيد حيث لُفّ جسده بالأكفان، هذه هي النهاية الحزينة للجميع، ولكنها هنا نهاية مأساوية سوداوية لبطلٍ شُجاع هو كليب الذي يُشبه النهاية الحزينة للحصن المنيع الذي آل إلى الخراب والزّوال.

ويؤكدُ المخبَّل السّعْدي حتمية الموت وملاحقته للإنسان أينما حلّ ولو سكن في حِصنٍ منيع:

ولـــئنْ بَنَيْـــتَ لـــيَ المُـــشَقَّرَ فـــي هَـــضْبٍ تُقَـــصّرُ دُونَـــه العُـــصْمُ

لَتُنقبَـــــنْ عَنّـــــي المنيّـــــةُ إنّ اللــــه ليـــس كحُكْمِـــه حُكْـــمُ[34]

ويُبرز الشاعر الموقع الحصين " لحصن المشقَّر " فهو في هضبةٍ عاليةٍ لا تستطيع الوُعول الوصول إليها، وهذا إمعانٌ في المنَعَة والعُلُوّ، وكذلك دليلٌ على أن موقع هذا الحِصْن صعب المسالك، فإذا كانت الوُعول التي تألف الدروب الوَعرة – وهذا شأنها وطبيعتها – عاجزة عن السيّر للوصول إلى هذا الحصن، فإنّ المنيّة والموت لا يعجزان عن اقتحام أحصن المواقع، ولنلاحظ دلالة الفعل " تنقّبَنْ " فهو اختيارٌ موفَّق يتناسب " وموقع حصن المشقّر " في المكان المنيع، فالفعل لتنقّبَنْ يعني البحث والتفتيش الدقيق، ولن يكون ذلك إلا إذا كان المطلوب يختبىء في مكانٍ آمن بعيدٍ عن الأعيُن، وإذا كان الإنسان آمناً في هذا المكان بعيداً عن الطامعين من البشر، ولا يستطيع أحدُ النيل منه، فإن الموت لا يقف عاجزاً عن نيل مُبتغاه ومقاصده.

وهكذا استعرض الشعراء منذ القدم أبنية الأُمم الخالية من الحصون والقصور ولم يصفوها من الخارج فحسب، بل راحوا يتجذرون في أعماقها ويربطونها بالقضية الأزلية التي تؤرقهم وهي الموت، كما أشاروا إلى جماليات الحصون والقصور والقلاع باعتبارها مأوى الممدوحين.

جغرافية العُمران في الشعر

ولئن قرر الإنسان الاستقرار في مجتمعات زراعية أو حضارية، فإن البناء والعمران هما عاملا هذا اللون الحضاري لحياة الناس، ولكن الإنسان لم يكتف بهذا التشييد والبناء، لأن عالم الفن والجمال يسيطر عليه، ولذا فقد يتحسس اللمسات الفنية التي تعطي بناءه مزيداً من الجمال والبهجة، فابتدأ بالطبيعة نفسها، وأخذ يرصد المواقع والعناصر التي تمنح عمرانه هذه اللمسة الجمالية، فنظر إلى الجبل والنهر والغابة وكل ما شأنه زيادة مسح الجمال على هذا المشيد، فاقترب من هذه العناصر الطبيعية مستغلاً ديمومتها، وجعل منها جزءاً لا يتجزأ من فنيات عمارته وجمالها.

وإذا ما انتقلنا إلى وصف جغرافية العُمران حيث المعالم العُمرانية وما ينتشر حولها من الموارد الطبيعية، فقد قال تُبع* يصف صنعاء وما حولها:

دارُنـــا الـــدّارُ مـــا تُـــرام اهتـــضاماً ... مـــن عـــدوٍّ ودارُنـــا خيـــرُ دارِ

إنّ قحطــــانَ إذ بناهــــا بناهــــا ... بيــــن بريَّــــةٍ وبيــــن بحــــارِ

نُطِّقَــت بــالكروم والنخــل والــزر ... ع وأصنــــاف طيــــب الأشجــــارِ

وتــسيحُ العيــونُ فيهــا فمــا تــسـ ... ـــع إلا تسلـــسلَ الأنهــــارِ

ليـــس يؤذيهـــمُ فيهـــا وَهـــجُ الحـــرّ ... ولا القرفــــى زمــــانَ اقتــــرارِ

طـــاب فيهـــا الطعـــامُ والمـــاءُ والنّـــو مُ ... وليــــــلٌ مطيَّــــــبٌ كالنّهــــــارِ

إنَّ آثارَنـــــا تـــــدلُّ علينـــــا ... فانظـــروا بعدَنـــا إلـــى الآثـــار[35]

لننظر إلى استراتيجية موقع مدينة صنعاء، فهي تحتلُّ موقعاً متوسطاً بين البريّة والبحار، ومنذ البداية تبرز الثنائية: البريّة والبحار، فالبريّة تعنى القحط والفقر والجدب، بينما تعني البحار الحياة والخصب والغنى، وربما قصد الشاعر بالبحار كل المصادر الطبيعية الغنية بالمياه من الأنهار والآبار والعيون، وهذا ما تؤكّده الأبيات التالية، ويطرح السؤال نفسه في هذا السياق لِمَ عزف الشاعر عن الجانب الآخر من الثنائية وهو البريّة ؟ لعل ذلك يعود إلى رفض هذه الحياة القاتمة المظلمة، ومن هنا اتّجه الشاعر إلى إبراز الجانب المشرق من هذه الحياة الزاخرة بالحيوية والخصب والعطاء، ولهذا السبب نجد افتخار الشاعر بهذه الدّار التي هي خير دار قد بناها الأقدمون، وتخيرّوا موقعها المناسب بأرض خصبةٍ غنية بالخيرات، فأحاطوها بأصناف الأشجار من الفاكهة الطيِّبة اللذيذة، حيث تتدفق مياه العيون عبر هذه البساتين لا تسمع إلا خريرها ذا النغم

الخالد الجميل، فلا أشعّة الشمس اللاهبة تصل إليها، ويتلذّذ سكانها بأطيب الطعام وأنقى المياه وأعذبها، إنها الآثار الجميلة التي تدلّ على غاية في الإبداع والفن، لوحة جميلة خلّابة تسرُّ الناظرين وتتشكّل هذه اللوحة من صور سمعية حيث خرير الماء وصور ذات ألوان زاهية لصنوف الفاكهة والأشجار، وصور شميّة لما تنشرُهُ من روائح عطرة فوّاحة. فما أجمل هذه اللوحة ذات الصور الزاهية التي تبعث في النفس الأمل والراحة والاطمئنان، فكُلّها تُشبع غرائز الإنسان وتلبِّي حاجاته ومتطلبات حياته.

ويفتخر أسعد تُبَع بقصره ريدان في مدينة ظُفار والمنازل التي شادها أجدادُه:

وريــدانُ قـصري فـي ظُفَــارٍ ومنزلــي	**بهـــا أسَّ جــدّي دورَنـــا والمناهـــلا**
على الجنّة الخضراءِ من أرضِ يحصبٍ	**ثمـانون سـداً تقـذف المـاءَ سـائلاً[36]**

وإن نظرةً لجغرافية القصر والمنازل ترينا طبيعة المنطقة التي بُنيت فيها هذه المعالم العُمرانية، فهي رابضةٌ وسط جنّات خضراء من الأرض، وتروى هذه الجنات بمياه السُدود، وفي هذين البيتين معالم عُمرانية زاخرة بالحياة، فهناك القصور والمنازل والدّيار والآبار والسدود، وهي آثار الآباء والأجداد تدلّ على عظمة حضارتهم وازدهارها.

ولو توقفنا قليلاً عند جمالية هذه الصورة العُمرانية فإننا ندهش للفن المعماري الذي يشع إبداعه من خلال رسم لوحة جميلة تتآلف عناصرها معاً وتتناغم لتشكّل صورة زاهية مشرقة تنبض بالحياة والحيوية. فعلى أرضية هذه اللوحة تجثُم القصور ومنازل القوم بأشكالها المختلفة وتمتلىء بساكنيها، وفي محيطها ترى الأشجار الخضراء الباسقة تتعانق معاً وتتشابك لتشكّل جنّة خضراء، وترى المياه تجري تحتها وتنساب من الآبار والمناهل، كما ترى السُدود تتدفّق مياهها بغزارة لتسقي هذه الجنّات، وتتأكّد حيوية الصورة وحياتها بالعدد الكبير من المعالم العُمرانية (ثمانون سَدّاً)، ومن هنا جاءَ الفعل " تقذف " منسجماً مع العدد الكبير، فإذا كانت السُدود كثيرة فإن عملية ضخّ المياه بكثافة وغزارة ستكون سمة بارزة.

ويصف أبو الصّلت والد أُميّة منطقة مدينة " وجّ " فيقول:

نحــن المبنُّــون فــي وجٍّ علــى شَــرَفٍ	**تلقـــى لنـــا شُفَعَـــاً منـــه وأركانـــا**
إلـى أن يقـول: ويـانعُ مـن صنوف الكرم	**منــــه ونعــــصرُه خــــلاً ولذّانــــا**
قـد ادْهأمَـت وأمـست ماؤهـا غـدق	**يمــشي معـــاً أصــلها والفــرع أبّانــا**
فيهـــا كواكـــب مثلـــوجُ مناهلُهـــا	**يـشفي الغليـل بهـا مـن كـان صَدْيانا[37]**

إن وجّاً هي مدينة الطائف التي تقع في منطقة خصبة مشتهرة بكرومها وعنبها وزيتونها ورُمانها، وتشتهر بمائها العذب البارد الذي يطفيء ظمأ العطاش.

ويقول أُميّة بن أبي الصّلت في وصف أحد القصور:

قـصرٌ بنـاهُ أبـوك القَيْـلُ ذو شـرحٍ	**فهـل يُـرى أحـدٌ نـال الـذي نـالا**
قـد تُحـسرُ الطَيْـر عنـه أن تُعاليَـه	**والطيّـرُ تـنقَضُ إصـعاداً وإسـهالاً**
وإن تُحاذيَـه إلاّ هـاضَ أعظُمهـا	**طـولَ التّخـالُف إدبـاراً وإقبـالاً[38]**

لقد بنى القَيْلُ قصَره الذي يُعَدُّ مكرمةً من المكارم ولا يستطيع أحدُ مجاراته فيه، وهذا القصر يجثُم في مكان عالٍ مرتفع. وقد أشار الشاعر إلى هذا العلوّ والمكانة للقصر في البيت الثاني قد تحسرِ الطَّيرُ عنه، وإذا ما عرفنا أن الطير يألف الفضاء، وكأنه الطبيعي هو في الأعالي أدركنا أن القصر ذو مكان مرتفع، تعجز الطير عن بلوغه ويصيبها الكلل والإعياء من هذه المحاولة في الارتقاء إلى القصر، وإذا ما قاربت الوصول إلى القصر فإنها تحقّق ذلك بعد أن تتكسّر عظامُها " هاض أُعظُمها " فعملية وصول الطير إلى القصر عملية تشوبُها المخاطر ومكللة بالصعاب والمشاقَ ولنلاحظ العملية الشاقّة لمحاولة وصول الطير إلى هذا المكان العُمراني " القصر " من خلال هذه الثنائية الإصعاد والإسهال، والإدبار والإقبال، فالطير ترتقي الجبال وتحاول ثم سرعان ما تعجز لنراها في السّهل، والطير تُقبل للتحليق والوصول إلى القصر ولكنها تتراجع وتولّي الإدبار، هذه الثنائية تدلُّ على صعوبة الوصول إلى القصر.

وقال المشمرح اليشكري مشيراً إلى عدن أقصى المدن اليمنية بالنسبة إلى سكان الشمال، فالشاعر يقول لنا إنّ الذين رأوا جيش النعمان قادماً لحربهم تمنوا أن لو كانوا في أقصى البلاد العربية:

لمّـا رأوا رايـةَ النُعمـان مقبلـةً	**قـالوا ألا ليـتَ أدنـى دارنـا عَـدَنُ[39]**

ويحدّد لبيد بن ربيعة العامري موقع قصر ناعط والمشقّر وحصن دومة الجندل:

وأفنـى بنـاتُ الدّهـر أربـابَ ناعـطٍ	**بمُـستَمَعٍ دون الـسّماءِ ومَنْظَـر**
وأعْوَصْـنَ بالدُومـيِّ من رأسِ حِصنِه	**وأنـزلْنَ بالأسـباب ربَّ المُـشَقَّر[40]**

يعرض هذان البيتان لمعالم عُمرانية هي: قصر ناعطٍ، وقصر المُشَقَّر، وحصن دُومةَ الجندل وترتبط بهذه المعالم قضية الموت والزّوال والفناء، ويطرح السؤال نفسه هنا: لمَ ربط الشعراء الموت بالقصور ؟ أغلب الظنّ أن ثمّة فلسفة وراء ذلك.

وتتلَّخص أبعادها في تحصين القصور ومواقعها الشامخة المرتفعة، وعودة إلى قضية تحديد موقع هذه المعالم العُمرانية فإننا نراها تقع في مكان عالٍ يطاول السَّماء علواً.

ويبدو أن الحياة في هذه القصور كانت تزخر بالأمن والرَّخاء والسعادة، (أرباب ناعط بمُستمعٍ دون السماء ومنْظر)، وتأتي الأفعال (أفنى، وأعوص، وأنزل) لتؤكِّد أن هناك حياةً سعيدةً تحوَّلت بفعل بنات الدَّهر إلى النقيض وإلى الهدم بعد البناء، فالفعل أفنى حدثٌ مُدمِّر لأصحاب قصر ناعط الذين كانوا يسكنون في حصنهم الذي يطاول السماء حيث سعة العيش والمناظر الخلابَة الحسنة، والفعل أعوص يعني الإنقلاب، وهذا حدثٌ تغييري وتحويلي من حياة إلى أُخرى فقد نقل ملك دُومة الجندل من رأس حصنه إلى موقع آخر هو الهلاك.

والفعل أنزل يعني إحداث تغييري من القمة إلى القاعدة أو من الأعلى إلى الأسفل أو من القمة إلى باطن الأرض، وكل هذه الأفعال (أفنى، وأعوص، وأنزل) تحمل في مضمونها خطاباً سوداوياً تشاؤمياً تأخذ على كاهلها القيام بمسؤولية التغيير نحو الفناء والزوال، ومن هنا تبرز ثنائية الحياة والموت، فأرباب القصور في حياة مطمئنة آمنة تتحوَّل هذه السعادة إلى فناء وإلى الموت بآليات خطابية: أفنى، وأعوص، وأنزل.

ويقول علقمة بن زيد بن بشر أخو بني صَحَار بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة يطلب المدد على هوازن وبني سُليم ويصف البلاد التي سلكها من بلده إلى صعدة، ثم من صعدة إلى صنعاء في وسط بلد هَمْدان:

وقــد فارقــتُ داري جُمــاعَ وأهلَهــا	**إليـــــك وفيهــــا ثـــــروةٌ وعديــــــدُ**
ودار أطــافَ الكــرمُ والــزرعُ حولَهــا	**ومـــا بينهـــا أُطُـــم ينيـــفُ مـــشيدُ**
ومالــتْ إلــى أجــزاعِ حيفــة ضُــمَّراً	**شـــــوازب فـــي تـــسيارهن وئيـــدُ**
فلمـــا رأينـــا مـــن أزال قـــصورها	**تبـــــادَرَ منّـــــا مخبـــــرٌ وبريــــــدُ**
أبـا المنـذر الفيّـاض يـا خيـرَ حميـرٍ	**وخيــــرَ بنـــي ذهـــلٍ إليــــك نريـــدُ**
نريـــد نـــوالاً مـــن سجـــالٍ غزيـــرةٍ	**فأنـــت لهـــا فـــي النائبـــات مقيـــدُ**[41]

في هذه الأبيات تبرز صورة المعالم العُمرانية والموارد الطبيعية وخبراتها التي تشتهر بها هذه المنازل، فهناك الدَّار، والقصور، والمدن، والقرى وتكتنز هذه الأبيات ثنائية ضديّة تحملُ في طيّاتها البُعد العُمراني، وهذه الثنائية هي: فراق الدِّيار حيث ضعف الإمكانات الحربية / ولقاء الممدوح للنجدة وقد أشار الشاعر إلى عملية الفراق " وقد فارقت داري "، وعملية الفراق تعني

الهجرة والرّحيل والتحوُّل الدائم أو المؤقت، بدوافع وأسباب مختلفة، وهنا يُحدِّد الشاعر سبب الفراق في البيت الأخير، فأنت لها في النائبات، وكذلك قوله: نريد نوالاً، وهذا يعني أن عملية الرّحيل كانت بدافع طلب العون لمحاربة هوازن وبني بكنية، وهنا يبرز الوجه الآخر لهذه الثنائية هو لقاء الممدوح، ويظهر ذلك من خلال التصريح بكنية والابتهاج بلقائه، وتأتي المعالم العُمرانية في هذا السياق أثراً من الآثار الخالدة للممدوح، ودليلاً على كثرة نِعمه وخيرات بلاده وقوته، فهناك قصور أزال والكروم والزرع والأشجار فهي بلادٌ غنيّة بخيراتها، وهذا دفع الشاعر وقومه للتوجّه إلى الممدوح طمعاً في نواله:

صَرَفْتُ إليكَ القومَ تُدمي كُلومَهم　　　ليُدمَلَ قَرْحُ منهم ولهودُ[42]

وفي مدحه لممدوحه يستعرض الأعشى بعض المعالم العُمرانية:

وما فَلَجٌ يسقي جداولَ صَعْنَبَى　　　لـه شَرَعٌ سَهْلٌ على كلّ مَوْرِدِ

ويُرْوِي النبيطُ الزُرْقُ من حَجَراتِه　　　دياراً تُرَوّى بالأتيّ المُعَمَّد

بأجودَ منه نائلاً إنّ بعضَهُمْ　　　كفى مالَهُ باسم العطاءِ المُوعَّدِ[43]

وفي هذه الأبيات يعرض الأعشى جانباً عُمرانياً مليئاً بالحياة، ومحور البيتين الأول والثاني (قرية صعنبي) المكان العُمراني وتحتضن هذه القرية بذراعيها مصدر الحياة وهو الماء الذي يمدُّ مزارعها من خلال نهر (فلج) الذي تتفرّع منه الجداول والقنوات والمسالك والسدُود، ويروِّي النبيطُ الزرقُ ديارهم من هذه المياه، ولو ألقينا نظرة مليّة إلى الجانب العُمراني لوجدنا أن قرية (صعنبى) تنبض بحبِّ الأرض والتشبُّث بالحياة، وهذا ما تؤكده الأفعال: يسقي، ويروي النبيط، وتُرَوّي، وتأتي الأسماء الدّالة على الحياة لتعزّز هذه الرؤية: فلج، وجداول، ومورد، والأتيّ والمُعَمَّد.

وتنتظم هذه الأسماء والأفعال في مواقعها المختلفة لتشكّل إلحاحاً على حبّ الحياة وإحياء الأرض من خلال إحداث القنوات والسُّدود، وهذه إحدى المعالم العُمرانية التي هي نتاج التطوُّر الفكري.

ويوظف الشاعر هذه الصورة العُمرانية للوصول إلى الممدوح، فإذا كانت هذه الأنهار والجداول تروّي الأرض بمياهها الفيّاضة، فإنها ليست بأجود من ممدوحه بالعطاء في وقت يذود فيه بعض الناس عن ماله بكاذب الوعود.

وإلى هذا المعنى أشار الأعشى بقوله:

مـا النَّيـل أصـبح زاخـراً مـن مـدّه　　　جـادت لـه ريـحُ الـصَّبا فجـرى لهـا

زَبِـداً ببابـلَ فهـوَ يـسقي أهلَهـا　　　رَغَـداً تفجُـرُهُ النبيـطُ خلالهـا[44]

فليس النيل إذا زخر بمائه متفّجراً من أرض النبيط يسقي أهل بابل رغداً وتمدُّ منه النبيط المجاري والفروع خلال مزارعهم بأجود من الممدوح.

ويشير الأعشى في مدحه للأسود بن المنذر اللخمي إلى القباب التي يمتكلها سادات اللخميين:

جُنْـدُك التّالـدُ العتيـقُ مـن الـ　　　ـسادات أهـلِ القبـابِ والآكـال[45]

ويمدح الأعشى قيس بن معد يكرب فهو شجاع من بني معاوية الأكرمين عظام القباب:

فـإنَ معاويـة الأكرميـنْ　　　عِظـامُ القِبـابِ طِـوالُ الأمـمْ[46]

ويشبه الشاعر الأعشى القباب بالهضاب في عُلُوّها:

وقِبـابٍ مثـلِ الهـضاب وخيـلٍ　　　وصِـعَادٍ حُمْـرٍ يَقِيْـن الـسَّماما[47]

أما قيس بن الخطيم فيذكر بعض المعالم كالمحراب والقبّة:

كـأن القَرَنْفُـلَ والزّنجبيـلَ　　　وذاكـي العبيـر بجلبابهـا

نَمَتْهـا اليهـودُ إلـى قُبَّـةٍ　　　دُوَيـنَ الـسَّماءِ بمحرابهـا[48]

لعلّ هذا المحبوبة مرفّهة ويظهر ذلك من خلال البيت الأول، فهي تتطيّب بشتى أنواع العطور كالقرنفل والزنجبيل وذاكي العبير، وتنسب هذه الأنواع من الطيوب إلى جلبابها، وهذه المحبوبة تسكن في محراب (غرفة) يَقَعُ في قمّة عالية هي القبّة، وأشار الشاعر إلى هذا الموقع العالي " دُوين السَّماء ".

ويشير امرؤ القيس إلى بناء القباب ويَعُدّ هذا العُمران مفخرةً من مفاخرهم إلى جانب الشجاعة والمجد والرّياسة والكرم:

مَتَـى عهدُنـا بطِعَـان الكُمـا　　　ةِ والحَمْـدِ والمَجْـدِ والـسؤدَدِ

وَبَنْـي القِبـابِ وَمَـلءِ الجِفَـا　　　نِ والنّـارِ والحطَـبِ المُفْـأدِ[49]

ويذكر عمرو بن العاص السهمي القباب في يوم أُحد:

أرادو لكيمـــا يـــستبيحوا قِبابَنـــا ودون القِبـاب اليـومَ ضـربٌ مُحـرّقُ[50]

وقال الشمّاخ بن ضرار الذبياني محدّداً موقع المعالم العُمرانية:

وأعــرض مــن خفّــانَ أجْــمٌ يزينُــه شماريــخُ باهــا باينــاه المُــشَقَّرا[51]

ويبرز الأُجْمُ معلماً عمرانياً تحتضنه رؤوس الجبال، فها هو يظهر شامخاً كأنه علم:

وتأتي عبارة، يزينه شماريخ باها، لترسم لوحة مفعمة بالحسن والجمال، ولو نظرنا إلى الكلمة التي استهلّ بها الشاعر بيته " وأعرض " وتوقفنا عند دلالتها ومدى ارتباطها بالعبارة، يزينُهُ شماريخ باها " فإننا نجد ثمة صلة بينهما، فدلالة الفعل أعرض تكشف عن شيءٍ مهمّ يكتنز في جوهره صفة البروز والظهور والتفرُّد والتميُّز في المكان المخصص له، فالأُجم أو الحصن يعرض معلماً جاثماً في شماريخ الجبال، وإنّ هذا الظهور للحصن في رأس الجبل يتّسم بالجمال والمنظر الحسن، وهذا ما يؤكده الفعل " يزينه " وشماريخ الجبال هي التي تبعث جمالية الحسن. ومن هنا تغدو عملية التفُّرد والظهور للفعل (أَعرض) ذات ارتباط وثيق بالفعل يزينه، وكأنّ هذا الظهور اكتسب الزينة والجمال من خلال وقوعه على رؤوس الجمال (الشماريخ)، وبمعنى آخر فإن " بروز الأجم " وظهوره والذي دلّ عليه الفعل " أعرض " قد اكتسب هذه الصفة بفعل وقوعه على شماريخ باها.

فعملية ظهور الحسن على شماريخ الجبال تشكّل بعداً جمالياً ومنظراً حسنا، وهذا الجمال هو عملية التزين الواردة في البيت.

ويقول جميل بثينة مبيّناً جوّ مدينة تيماء:

وأخبرتُمانـــي أن تيمـــاءَ منـــزلٌ لليلى، إذا ما الصيفُ ألقى المراسِيا[52]

وصف الشاعر مدينة تيماء بأنها مكانٌ جميل في الصيف حيث نقاءُ الهواء والأجواء. فهي مصيف ليلي، ولنلاحظ الدّقة في عملية وصف هذه المدينة فلم يَقُلْ الشاعر إن تيماء مدينة ليلى محبوبته في فصل الصيف، بل أنّه وظّف كلماتٍ استعاريةً ليُعَمّق مكانة هذه المدينة وأهميتها، فقد تمكّن من إحداث ثنائية ضدّية في هذا البيت: المكان والزّمان، فالمكان هو تيماء منزلٌ والزّمان هو الصيف في مدينة تيماء (حيث منزل ليلى محبوبة الشاعر).

إن فصل الصيف هو الزمن الذي تشتدّ فيه الحرارة فيبعث في النفوس الكلل والسّأم والضيق، ولكنّ هذه الصّفات تتبدّد في المكان المتميّز بموقعه وقُربه من مصادر المياه، ليتحوّل إلى مُصطاف يختصّ بنقاء الهواء وجمال الطبيعة فهو مصيفٌ لليلى، ولنلاحظ الجوّ المتميّز لمدينة تيماء من

خلال دقة اختيار التعبير " إذا ما الصيف ألقى المراسيا " فمتى تكون تيماء منزلاً لليلى ؟ لم يَقل حينما يأتي الصيف، بل اختار الكلمة التي تعبِّر بدقة عن زمن الحرّ الشديد في فصل الصيف " ألقى الصّيف المراسيا " فالمراسي تعني الثبات في المكان والرُسوخ فيه والوقوف عن السَّير من قولنا: رست السفينة والجبل الرّاسي والسَّحاب الرّاسي، فقد شبه الشّاعر ثبات الصيف واستقراره وعدم تحوُّله بالسفينة الراسية المستقرة الثابتة التي حطّت كلَّ ثقلها في هذا المكان ولم تَعُدْ لتتحوّل عنه، أو الجبل الرَّاسخ الثابت، وكل ذلك إمعانٌ في اشتداد الحرّ وثباته، ومن هُنا تكون مدينة تيماء منزلاً لليلى في هذا الزّمن الحارّ، واختيار هذا المعلم العُمراني مكاناً للاصطياف لليلى دليلٌ على أن هذه المدينة ذات أهمية سياحية، ومتنزه للزائرين في الصيف.

وقال الرّاعي النمُيري يمدح خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ويصف المعالم العُمرانية ومواقعها:

ظَلِلْنَـــا بحُوّاريـــنَ فـــي مُـــشمَخـرَةٍ	تمـــرُ سحـــابُ تحتنـــا وثُلُــــوجُ
تــرى حــارثَ الجــولان يُبــرقُ دونَــه	دساكـــرُ فـــي أطرافهـــنَّ بُــــروُجُ
شربنـــا ببحـــرٍ مـــن أميـــةَ دونـــه	دِمـــشقُ وأنهـــارُ لهُـــنَّ عجـــيجُ[53]

يقول الرّاعي النميري مكثنا طيلة النّهار في منطقة حوران حيث الجبال العالية، فكانت الثلوج تتساقط، والسّحاب يمرُّ من تحتنا، وهذا دليل على مدى ارتفاع الجبل، ومن هذا المكان ترى قمة الجولان والضوء يظهر القصور المنتشرة حوله، وشربنا ماء نهر من ريف بلاد الشام (أُمية) وبينه وبين دمشق أنهارٌ لها ضجيج.

وفي هذه الأبيات تطلُّ معالم عُمرانية متنوعة فهناك مدينة حوران تحوطها الجبال العالية وهناك الدّساكر (القصور) القابعة في جبال الجولان، وكذلك البروج، ودمشق، فمدينة حوران تطلّ من حولها الجبال الشاهقة (في مشمخرةٍ)، ولنلاحظ علوّ هذه الجبال وشموخها، فالسّحاب تمرُّ من تحتهم وكذلك الثلوج، وإذا ما علمنا أن هناك إشارتين مهمتين في هذا التعبير أدركنا مدى ارتفاع جبال حوران، وهاتان الإشارتان هما: السّحاب، والثلوج، فالسّحاب يسير في فضاءٍ عالٍ، والثلوج تتساقط في الأماكن المرتفعة.

ويبرز هنا السؤال التالي: لِمَ اختار الشاعر هذا التعبير ليؤكّد علوّ هذه الجبال ؟ لعلّ هذا الاختيار مؤشّرٌ على نعيم هذه المنطقة وكثرة خيراتها، وما يؤكّد هذا التفسير ما جاء في البيت الثالث من كثرة أنهار هذه المنطقة، وحينما تُقيم في جبل مدينة حوران فإنك تشاهد تلك المعالم العُمرانية التي تحتضنها جبال الجولان، فالبرق يريك هذه الدّساكر (القصور) وكذلك تَرى البروج

المشيّدة العالية في قمم هذه الجبال، وفي هذا النص نشاهد هذه اللوحة الجميلة المستقاة من الطبيعة، مدينة حوران محاطة بالجبال العالية، سُحُب الماء تتحرّك في سمائها، والثلوج تغطيّ مرتفعاتها، وعلى الواجهة الغربية من اللوحة جبال الجولان وقصورها وبروجها واللمعان يكشف عُمرانها ومياه الأنهار تتدفق عبر سهولها وروابيها محدثة الضجيج لقوة جريها.

وقال الأخطل يهجو جريراً:

وإذا عَــدَدْتَ بُيُــوتَ قومِــكَ لــم تجـدْ	**بيتـــاً كبيــــتِ عُطـــارِدٍ ولبيــــدِ**
بيـــتٌ تـــزلُ العُــصْمُ عــن قَذَفاتـــه	**فـــي شاهـــقٍ ذي مَنْعَـــةٍ وكـــؤود[54]**

في هذين البيتين يطعن الأخطل بجرير من جهة المعالم العُمرانية، فيهجوه بالتخلُّف الحضاري من جانب البُعد العُمراني، فمنازل قوم جرير لا تضارع منازل عُطارد ولبيد من أجداد الفرزدق الذين تقع منازلهم في رؤوس الجبال وتعجز عن إدراكها الوعول لوعورة المسالك، على الرغم من اعتيادها الأماكن الصعبة.

وفي هذا النص يبرز المعلم العُمراني " السكن " المتمثّل في البيت وهذه المعلم العُمراني يتكرّر أربع مرات " بُيُوت، وبيت، كبيت، بيت، وجاء في الصّدر الأول من البيت الأول بصيغة الجمع، بينما جاء مفرداً في الصدِّر الثاني من البيت الأول والصّدر الأول من البيت الثاني، ولعلّ ذلك يعود إلى صفة التعميم، جميع بيوت قوم جرير، لم تجد بيتاً واحداً من هذه البيوت منا يشبه بيتاً كبيت عطارد أو لبيد، ثم يبدأ الشاعر ببيان صفات هذا البيت المتميّز، وتبرز الثنائية الضديّة في هذه المعالم العُمرانية بيت جرير وبيت الفرزدق، ومن خلال هذه الثنائية يقارن الشاعر بين هذين المنزلين لتُطلَّ من خلال هذه المقارنة ثنائية جديدة منبثقة عن ثنائية بيتي جرير والفرزدق، وهي التقدّم والتأخرُ، البداوة والحضارة، أي أن الثنائية الضديّة تتشكل على هذا النحو: بيت جرير التأخر والبداوة / بيت الفرزدق التقدّم والحضارة، والرغبة في الحضارة، والرُقيّ جعلت الشاعر يُعرض عن الكشف الدقيق لبيت جرير، ويتوجّه لبيان بيت الفرزدق (بيت عُطارد ولبيد من قوم الفرزدق)، فهذا البيت يربض في مكان شاهق عالٍ تعجز الوعول عن إدراكه والوصول إليه على الرُغم من اعتيادها لهذه المواقع المنيعة الخطرة.

ويقول العَرْجي مخاطباً قصر صاحبته:

أيُهـــا القـــصرُ ذو الأواســـي والبُـــسـ	**ــتان بـــين القُـــصور فـــوق الظِّـــرابِ**
خـــصّك اللـــهُ بالعِمَـــارة منـــه	**ووقـــاك المليـــكُ وشـــك الخـــراب**

إننـــــــي والمجمَّريـــــــن بجمـــــــعٍ   والمنيخيـــــن خلفَهـــــم بالحِـــصاب

لــم أحُــلْ عنــك مــا حييــتُ بــوُدي   أبـــــداً أو يحـــــوُلَ لـــــونُ الغـــــرابِ

دونهـــا الحـــارسُ الـــشفيقُ عليهـــا   قـــــد تولَّـــــى مفاتحــــَ الأبــــوابِ

بِمُنيـــــفٍ كأنَّـــــه رُكْـــــنُ طـــــودٍ   ذي أواسٍ مُطَمَّـــــرِ المحـــــــرابِ

وترقَّيـــــــتُ بالجبـــــال إليهـــــا   بعـــد هـــدءٍ وغَفْلَـــةِ البـــوّاب[55]

يتحدث العَرْجي عن محبته للقصر الذي ترقد فيه محبوبته، وقد أحاطه الله بعنايته ورعايته، داعياً الشاعر إلى الله عزّ وجلّ أن يحفظه من الهدم والخراب، ويقسم بالأماكن الدينية أنه لن يحول عن هذا القصر ولن يبدِّل ودّه أو حبه له، ويحمي محبوبته في هذا القصر حارسُ شفيقٌ عليها تعَهد بالدِّفاع عنها ويقف خلف الأبواب.

وفي هذا النص يبرز القصر بوصفه معلماً عُمرانياً ومحوراً أساسياً تدور حوله الأحداث، فالقصرُ ذو بناء محكم مؤسَّسُ على دعائم ثابتة متينة قوية يجثم فوق جبل مُنيف عالٍ، وهناك بعض القصور المنتشرة حوله على قمة هذا الجبل، ويُطلّ من بين هذه القصور بُستان جميل، ولو نظرنا في هذه الأبيات إلى الموقع المحدَّد للقصر من خلال الإشارات الخطابية لوجدنا ما يلي: فوق الظِّراب، بمنيف، رُكنُ طودٍ، الجبال، وكلُ هذه الكلمات تفضي إلى علوّ القصر وارتفاعه الشاهق على قمة جبل عالٍ، ويُلاحظ أن الشاعر يعرض بعض متعلّقات القصر مثل مفاتح الأبواب، والمحراب. ليدلِّل على حصانة القصر والأمان الذي تكتسبه محبوبته فيه، والشاعر متعلّق بمحبوبته ومن هنا يدفعه هذا الحبّ إلى التعلُّق بالقصر وكأن حبَّ القصر يستمدُ من محبوبة الشاعر. ومن هنا أخذ الشاعر ينظر إلى محبوبته والقصر على أنهما متوحَدان، فالقصر هو محبوبتة والمحبوبة هي القصر، وهذا الإلحاح الدائم والمتكرّر في النص للتعلُّق بالقصر والمحبوبة يظهر من خلال، خَصكَ الله بالعِمارة، وقاك المليك الخراب، لم أحُل عنك بوُدّي والحارسُ الشفيقُ عليها، تولّى مفاتح الأبواب.

وفي موقع آخر من ديوان الشاعر تتكرَّر هذه القصيدة مع بعض الزّيادات، فتضاف الأبيات التالية:

حـــالَ مـــن دُون ملتقـــاه مُنيـــفُ   عـــارِمُ المُلتقـــى أزلُّ الحجـــاب

ولقـــد قلـــتُ إذ وقفـــتُ حزينـــاً   ودُموعـــي حثيثـــةُ الانـــسكـاب

أعَلــَى العهــد أنــتَ أم حُلــتَ بعــدي   كـــلُ شـــيءٍ مــصيره للذهـــاب[56]

فالشاعر يعبِّر عن حزنه وألمه لخوفه من تحوُّل الحالة الطبيعية للقصر حيث السعادة والسرور والفرح إلى حالة الهدم والخراب. وكأنَّ هناك ثنائية ضدّية تدور حولها الأحداث تتمثل بحالة اللقاء، والفراق أو عهد الشاعر بالقصر وما بعد ذلك من الفراق والبُعد، فعهد الشاعر بالقصر كان مليئاً بالحيوية والنشاط ونابضاً بالحركة والحياة ويظهر ذلك من خلال خصّك الله بالعمارة، وقاك المليك وشك الخراب، الحارسُ الشفيق، وبعد هذا اللقاء يحدث الفراق والبُعد، وهذا الوضع الجديد دفع الشاعر إلى البكاء خشية تحوُّل الفرح والتفاؤل إلى بُعد مأساوي جديد وهو الخوف من خراب القصر وهذا المظهر السوداوي مؤشّرٌ على زوالٍ للأحبّة الذين تربطهم بالشاعر علاقات الوُدّ والمحبّة، لأن خراب القصر دليل على فناء أهله وزوالهم، ومما سبق يُظهر هذا التماهي " القصر والمحبوبة " فهما عنصر واحد يتطلّع الشاعر إلى معانقته لتتحوّل عملية الاضطراب وعدم الاستقرار لدى الشاعر إلىالأمن والاستقرار في حضن هذا الجسد " القصر والمحبوبة ". وعليه فإن هذا النص يعرض لوحة جميلة من العناصر العُمرانية التي ترتبط بها الأحداث، ففيها الجبال المرتفعة التي تجثم في أحضانها القصور، وعليها حارسٌ أمينٌ يحافظ على محبوبة الشاعر من عوادي الدّهر وأحداثه. يضاف إلى ذلك البساتين الخضراء الجميلة وأخيراً لن يتحوّل أبداً ما دام لونُ الغُراب أسود.

ويقول الأخطل محدّداً موقع أحد المعالم العُمرانية وهو القصر:

ثــلاثُ حــسانٍ مــن نــزارٍ وغيرهــمْ   تجمَّعْـنَ مـن شـتّى فعُـولِيْنَ فـي قـصرِ

حلائـــلُ شيـــخٍ فـــي منيـــفٍ كأنّمـــا   نمـاهُنَّ قِـشعَمُ مـن الطيْـر فـي وَكْـرِ[57]

يتحدث الشاعر عن ثلاث نساء نزاريات جئن من كلّ جهة، وأقمن في قصرٍ عالٍ منيع، وكنَّ زوجات امريءٍ هرمٍ أقامهنّ في قصرٍ شبية بوكر النسور، وفي هذين البيتين يبرز القصر معلماً عُمرانياً ليشكّل مركزاً مهماً يضمُّ في أحشائه عائلة تتكوّن من ربّ الأسرة الكبير في السن وزوجاته الثلاث. والقصر مبنيُّ في مكان عالٍ، وقد عرض الشاعر في البيت الثاني صورة فنية جميلة تتشكّل عناصرها من ثنائية الحي والجماد، حلائل شيخ والمنيف، والطير والوكر فحلائل الشيخ والطيّر كائنات حية والمنيف والوكر جمادان.

ويتناول الشاعر هذه الثنائية على هيئة صورة فنية جميلة. فقد شبه الحلائل الحسان في هذا القصر المنيع، بطيور ترقد في وكرها العالي. وفي هذا التشبيه يبرز عنصران مهمان هما النساء المشبه والطيور المشبّة به، ولعلّ تشبيه هذه النساء الحسان يظهر المكانة العالية والمنزلة الرفيعة

التي تحتلها، وهذا ما يمكن استنتاجه من المنزلة العالية للطيور، وأما تشبيه القصر بوكر الطيور، فيمكن رصد الجوامع المشتركة على النحو التالي فقد يشير ذلك إلى علوّ القصر وكذلك الأمان حيث البعد عن الناس، وإذا ما توقفنا عند كلمة الوكر، فإننا نُدرك أن الطير المقصود هنا هو النسر، ومن هنا كان ذكر النسور دليلاً على أن الشيخ الكبير يحرص على نسائه، وتدفعه الغيرة على اختيار المكان المناسب المنيع العصي على الاقتحام.

ويقول الأحوص الأنصاري في وصف قصر قُباء.

ولهـــا مَرْبَــعُ ببرُقــةِ خـــاخٍ   ومـصيفُ بالقـصر قَـصْرِ قُبـاءِ(58)

يتحدث الشاعر في الشطر الأول عن المكان الذي تسكنه محبوبته في الربيع (برقة خاخ) وفي الشطر الثاني المكان الذي تسكنه في الصيف وهو قصر قُباء، وعبر هذا البيت تطلُّ ثنائية الزّمن والمكان بُرقة خاخ في الشطر الأول وقصر قُباء في الشطر الثاني، أما الزّمن فالربيع في الشطر الأول والصيف في الشطر الثاني، أمّا ثنائية الزّمن فالربيع وفصل الصيف، ومن خلال هذه الثنائية المكان والزّمن تتولّد الأحداث وتتفاعل. ففي بُرقة خاخ (موضع كالرّوضة حيث الحجارة والتراب)، تُحتضَن المحبوبة في هذا المكان في زمن الربيع، أما قصرُ قُباء المعلم العُمراني الشامخ هنا فلا يؤدّي الوظيفة التي يؤدّيها مكان " برقة خاخ "، ولكنه يؤدّي وظيفة أُخرى في زمنٍ آخر، فمكانه المرتفع يجعله موطناً مناسباً في فصل الصيف الهادىء والهواء العليل.

وقال ابن أبي عُيينة المهلبيّ يصف قصر أوس بالبصرة:

فيـا حُسْنَ ذاك القصر قصراً ونزهةً   ويـا فيـحَ سـهلٍ غيـرِ وعـرٍ ولا ضنـك

كـأن قـصورَ القـوم ينَظُـرْنَ حولَـه   إلـى ملـكٍ مُـوفٍ علـى قبَـة المُلـك

يُـدلُّ عليهـا مـستطيلاً بحـسنه   ويـضحك منهـا وهـي مطرقـةٌ تبكـي(59)

يشكّل نصُّ ابن عُيينة لوحة فنية جميلة بما يكتنزه من معالم عُمرانية تقبع في أحشائها ثنائيات ضديّة، في البيت الأول ثنائية السّهل والوعر، وفي البيت الثالث يضحك وتبكي، قصر أوس بالبصرة يضحك والقصور الأخرى تبكي.

ففي البيت الأوّل يصف الشاعر القصر بأنه حسنٌ وجميل ومكان يُتنزّه فيه، فسهله مُتّسعُ عريض لا وعورة فيه ولا يلقى من يمشي فيه تعباً أو مشقّة فالمكان الذي يجثُم فيه هذا القصر يصلح للتنزُّة، فهو يستقطب الناس إليه فالطبيعة غنية بجمالها والمنبسطة المتسعة بسهولها، ومن يتوجه إلى هذا القصر يجد الراحة والسعادة فيه، ولنلاحظ الصورة الفنية الجميلة في البيت الثاني الذي تبرز فيه ثنائية قصر أوس والقصور الأخرى في هذه المنطقة، فهذا القصر الشامخ بين

القصور الأخرى المنتشرة حوله يُشبه ملكاً متربعاً على عرشه، ومن هنا تبرز صفة التميّز والخصوصية لهذا القصر على سائر القصور الأخرى، وتتجذّر هذه الخصوصية في البيت الثالث يُدلُّ عليها، فالقصر يستشعر هذا التميّز باستطالته على هذه القصور فحسنه وجماله يدفعه إلى هذا الدّلال والافتخار، وفي الشطر الثاني من هذا البيت يحشد الشاعر الصُّورالفنية الجميلة حيث يضفي على هذا القصر صفة التشخيص " يضحك، كما يضفي على القصور الأخرى هذه الصفة تبكي، وفي الشطر الأول قصر أوس يدلّ. فالقصر يضحك والقصور الأخرى تبكي ويكتسب هذا البيت الجمال الفنّي من خلال ثنائية ضدّية الضحك والبكاء وكذلك التشخيص، فالقصر يبتهج ويفرح وهو في قمة النشوة والسعادة لحسنه، وجماله ومن هنا حُق له الإدلال، وأما القصور الأخرى فهي مُطرقة خافضة ذليلة تبكي لفقدانها سمَة الحسن والجمال، ونخلص إلى تشكيل هذه اللوحة النابضة بالحسن والجمال ويقابلها الشؤم والبكاء، فاللوحة تتكوّن من بُعدي الإشراقة والانطفاء أو التفاؤل والتشاؤم أو الحسن والقبح أو النور والظلمة، قصر أوس يربض في منطقة سهلية حيث الاتساع والحسن والنزهة والارتفاع، والقصور الأخرى تنتشر حول هذا القصر لا حسن فيها أو جمال وشعارها الحزن والبكاء.

ويقول* أبو دهبل الجمحي في عاتكة بنت معاوية:

أحلّهـــا قـــصراً منيـــعَ الـــذُّرى　　　يُحْمـــــى بأبـــــوابٍ وحُجّـــــابِ[60]

يظهر القصر في هذا البيت معلماً عُمرانياً بارزاً فهو في مكان مرتفع منيع يحرُسه الحُجاب، كما أنّ أبوابه منيعة حصينة، وفي هذا القصر تسكن عاتكة بنت معاوية أحد الخلفاء الأمويين، وإنّ صورة القصر تبعث الرّهبة في النفوس، منيع الذُرى، ويُحمى بأبواب وحُجّاب، ومُحصّن منيع يصعب الوصول إليه فبناؤه في المرتفع من الأرض أو أبوابه منيعة يضاف إلى ذلك الحرس الذين يقومون برعايته وحراسته.

ويقول عبيد الله بن قيس الرُقيات مادحاً عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

ذكرتُــك إذ فــاضَ الفــراتُ بأرضِــنا　　　وجــاشَ بــأعْلَى الــرّقّتين بِحَارُهــا[61]

جاء العُمران هنا في معرض المدح، والعمران يتركز حول مدينة الرّقة التي تقع في الجزيرة على الفرات وكانت قاعدة ديار مضر، فهذه المدينة تقع بالقرب من المصادر المائية أي بالقرب من نهر الفرات، حيث تفيض ماؤه وتغمر هذه المعالم العُمرانية.

إنّ المتتبّع لشعر العُمران يحلظ أن الشاعر لم يتحدّث عن العُمران المُجرّد من الطبيعة، ففي الوقت الذي تحدّث فيه الشاعر عن الحصون والمدن والقصور فإنه ربطها بما حولها من الطبيعة

فهي محفوفة بالكروم والنخل والزرع وأصناف الأشجار والعيون والأنهار، ولم يغفل الشاعر البعد النفسي للإنسان.

ومما سبق فإنّ الباحث يلحظ أن ثمّة بعض القضايا التي تستوقفه من خلال قراءة ذلك الشعر، وأولى هذه القضايا هي ربط العمران بالموت، فحينما يتحدث الشاعر عن العُمران المتمثل بالحصون والقصور والمدن فإنه يعقد مقارنة بين حال العُمران وقد سكنه أهله وعاشوا فيه بطمأنينة وسعادة وتحوُّل ذلك إلى الهدم والخراب وتشتت الأهل وموتهم، وكأن الشاعر وهو يطرح قضية العُمران وما سيؤول إليه إلى الدّمار والفناء، فكأنما يُعزّي نفسه بهذه الحقيقة ليقول لنفسه: إن الإنسان في نهايته إلى الزّوال والموت. وقضية أخرى يلحظها الباحث هي اعتزاز الشاعر بالعُمران من خلال ربطها بالممدوح الذي يقطن في الحصون المنيعة في المناطق الجبلية الشاهقة.

ومن القضايا الأخرى حديث الشعراء عن عُمران الأُمم الخالية كعاد وذو تُبَع وبلقيس ونوح والمصير الذي لقيه ذلك البنيان.

وباختصار شديد فإن الشعر لم يكن منعزلاً عن البيئة المحيطة به، فقد استطاع الشاعر منذ القدم أن يستلهم من هذا العُمران مادة لشعره يتغنّى بتلك الأمجاد والإنجازات ويبكي زوالها واندثارها.

الحصون والآطام

بعد أن ظن الإنسان أنه استقر في عمرانه الذي شاده وصنع منه مجتمعاً حضارياً، هاجمته بعض الظروف والعوامل الموضوعية من غزو وحرب ومؤثرات بيئية مخيفة، فقرر الاحتماء من كل هذه العوامل المضادة لاستقراره، فعمل على بناء الحصون والآطام اتقاءً لشر عدوٍ غازٍ من جهة، وتأميناً وتأكيد استمرارية حياة الناس الجميلة من جهة أخرى. وقد تسابقت الأمم والشعوب وتبارت في بناء هذه الحصون والموانع والآطام حتى غدت معلماً عمرانياً جديداً كاد ينافس القصور والدارات والمحافل الأخرى، وخلدت هذه القلاع والحصون أسماء الذين شيدوها وأجادوا فن تقويتها وجمالها. ومن هنا فقد أكدت هذه المعالم العمرانية الجديدة حضورها الواسع في الشعر، واستطاعت أن تشد الشعراء إلى التغني بها وبمشيّديها.

وفيما يلي إشارات إلى المعالم العُمرانية من الحصون والآطام في الشعر قبل الإسلام وبعده: فقد تحدّث امرؤ القيس عن أن الموت لا ينجو منه أحد، فقد أزال من الحصون والقصور (المصانع) ذا نُواس الذي ملك اليمن سهولها، وجبالها.

ألـــم يَحْزُنْـــك أنّ الدّهـــر غُـــولُ ... خَتْـــورُ العهـــد يلتهـــمُ الرِّجـــالا

أزال مـــن المـــصانـعِ ذا نُـــواسٍ وقـــد ملـــك الحُزُونـــةَ والرِّمـــالا[62]

وفي موقع آخر نرى امرأ القيس يشيد بالمعاقل والحصون التي يأمن فيها الخائفون:

ونِعْـــمَ المعاقـــلُ للخائفيـــن إذا خِيــفَ مــن ذائــدٍ مَـنْ يحيــدا[63]

كما يتحدث امرؤ القيس عن حصن كنده ومنعته وكذلك حصن المشقّر إذ كان والده سيّداً في حصن كنده تأتمر الجيوش بأوامره، ويغزو أعداءَه ليُخضع حصن المشقّر:

وبعـد أبـي فـي حِـصن كِنْـدَةَ سـيِّداً يـسودُ جموعـاً مـن جيـوشٍ وبربـرا

ويغـزو بأعـراب اليمانَيْـنِ كلِّهـمْ لــه أمـرُهُمْ حتـى يَحُـلَّ المـشقَرا[64]

ويشبِّه امرؤ القيس نفسه بالحصن المنيع لقومه:

إنِّـــي لكـــم حـــصنٌ يَـــسرُكم وبـــسؤلكم متبـــذَلُ البـــذْلْ[65]

ويشير امرؤ القيس إلى بيت خالد بن سدوس الذي يحقّ المفاخرة به:

إذا مـا كنـتَ مفتخـراً فَفَاخـرْ مفاخ ببيـتٍ مثـل بيـتِ بنـي سُدُودَسـا

ببيـتٍ تُبـصِرُ الرؤسـاءَ فيـه قيامـاً لا تُنَـازَعَ أو جُلُوسـا[66]

ويشبّه أميّة بن أبي الصلْت سفينة نوح بالأطم أو القصر الضخم تلك السفينة التي تجري في الماء وقد أخذتها الرّياح هنا وهناك وكانت مملؤةٌ بالبشر، وقد ارتفع الموج فوقها إلى أن استقرّت على الجوديّ وهو جبل بالجزيرة.

تجـري سـفينةُ نـوحٍ فـي جوانبـه بكـلّ مـوجٍ مـع الأرواح تقتحـمُ

مـشحونةٌ ودُخـانُ المـوج يرفَعُها مـلأى وقـد صُـرعت مـن حولها الأمـم

حتـى اسـتوت علـى الجـوديِّ راسيـةً بكـلّ مـا استُودِعـت كأنَهـا أُطُـمُ[67]

وفي معرض مدح الأعشى لهوذة بن علي الحنفي يذكر بعض المعالم العُمرانية ومنها الجسور، فليس الفراتُ وقد تدفّقت مياهُه مزبدة تغشى الآكام وتعلو الجسور، وتكبُّ السفن لوجوهها، وتصرع الأشجار والدّور القائمة على شاطئيه بأجود منك حين تعطي المئين، وتهب أكياس المال:

ومـا مُزْبِـدٌ مـن خليـجِ الفُـرا تِ يغـشى الإكـامَ ويعلـوُ الجُـسورا

يكُـــــبُ الـــــسَّفينَ لأذقانــــــــه	ويـــــصرَعُ بالعَبْـــــرِ أثْــــلاً ودُورا
بأجـــــودَ منــــه بمــــا عِنــــــده	فيُعطــي المئــينَ ويُعطــي البُــدُورا[68]

ويصف أبو دؤاد الإيادي الإبل بالقصور الشامخة المرتفعة فوق التلال:

فــــإذا أقبلـــتْ تقـــولُ إكــــامٌ	مُــشرفـاتٌ فـــوق الإكــــام إكـــامُ
وإذا أدبـــــرت تقـــولُ قـــصـورٌ	مـــن سماهِيـــج فوقهـــا آكــــامُ[69]

ويؤكد الحارث بن حِلِّزة اليشكري أن الحصون المنيعة الثابتة القوية ترفع شأنهم:

فبقينـــا علـــى الـــشَّنْاءَةِ تُنميـــ	نـــا حُـــصُونٌ وعِــــزَّةٌ قعـــساءُ[70]

ويفتخر الحارث بن وعلة ببناء قصر ذي النَّسوع:

بنينـــا ذا النَّـــسوع نكيـــدُ جــــوّاً	وجـــوٌّ لـــيس يعلـــمُ مـــن يكيـــدُ[71]

وأما الأعشى فيؤكِّد أن رحلته في البلاد وتنقله لا تدفعان عنه القضاء المرير، فالموت مستوثق منه وإن أجله إلى حين، فعين الموت لا تغيب عنه، فهو رهين بين يديه، فقد أزال أُذينة عن ملكه، وأخرج ذان يزن من قصوره المحصنَّة، فهو يهلك الملوك ويفنيهم، ويخرج الناس عن مستقرِّهم في دار الشجون:

فهـــل يَمْنعَنِّـــي ارتيـــادي البــــلا	دَ مـــن حـــذرِ المـــوت أن يأتيَـــنْ
أليـــس أخـــو المـــوتِ مـــستوثِقـاً	علـــيَّ وإن قلـــتُ قـــد أنْـــسَأنْ
عَلـــيَّ رقيـــــبُ لـــــه حافـــظٌ	فقُـــلْ فـــي امـــريءٍ غَلِـــقٍ مُرتَهَـــنَ
أزال أُذينـــــةَ عـــــن مُلكـــــه	وأخـــرج مـــن حِـــصنـه ذا حَـــزَنْ
أفـــــــاد الملــــــوكَ فأفناهُــــــمُ	وأخـــرج مـــن بيتـــه ذا يـــزن[72]

وفي معرض حديثه عن الناقة يذكر الأعشى الآطام، فقد أعرضت ناقته عن جُلِّ أهل اليمامة، ولم تقصد غير الممدوح، وقد ألمّت بحياض أقوامٍ، فعافتها وعزفت نفسها عنها، ولم تشرب إلا من حوض ممدوحه ولم تزل تنتقّل بين المدائن قلقة لا تستقّر حتى بلغت قصور جوّ فألقت رحلها بفناء الممدوح واستقرت بها النوى:

ألمّــتْ بأقـــوامٍ فعافـــتْ حياضَهـــمْ	قَلوُصــي وكــان الــشَّربُ منهــا بمائكــا

فلمّـــا أتـــت آطـــامَ جـــوٍّ وأهلـــه أنيخَـــتْ وألقــت رَحْلَهَـــا بفنائكـــا[73]

وفي العصر الإسلامي والأموي تبرز صورة الحصون والآطام بالمعالم العُمرانية التي ستبقى بعد فناء الإنسان وموته يقول لبيد بن ربيعة:

بلينـــا ومـــا تبلـــى النجـــومُ الطوالـــعُ وتبقـــى الجبـــال بعـــدنا والمـــصانعُ[74]

ويشبّه ذو الرّمّة الجمل بضخامة جسمه بالقصر العظيم:

تخيَّـــرت منهـــا قيـــسريّاً كأنـــه وقـــد أنهجـت عنـــه عقيقتـــه قَـصْرُ[75]

ويذكر الكميت بن زيد الأسدي حادثة الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنوّرة مشيراً إلى آطام المدينة للأوس والخزرج:

أبطحـــيُّ بمكـــةَ استثقـــب اللـــ ـــه ضيـــاءَ العمـــى بـــه والظّـــلام

وإلـــى يثـــرب التحـــوُّلَ عنهـــا لمقـــامٍ عـــن غيـــر دار مُقـــام

هجـــرةٌ حُوِّلـــت مـــن الأوس والخـــز رج أهـــل الفـــسيل والآطـــام[76]

وقال زيد الخيل يذكر إقامته في المدينة المنوّرة لما وفد على النبي[عليه السلام] مُشيراً إلى آجام المدينة:

أُنيخَـــتْ بآجـــام المدينـــةِ أربعـــاً وَعَـشْراً يُغنِّـي فوقهـا الليـلَ طائـرُ[77]

ويشير جميل بثينة إلى آطام يثرب:

إذا حلّـــت بمـــصر وحـــلّ أهلـــي بيثـــرب بيـــن آطـــام ولُـــوبِ[78]

ويذكر جرير في معرض حديثه حول رثاء عبد العزيز بن الوليد حزن أهل العراق، وحزن أهل نجد وكذلك أهل الشام، ولهول الفاجعة فقد زُلزلت القصور:

بكـــى أهـــلُ العـــراقِ وأهـــلُ نجـــدٍ علـــى عبـــد العزيـــز، ومـــن يغـــورُ

وأهـــلُ الـــشام قـــد وجـــدوا عليـــه وأحـــزانهم، وزُلزِلَـــت القـــصورُ[79]

وتحدث عمرو بن النُّعمان أخو سعد بن سعد خولان عن الآثار العُمرانية في اليمن كمأرب وصرواح حيث توارثها الآباء عن الأجداد:

لبلقيسَ كان المُلكُ في أرض مأربٍ	وراثةَ أجدادٍ كرامِ المعاطسِ
لقد أُوتيَتْ من كل شيءٍ وأُعطيَتْ	من المُلك ما لم يُعطَ عمرو بن حابسِ
فأورثه عمرو النّدى ابن أذينة	وخولان في أعلى رفيع المجالس
فمدّ على صرواحَ ثوبي مهابةً	فأورثها سعداً زمامَ الفوارس
فأورثها سعدُ بنيه ولم يكن	كمثلِ بنية عند طعن الخوالس[80]

قصرا الخورنق والسَّدير

ويشير المنخل اليشكري إلى قصري الخورنق والسدّير:

وإذا صحوتُ فإنني	ربُّ الشويهةِ والبعير
وإذا سَكِرتُ فإنني	ربُّ الخورنق والسَّدير[81]

ففي هذين البيتين تبرز مجموعة من الثنائيات: صحوتُ، وسكرتُ والشويهة والبعير من جهة والخورنق والسدّير من جهة أخرى، ونلاحظ أن الصحوة مرتبطة بالشويهة والبعير، والسُّكر مرتبط بالخورنق والسدِّير على هذه الصورة.

الصحوة ←— الشويهة والبعير.

السكر ←— الخورنق والسَّدير.

الشويهة والبعير يجسّدان الواقع الحقيقي ومن هنا ارتبطت بحالة الصحوة واليقظة وأما الخورنق والسدّير فهما قصران عظيمان في البناء والموقع ويصعب الوصول إليهما ومن هنا ارتبطا بحالة السُّكر والحُلم، وهذا كناية عن أن الشاعر في حالة السَكر يفعل المعجزات ويقوم بأعمال خارقة، وهذا يؤكد قوله في الفخر في موقع آخر.

فإذا انتشيتُ فإنني	ربُّ الخورنق والسَّدير[82]

ويذكر الشمّاخ بن ضرار الذُّبياني السَّدير وهو القصر القريب من الخورنق: في معرض حديثه عن ليلى:

رأيتُ وقد أتى دُوني	وليلىَ دُون أرحُلِها السَّدير[83]

قصر الموقّر في الشعر الأموي

تألق قصر الموقّر في خلافة يزيد بن عبد الملك (101 - 105هـ) وفي أيام ابنه الوليد (105 - 126هـ)[84] والخليفة يزيد بن عبد الملك هو الذي أطلق على قصره أسم الموقر، ولعلّ هذه التسمية جاءَت من توقير المجالس فيقال: الرجل الموقر والمجلس الموقر، والقصر الموقر، ومن هنا فقد كان الأمويون يتخذون أسماء قصورهم وتسميات مواضع البناء والعُمران التي يقيمونها في بلاد الشام كالرُصافة والرَملة ونهر المبارك وغيرها من الأماكن والمنشآت العُمرانية الأموية[85].

والموقّر من القصور الأموية في بلاد الشام، الذي نال شهرة عظيمة ومكانة رفيعة في الشعر الأموي، وتردّد ذكره أربع عشرة مرة في ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة، بلغ عدد أبياتها ما يزيد على ثلاثمائة بيت، ولسبعة من الشعراء بينهم أربعة من فحول الشعر الأمويين هم: جرير والفرزدق والأحوص وكثَيرً عزة[86].

ولمع اسم الموقر وطار صيته، واتخذ له مكاناً بارزاً في قصائد الشعراء الذين وفدوا عليه وأموا قصر الخليفة فيه، وقد أطال بعضهم الإقامة في الموقّر وجاء في شعرهم إشاراتُ إلى موقعه وطبيعته، وأجوائه، فقد حدّد الشعر موضع الموقّر، وبيَّن معالمه والأماكن التي تجاوزه وتحيط به[87].

ويذكر كثيِّر عَزة أنه زار الخليفة يزيد عندما كان في الموقّر والرّقيم وهما قصران متجاوران:

أميــرَ المؤمنيـــنَ إليـــك نهـــوي ... علـــى البُخـــت الـــصلادمِ والعُجـــوُمِ

يـــزرن علـــى تنائيـــه يزيـــداً ... بأكنـــافِ الموقَـــر والرّقيـــم[88]

وفي قصيدة أخرى لكثير يذكر الدّيار التي يسكن فيها يزيد وأهله حيث تبدأ من الموقّر إلى قسطل البلقاء:

ســقى اللــه حيّــاً بالموقّــر دارُهــم ... إلـى قـسطلِ البلقـاءِ ذات المحـارب[89]

ويعرض الشاعر مروان بن أبي حفصة للمكان الذي يربض فيه قصر المُوقّر فهو في بلاد الشام ويقطنه ملوك أعزّاء هم سادة بني أُميّة يتميّزون بأفعالهم الحميدة وخصالهم الكريمة وكرم الأصل في السخاء والعطاء والجود:

إنَ بالـــشام بالموقّـــر عـــزّاً ... وملوكـــاً مباركيـــن شُهـــودا

ســـادةً مـــن بنـــي يزيـــدَ كرامـــاَ ... سبقــوا النــاسَ مكرمــاتٍ وجــودا[90]

ويذكر الأحوص الأنصاري أنه وفد إلى الرَقيم وأقام فيه، حيث وجد من أهله كل التقدير والاحترام والترحيب:

لعمـــــري إنَنــــي برقيـــــم قيــــسٍ وجــــارةِ أهلهــــا لأنــــا الحريــــبُ[91]

وذكر سعد بن مرة القسطل في قوله:

لاحــت لنــا نيــرانُ حيــي قــسطلٍ فاختــرتُ نــارَك فــي المنــازل نــارا[92]

فقال له الوليد بن عبد الملك: انجحت وفادتك، ووجبت ضيافتك وأعطاه أربعة آلف دينار.

وهكذا كانت صورة قصر الموقّر في الشعر الأموي ناصعة مشرقة، فقد ارتبط اسمه بالخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان الذي كان مقصد الشعراء على الرُغم من المسافة الشاهقة البعيدة التي تفصل بين الشاعر والخليفة الذي اتصل ذكر بالعزّ والأمجاد والمكارم.

المعالم العُمرانية في الحجاز: مكة، يثرب، خيبر

ظهر في حياة العرب قبل الإسلام ما سمي بالحواضر، وهي المدن المركزية الكبرى التي تأسست بأثر العوامل الاقتصادية والتجارية والدينية والقبلية والجغرافية وغير ذلك من العوامل التي ضمنت لها المركزية والسيادة والتحكم في سائر المناطق المجاورة، وقد برز في هذا الصعيد مكة المكرمة والمدينة المنورة وخيبر والطائف في منطقة الحجاز، وربما كان العامل الديني / الكعبة والحج في مكة مثلاً من أهم عوامل نقل مكة إلى مراتب الحواضر إضافة إلى رحلات قريش الصيفية والشتوية في عالم التجارة، وكذلك امتازت بعض الحواضر الأخرى بميزات جديدة ضمنت لها هذا التفوق. وقد أدى هذا التفوق الحضاري إلى تقدم نوعي وكمي في عالم العمارة والبناء فكانت البيوت الحجرية الفخمة، وكانت البيوت الطينية الفخمة كذلك، وظلت هذه الحواضر تشكل أكبر معالم العمران وملامح فنه في الجزيرة، فتسابق الشعراء في وصفها والتغني بجمالها.

وفيما يلي إشارات الشعراء إلى الجوانب العُمرانية لكل من مكة ويثرب وخيبر:

قال* عكرمة في رفع ركن الكعبة بعد تخاصم القبائل فيما بينها مَفْتخراً بأنهم وُلاة البيت:

واللــه لا نأتــي الــذي قــد أردتُــم ونحــــن جميــــعٌ أو يخـــضّبُ بالــــدّمِ

ونحــــن ولاةُ البيــــتِ لا تنكرونَــــه فكيــــف علــى علــمِ البريّــةِ نُظلــــمِ

لنبغــي بــه الحمـدَ الـذي هـو نـافعُ ونخـشى عقـابَ اللـه فـي كـلّ محـرّمَ

...

فهيهــات أنــىً يقــربُ الــرّكنَ سالــمُ   ونحـــن جميـــعٌ عنـــده حيـــن يُقْـسَمُ

فإمـــا تخلوَنـــا وبيـــت حجابنـــا   وإمـا تنـوؤا ذلـك الركـن بـالحرم(93)

وانهدم البيت الحرام بعد بناء إبراهيم له فبنته العمالقة، ثم انهدم فبنته جُرهم، ثم انهدم فبناه قصيّ بن كلاب أو هدمه هو وبناه بناءً لم يبنِ أحدٌ ممن بناه مثله، قال الزبير، وجعل قصيّ يبني الكعبة ويقول:

أبنـــي ويبنـــي اللـــه يرفعُهـــا   ولْيَبْـــن أهـــل وارثُهـــا بعـــدي

بنيانهـــا وتمامهـــا وحجابهـــا   بيـــد الإلـــه وليـــس بالعبـــد(94)

أشار* حرب بن أُمية إلى مكة المكرمة وقد دعا الحضرمي إلى نزولها، وكان الحضرمي قد حالف بني نفاثة وهم حلفاء حرب بن أُميّة، وأراد الحضرمي أن ينزل خارجاً من الحرم فقال حرب:

أبـــا مطـــرٍ هَلُـــمَّ إلـــى صـــلاحٍ   فيكفيـــك النّدامـــى مـــن قريـــش

وتنـــزل بلـــدةً عـــزّتْ قديمـــاً   وتأمـــنَ أن يـــزورَك ربُّ جيـــش

فتأمـــن وســطَهم وتعيـــشَ فيهـــم   أبـا مطـرٍ هُديـتَ بخيـر عيـش(95)

ولنلاحظ أن حرب بن أُميّة كان يدعو الحضرمي إلى مكة والاستقرار فيها بعيداً عن الخوف ففيها يلقى الأمان ويتحصّن من خطر الأعداء.

ويشير ضرار بن الخطاب الفهري إلى الحجر حيث دفن فيه زهير بن الحارث، فما دفن فيه أحد أفضل من زهير عدا إسماعيل بن إبراهيم وهاجر عليهما السلام:

ما ضُمِّن الحَجَرُ ممن قـد مضى أحَـدُ   مـــن البريّـــة لا فُـصْحٌ ولا عجـــمُ

بعـــد ابـــن آجـــر أن اللـــه فـضّله   إلا زهيـراً لـه التفـضيلُ والكـرمُ(96)

ويشير حسّان بن ثابت الأنصاري إلى يثرب التي تشهد شجاعتهم وتضحياتهم:

ويثـــرب تعلَـــمُ أنّـــا بهـــا   أُســـودٌ تُنفَـــض ألبادَهـــا(97)

وذكر عبد الله بن رواحة يثرب حيث الأمان والكرم والجود والشجاعة والشدّة على الأعداء والحكمة والذكاء والعدل والوفاء:

متـى مـا تـأتِ يثـرب أو تزُرهـا	تَجدْنـا نحـنُ أكرمَهَـا وجُـوُدا
وأغلظَهـا علـى الأعـداءِ رُكنـاً	وألينَهـا لباغـي الخيـر عُـودا
وأخـصبها إذا اجتمعـوا لأمـرٍ	وأقـصَدَها وأوفاهـا عُهـودا[98]

ويفتخر عون بن أيوب الأنصاري الخرزجي في الإسلام بقومه الذين نزلوا يثرب والشام وخطبوا فوق المنابر وحكموا مدينة دمشق:

وسرنـا إلـى أن قـد نزلنـا بيثـرب	بـلا وهـنٍ منـا وغيـرِ تـشاجرِ
وسـارت لنـا سـيَّارةٌ ذاتُ منظـرٍ	بكـوم المطايـا والخيـول الجماهـر
يرومـون أهـلَ الـشام حتـى تمكنّـوا	ملوكـاً بـأرض الـشام فـوق المنابـرِ
أولاك بنـو مـاءِ الـسَّماء توارثـوا	دمـشق بملـكٍ كـابراً بعـد كـابر[99]

ويشير أوس بن حجر إلى مدينة خيبر حيث يذكر الحُمّى:

إذا ناقـةٌ شُـدَت برَجْـلٍ ونُمْـرُقٍ	إلـى حَكـمٍ بعـدي فـضلَ ضلالُهـا
كـأنَّ بـه إذا جئتَـه خيبريـةً	يعـودُ عليـه وِرْدُهـا ومُلالُهـا[100]

ويذكر الشمّاخ بن ضرار الذبياني مدينة خيبر وهذه الحُمّى المنسوبة إليها فقد وُصف بأنه كالبعير الذي أهزله السفر فضعُف جسمه كأنه مُصاب بهذه الحُمّى الخيبرية التي يصعُب رحيلها وزوالها:

ألا تلـك ابنـةُ الأمَـويِّ قالـت	أراك اليـومَ جـسمُك كالرَجيـع
كـأنَّ نطـاةَ خيبـرٍ زوّدتـه	بَكـوُرَ الـوِرد ريثـةَ القُلـوُعِ[101]

ويفتخر الكميت بالمعالم العُمرانية في مكة حيث الأباطح والحجون وبيت الله وزمزم والحطيم والقباب ومنى ومدينة وجّ وهي الطائف وسوق عكاظ وذو المجاز وهذه كلها تقع تحت مسؤولية بني هاشم يقول:

وإنَّ لنـا بمكَـةَ أبطحيهـا	ومـا بـين الأخاشـبِ والحُجوُنـا
وبيـت اللـه نحـن لـه ولاةٌ	وخُـزّانٌ عليـه مُـسَلّطونـا

وزمـــزمُ والحطيـــمُ وكُـــلُّ ســـاقٍ	**يـــرى أهـــلَ الخِـصَاص لــه قطينــا**
وأطنــــابُ القِبــــاب مُمــــدّداتٌ	**بخيـــفِ مِنـــىً علـــى المـــستأذنينـا**
ووجّـــاً والذيـــن سَمَـــوا لِـــوَجٍّ	**لآلات الحُــــــروُب مظاهرينـــــــــا**
وأبطـــحَ ذي المجــاز وحيــث تلَقـى	**رجــــالَ عُكــــاظٍ للمتنبّئينــــا**(102)

وهكذا كان الشعر يواكب العُمران في مكة ويثرب وخيبر، ويربطه الشاعر بحياته النفسية والصحية والاجتماعية، فلم يَعُدْ المكان في نظر الشاعر مجرّداً عن إحساسه ووجدانه، بل راح يتفاعل معه بمشاعره وحاجاته كالأمن والاستقرار والافتخار، مما يشكّل وعياً لدى الشاعر الذي يجاوز وصف العُمران على أنه شيءٌ مادي إلى أبعاد أُخرى تتصل بصميم حياته.

ولم يغفل الشعراء على امتداد المراحل التاريخية عن ذكر الأماكن الدينية في الجزيرة العربية، وعلى وجه الخصوص مكة المكرمة التي تحتضن الكعبة المشرفة، فقد تغنّى الشعراء بولاية الكعبة والاستقرار الذي تنعم به وما توفّره من أمن وحماية للناس كما تغنّى الشعراء بيثرب (المدينة المنورة) التي يتحقق في ربوعها الكرم والجود والشجاعة والشدّة على الأعداء، كما حظيت مدينة خيبر بالشّعر الذي ينسب إليها بعض الأمراض.

النّاقة والعُمران

يشكل العمران والبنيان والدور أحد أهم عوامل الاستقرار بالنسبة للإنسان العربي القديم، كما تشكل الناقة أحد أهم عوامل الترحال والتجوال وربما الحياة نفسها، حتى أضحت هذه الناقة أكثر أهمية من البيت نفسه، ولما كانت تشكل ملامح الفخامة والعزة والتناسق البدني القوي الرائع، فقد أضحت صورة أخرى للعمران على الصعيد الفني، كما أصبحت بعض هذه المعالم العمرانية صورة لها على الصعيد الفني، وقد تجلت صور الهيكل والقنطرة والأعمدة في الناقة الضخمة القوية، فانسرب الحسي المتحرك الحي في الساكن الثابت، وكذا العكس.

ويتحدث الشعراء عن الناقة فيصورونها بهيكل النصارى في الضخامة يقول امرؤ القيس:

وقــد أغتــدي قبـل العُطـاسِ بهيكـلٍ	**شديـــدِ الجَنْـــبِ فَعْـــمَ المُنَطَّـــقِ**(103)

ويقـول:

وقــد أغتــدي والطيــرُ فــي وُكُناتهـا	**بمنجَــردٍ قيْــدِ الأوابــد هيكــلِ**(104)

ويقـول:

وغيـــثٍ كألـــوان الفنـــا قـــد هَبَطْتُـــهُ تعـــاوَرَ فيـــه كـــلُ أوطَـــفَ حَنَّـــانِ

علــى هيكـــلٍ يُعطيـــك قبـــلَ سُؤالـــه أفانيـــنَ جـــريٍ غيـــر كـــزٍ ولا وانِ[105]

ويشبّه طرفة بن العبد ناقته ببيت النصارى (الهيكل) حيث يقول:

وفُحُـــــولٍ هيكـــــلاتٍ وُقُـــــحٍ أعوجيّـــاتٍ علـــى الـــشّاوِ أزُم[106]

وقـال:

قـــد تبطَـــتْ بطـــرفٍ هيكـــلٍ غيـــرِ مريـــاءٍ ولا جـــابٍ مُكـــدْ[107]

كما يشبَهُ عنترة العبسي ناقته بهيكل النصارى:

ولـــرُبَّ مـــشعلةٍ وَزَعْـــتُ رعالَهـــا بُمقلّـــصٍ نَهْـــدِ المراكِـــلِ هيكـــلِ[108]

ويشبه الشاعر ناقته بأنها بناء من أبنية اليهود، فهي طويلة ضخمة موثّقة الخلق وهي محلُ اهتمام الشاعر ومحط أمله حينما ينقطع عنه أصحابه، كالقصر المنيع الذي يحمي أهله نوائب الدّهر ونكباته، يقول امرؤ القيس:

فعزّيـــتُ نفـــسي حـــين بـــانوا بجَـــسرةٍ أمـــونٍ كبنيـــان اليهـــوديّ خَيفـــقِ[109]

ويشبه زهير بن أبي سلمى ناقته في علوّها وضخامتها بالقصر المشيّد:

وكأنّهـــــا إذا قرّبـــــتْ لقتودِهـــــا فـــدَنٌ تطـــوف بـــه البنـــاةُ مُبـــوّب[110]

ويشبه الأعشى ناقته بقنطرة الرومي:

مَرِحَـــتْ حُـــرَةٌ كقنطـــرةِ الرّومـــي تَفْـــري الهجيـــرَ بالإرقـــالِ[111]

ويشبه بشر بن أبي خازم ناقته بدكان العبادي ويشبّه سنامها بالناقة المعقولة على قبر صاحبها.

أمونـــاً كـــدكان العَبِـــاديّ فوقَهـــا سنـــامٌ كجثمـــانِ البليّـــةِ أتلـــعُ[112]

وأما نابغة بني شيبان فيرى ناقته بأنها مكتنزة اللحم محكمة الخلق، فيصورها بالبناء الضخم الموثق البناء:

مُـــضبَرةُ أجْـــدُ كـــأنّ فحالَهـــــا وَمــا بَــين متنيهــا بنــاءُ موثَّــقُ[113]

وأما لبيد بن ربيعة العامري فإنه يتحوّل عن الأطلال ويسلي نفسه باللجوء إلى ناقةٍ ضخمة قويّة نشطة فيصوّر هذه الناقة بالقصر الكبير ذي البناء المرتفع:

فــصددتُ عـــن أطلالهـــنّ بجـــسرةٍ عَيْرانـــةٍ كـــالعقرِ ذي البنيـــان[114]

لعلّ الشاعر القديم كان على وعي وإدراك تامٍّ بالعُمران القائم، وعلى وجه الخصوص ما كان منه للنّصارى واليهود والروم، ويظهر ذلك من خلال تشبيه الناقة بهيكل النصارى ضخامة وببناء اليهود المحكم وقنطرة الرومي الكبيرة، ولربما فطن الشاعر الجاهلي إلى ذكر الناقة وتشبيهها بتلك المظاهر العُمرانية لغاية في نفسه وهي القيمة التي تتمحور حولها الناقة كما للعُمران من قيمة ومنزلة، فإذا كان العُمران مأوى الإنسان وملجأه وفي أكنافه يحتمي من الأعداء، فإن الناقة هي الأخرى وسيلة من وسائل الاحتماء بها واللجوء إليها وقت الشدائد.

ومما سبق يتضح بصورة جليّة كيف استطاع الشاعر بذكائه أن يعقد تلك المقارنة بين المادي (العُمران) والحي (الناقة)، تلك المقارنة التي جاءت لإضفاء البعد الحياتي والنفسي الذي يحياه الإنسان على أرض الواقع، فقد كان الأمن والحماية والجود والملجأ هاجساً من هواجسه، فعبَّر عنها من خلال حديثه عن تلك المظاهر العُمرانية " هيكل النصارى " وبناء اليهودي: وقنطرة الرومي "، وتشبيه الناقة لما لها من أهمية في تأمين تلك الحاجات الإنسانية التي تؤمن له الحياة.

معالم عُمرانية متفرقة

هناك إشارات إلى بعض المعالم العُمرانية كالإيوان، فقد شبّه الأعشى الجيش الضخم الذي يقوم على حمايته الذي يضطرب بما يحوي من الدروع والرِّحال ويتقدّم بإيوانٍ ضخم:

ويحمــــي الحـــيَّ أرعــــنُ ذو دُروعٍ مـــن الـــسُلاَّف تحْـــسَبُه إوَانَـــا[115]

وهناك إشارات إلى ما يتعلق بالعمران، كالإشارة إلى قُفل الباب، فقد هجا الأعشى عمرو بن المنذر وعاتب بني سعد بن قيس، وذكر أن صاحبه إذا أدام ظلمه له، أمسك به ولم يفلته، حتى لا يتعوّد ذلك منه ويظنُّ به الضعف، وعند ذاك يحاول الإفلات فلا يستطيع، كما يلتمس الرّومي فتحَ قُفْلٍ مستغلق، لا يزال يدير فيه مفتاحه فيخطىء حدّ أسنانه ويزّل عنها:

وكنــت إذا مــا القِــرْنُ دَامَ ظُلامَتــي غَلِقْــتُ فلــم أغْفِــرْ لخَــصْمِي فَيَدْرَبَــا

وكنــت التَمَــسَ الرُومــيُ مِنْـشَبَ قُفْلِـهِ إذا اجتــسَه مفتاحُـهُ أخطـأ الـشبا[116]

ويذكر الأعشى كثيراً من المعالم التي جابها وطوّف فيها للحصول على المال: فقد سافر إلى آفاق الأرض، ووصل إلى كلّ مكان، فقد جاب عُمان وحمص وأورشليم، وأرض النجاشي وأرض النبيط والعجم، ونجد وحمير وحضر موت.

وقـــد طُفْـــتُ للمـــال آفاقَـــه　　　عُمـــانَ فِحِمْـــص فأوريـــشْلِمْ

أتيـــتُ النَّجاشـــيَّ فـــي أرضِـــهِ　　　وأرضَ النبيـــطِ وأرضَ العجـــم

فنجـــرانَ فالـــسّروَ مـــن حميـــرٍ　　　فـــأيَّ مـــرامٍ لـــه لـــم أرُمْ

ومـــن بعـــد ذاك إلـــى حَـــضْرَمَوْتَ　　　فأوفيـــتُ همَّـــي وحينـــاً أهُـــمْ[117]

ويذكر العجّاج حائط الطرفين الذي بُني حول الخندق، فهذا الحائط لا يغُني شيئاً:

لا تحـــسبنَّ الخندقيـــن والحَفَـــر　　　وحـائطَ الطرفـاءِ يكفـي مـن خطـر[118]

ويشير امرؤ القيس إلى سدّ يأجوج ومأجوج الذي يحجز أشعة الشمس:

هُمـــامُ طحطـــحَ الآفـــاق وَحْيَـــاً　　　وســـاقَ إلـــى مـــشارقِها الرّعـــالا

وســدَّ بحيــث ترقــى الــشمسُ ســدّاً　　　ليـــأجوجَ ومأجـــوجَ الجبـــالا[119]

كما يذكر أميّة بن أبي الصّلت بناء سدّ مأرب:

مـــن سبـــأ الحاضريـــن مـــأرب إذ　　　يبنـــون مـــن دون ســـيله العَرِمـــا[120]

ويشير الفرزدق في مدحه للحّجاج – الذي قام برحلة مضنية – إلى المعالم العُمرانية التي مرَّ بها، واسط، وإيلياء، وفلسطين، وبيسان، وإن الطّير تعجز عن المسير مثله وتكلّ عن اجتياز المسافة بين واسط وبيت المقدس، وانطلق عند المساء من بيت المقدس على مُهره، وظلّ يسير حتى أناخ مهره في ميسان بعد أن أرهقها طولُ السّفر:

لـــو أنَّ طيـــراً كُلِفَـــت مِثْـــل ســـيرِهِ　　　إلـــى واســـطٍ مـــن إيليـــاءَ لكَلَّـــتِ

سمـــا بالمهـــارىَ مـــن فلـــسطينَ بعـــدما　　　دنـــا الفـــيءُ مـــن شـــمسِ النَّهـــار فولَّـــتِ

فمـــا عـــداً ذاك اليـــومُ حتـــى أناخَهـــا　　　بميـــسانَ قـــد حُلَّـــتْ عُرَاهَـــا وملَّـــتِ[121]

في البيت الثاني يظهر المعلم العُمراني، باب جسر الأمير " مرتبطاً بجارية إسماعيل بن يسار، فبعد أن جعلها تفوق برودة ثلج ساتيدما، أتجه إلى هيكلها وضخامته، فهي تفوق سعة باب جسر الأمير، ودلّل على هذه السعة والضخامة أن القوافل المحمّلة تمرُ تحت هذا الجسر ولم تُخدش أو تصبْ بأذى.

ومما رجت به قريش أن الله قد رضي عما كانوا أجمعوا عليه من هدم الكعبة، أنَّ حيَّةً في بئر الكعبة التي كان يطرح فيها ما كان يُهدى إليها، فتخرج كلّ يوم تشرف على جدار الكعبة إذ بعث الله إليها طائراً فاختطفها وذهب بها وفي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب:

عجبـــتُ لـــدى تـــصوّبتِ العُقـــابُ	**إلـــى الثعبـــان وهـــي لهـــا اضطـــرابُ**
وقـــد كانـــتْ يكـــونُ لهـــا كـــشيشٌ	**وأحيانـــــاً يكـــــون لهـــــا وثـــــابُ**
فلمّـــا أن خـــشيت الرّجـــز جـــاءت	**عُقـــابٌ تتلئـــبّ لهـــا انـــصبـابُ**
فـــضمّتها إليهـــا ثـــم خلَّـــت	**لنـــا البُنيـــان لـــيسَ لـــه حجـــابُ**
فقمنـــا حاشديـــن إلـــى بنـــاءٍ	**ليـــست منـــه القواعـــدُ والتـــرابُ**
غـــداةَ نرفـــعُ التأسيـــس منـــه	**وليـــس علـــى مُـــسوِّينا ثيـــابُ**
أعـــزّ بهـــا المليـــكُ بنـــي لـــؤيٍّ	**فلـــيس لأصلِـــه منهـــم ذهـــابُ**
وبـــوّأك الإلـــهُ لـــذاك مجـــداً	**وعنـــد اللـــه يُلتمـــسُ الثـــوابُ[122]**

يشير هذا النص إلى أحد المعالم العُمرانية البارزة وهو بناء الكعبة والصعوبات التي كانت تعترض بني عدي ومُرة في عملية البناء، حيث كانت الأفعى تحولُ دون مواصلة العمل، إلى أن قيّض الله لها طيراً اختطفها، وبدأت عملية البناء حيث رُفعت القواعد:

فقمنـــا حاشديـــن إلـــى بنـــاءٍ	**ليـــست منـــه القواعـــدُ والتـــرابُ**
غـــداةَ نرفـــعُ التأسيـــسَ منـــه	**وليـــس علـــى مُـــسوِّينا ثيـــابُ**

ويذكر امرؤ القيس الأُطمُ في تيماء حيث بُنيت بالجصّ والحجارة، فلم يدع هذا السيل بيتاً مبنياً بجصّ وحجارة إلا هدمه إلاّ هذا القصر المبني بالصخر العظيم، فإنّه سليمٌ لقوّته ومنعته:

وتيماءَ لم يَتْركْ بها جِذعَ نخلةٍ ... ولا أُطُماً إلا مَشِيْداً بجَنْدَلِ(123)

ويشير امرؤ القيس إلى البناء المبنى بالشيد والجصّ الذي يؤلف بعضه إلى بعض دليل التلاحم والتماسك:

فذلك منا الدأبُ حتى نَقُدَّها ... مِثالاً كبنيانٍ يُشادُ ويُرصَفُ(124)

ويقول عُبيد بن ثعلبة وقد دخل اليمامة فرأى قصورها ونخيلها، وقد بُنيت هذه القصور بالجصّ، وبقيت شامخة ببنائها بعد رحيل أهلها:

حللنا بدارٍ كان فيها أنيُسها ... فبادوا وخلّوا ذات شِيْدَ حصونُها

فصاروا قطيناً للفلاة بغربةٍ ... رميماً وصرنا في الدّيار قطينها(125)

ويذكر عنترة حقيقة مفادها أن الموت يطرق جميع الأبواب ويصل إلى هدفه ولو كان الإنسان محتمياً بحصنٍ منيع قويّ مبنيّ بالصخور الكبيرة العظيمة:

فالموتُ لا ينجيك من آفاته ... حصنٌ ولو شيّدتَهُ بالجندَلِ(126)

ويشبه بدر بن عامر الهذلي أبا العيال حيث قوته وصلابته وامتناعه على الآخرين من النيل منه بأنه حصن منيع مبني بالآجر الذي لا تنتقص منه المجانيق:

إنـي وجدت أبا العيال ورهطَه ... كالحصن شِيْدَ بآجر موضون

أعيا المجانيقَ الدواهي دونه ... فتركنَه وأبرّ بالتحصين(127)

ويشير أُميّة بن أبي الصّلت إلى مواد البناء التي تشكّلت منها المعالم العُمرانية لفرعون، فيذكر الثقال وهي الحجارة الضخمة الثقيلة: (وهي إما نقيض الخفيف ومعناها أن بنيانه مبني بالحجارة الثقيلة، وذلك دلالة على ضخامته وارتفاعه، وإما كل شيءٍ نفيس ومعناه أن بنيانه مبني بكلّ نفيس من حجارة أو مرمر وذهب وسواها:

حيَّ داودَ وابنَ عادٍ وموسى ... وفُرَيْعُ بنيانُه بالثَقال(128)

ويتحدث أُمية عن مواد بناء قصر القَيْل، فهو منطّقٌ بالرُخام، وفي كل ركنٍ من أركانه تمثال:

قصرٌ بناه أبوك القَيْلُ ذو شرحٍ ... فهل يُرى أحَدٌ نال الذي نالا

إلى أن يقول:

مُنَطَّــقٌ بالرُّخـــام المُـــستزاد لـــــه تــرى علـى كـلِّ رُكـنٍ منــه تمثـالاً[129]

وفي وصفه للنَاقة التي يشبهها بقنطرة الرّومي، يُحدّد طرفة بن العبد أن صاحبها قد بناها بالجصّ والقرمد وهو الآجر، وبالحجارة المتلاصقة الملتحمة كأنها سقيفٌ مُسنَّد:

لهــــا مِرفقـــان أفتـــلان كأنَّمــــا أُمِـــرّا بِـــسَلْمى دالـــجٍ مُتَـــشدِّد

بقنطـــرةِ الرُّومـــي أقـــسم ربُهــــا لتكتـــنفَنْ حتـــى تُـــشادَ بِقَرْمَـــدِ

أُمــرَّت يداهــا فتــلَ شَــزْرٍ وأُجنحــت لهـا غاضـراها فـي سـقيفٍ مُـسَنّدِ[130]

في هذا النص تبرز مظاهر الحضارة بصورة واضحة في صورة الناقة، فيعرض من البناء القصر المنيف، وقنطرة الرّومي المقرمدة، والسُّقف المُسنَّدة، ويشبّه الشاعر فخذي الناقة بأعمدة القصر المصقولة، وتلاحم بنيانها بقنطرة الرّومي والسقف المقرمدة، أو طيَّ البشر، وهذه الأبنية تعمّقَ الإحاس بالثبات والتماسك والتلاحم والرسوخ والمنعة، ولكن صور الأبنية تحوي غير الصّلابة ففيها معنى الجلال والهيبة والعظمة وتحوي أيضاً فكرة الملجأ والمأوى، وفيها معنى الحماية والمقاومة.

وينسب طرفة القنطرة إلى بانيها ابن الرّومي، والرّوم اشتهروا بالعمارة الفنية المتقنة القادرة على حماية أصحابها من عوادي الطبيعة والإنسان، وهي عمارة يتضح فيها الجهد الإنساني والعقل الواعي المبتكر، ويمكن أن نلحظ في هذه الأبنية التي يقيم الشاعر صروحها في خياله معاني الخوف والرّهبة والبحث عن مأوى؛ لذلك كانت إرادة البناء والتشييد التي يرسمها طرفة في أحلامه تعبيراً عن الضياع الذي يُعانيه الجاهلي في الصحراء العربية، وما تفرضه عليهم معيشتهم من رحيل أبدي يُخلف أطلالاً وهياكلَ حُبٍّ مهّدمةَ[131]، وإن الرغبة في الاستقرار في الوطن وبناء الحضارة هو ما يشغل عقل الشاعر الجاهلي وهو يصف الناقة ويقيم صُروحها وقناطرها وأعمدتها في خياله، وهذا البناء تجسيدٌ دقيق لأمانيه في وقف حياة التشرُّد والضيّاع والهجرات المستمرة، لأنهم بحاجة إلى استقرار في الوطن وإلى حضارة راسخة دائمة حيث الأمن والحبّ غير المهدّد بالرحيل، ويبحث الشاعر عن صيغ جديدة للحياة في الصحراء العربية، والبديل الذي يختاره هو الحضارة التي تمثلّها الأبنية الحجرية الثابتة، القصر المَمرد والقناطر.

وإنّ رؤية الشاعر للناقة ليست رؤية البدوي الذي يراها الرفيق والأنيس والصّاحب فحسب، وإنما كان يراها وسيلة إلى بناء الحضارة، أو هو يستعين بقواها الحضارية في مقاومة البداوة، وإن تشبيه الناقة بقنطرة الرّومي والأبنية إنما هو بشير بالحضارة في مواجهة البداوة، والاستقرار في مواجهة الرّحيل، والبناء في مواجهة الهدم) [132].

ويخاطب الأعشى كسرى حين أراد منهم رهائن لمّا أغار الحارث بن وَعْلَةَ على بعض السَّواد خاطب كسرى مفتخراً بركوبه الجمل الضخم الفتي، الذي تماسكت فقراته، فكأنها بُرج النبيط قد شيدوه بالآجر والقرميد والجصّ والحجارة والخزف المطبوخ:

وعُـــذافرٍ سَـــدَسٍ تخـــالُ مَحَالَـــه ... بُرْجـــاً تُـــشيِّدُه النبيـــطُ القَرْمَـــدا[133]

ويشير الأعشى في مدحه للنعمان بن المنذر إلى وصف الناقة، فهي في ضخامتها كبنيان التهامي شُيِّد بالحجارة والآجر والطين والجير:

فأضـــحت كبنيـــانِ التّهـــامي شـــادَهُ ... بطيـــنٍ وجيّـــارٍ وكِلِـــسٍ وقرمَـــدِ[134]

ويذكر الأعشى المواد التي بنى منها سدّ مأرب حيث الرّْخام الذي بنته حمير مما جعل السّدّ محكماً لا تتسرّب مياهه، فيروي الزّروع والأعناب:

رُخـــامُ بنتـــهُ لهـــم حِمْيَـــرُ ... إذا جـــاءَه ماؤُهُـــمْ لـــم يَـــرِمْ

فـــأروى الـــزُّورعَ وأعنابَهـــا ... علـــى سَعَـــةٍ ماؤُهُـــمْ إذ قُـــسِمْ[135]

ويذكر المثقَّب العبدي في وصفه للناقة مواد البناء كالطين لأحد المعالم العُمرانية، فناقته بعد ارتحال عليها أصبحت هيكلاً ضخماً كأنه بنيانٌ مدكوك بالطين:

فأبقـــى بـــاطِلي والجِـــدُ منهـــا ... كـــدُ كَـــان الدرابنـــةِ المطيَـــن[136]

ويفتخر الأعشى قائلاً إنّ لي فوق ظهر الناقة يوماً عسيراً هو أشدّ من يوم حيّان أخي جابر، وقد حُبس في حصن عالٍ مُشيَّدٍ، بُني من حجارة صمَّاء ملساء، ولا يقف في سبيلها شيء، فهي تعصف بالحاسر وبالدّارع على السواء:

شتـــان مـــا يوْمـــي علـــى كوُرهـــا ... ويـــومُ حيّـــانَ أخـــي جابـــرِ

فـــي مِجـــدَلٍ شُيِّـــد بنيانُـــه ... يَـــزِلُّ عنـــه ظُفُـــرُ الطّائـــرِ

يجمـــعُ خـــضراءَ لهـــا سَـــورْةٌ ... تعـــصفُ بالـــدّارع والحاســـرِ

باسلـــةُ الوقـــعِ سرابيلُهـــا ... بيـــضٌ إلـــى جانبـــه الظاهـــرِ[137]

ويصف الأعشى الناقة بأن لها فخذين تدفعان من فوقهما ظهراً متماسك العضل كأنه بنيان من الحجارة المرصوصة، ولها صدر يتجافى عنه مرفقاها المفتولان، وكأنهما في قوّتهما قصر بيت الصيدلاني:

لهـــا فَخِـــذان تحِفـــزَان مَحَالـــةً وصُلبـــاً كُبنيـــان الـــصّفا متلاحكـــا

وَزَوراً تـــرى فـــي مِرْفَقيـــه تجانُفـــاً نبيـــلاً كبيـــت الـــصيّدلانيِّ دامكـــا[138]

وأما عنترة فيصوّرناقته بالبنيان المحكم لشدّة خلقها وهذا البنيان مكوّن من البناء المقرمد من الجصّ والآجر.

أبقـــى لهـــا طـــولُ الـــسّفار مقرْمـــداً سنـــداً ومثـــلَ دعائـــم المتخيّـــمِ[139]

وقال* أوس بن ثعلبة التيمي صاحب قصر أوس في البصرة وقد نظر إلى صورتين لجاريتين بتدمر من الحجارة:

فتـــاتَيْ أهـــل تدمـــر خبِّرانـــي ألمّـــا تـــسأمَا طـــولَ القيـــام ؟

قيامُكمـــا علـــى غيـــر الحـــشايا علـــى جبـــلٍ أصـــمّ مـــن الرّخـــام

وإنكمـــا علـــى مـــرّ الليالـــي لأبقـــى مـــن فـــروعِ ابنـــي شمـــام[140]

ويشير الشاعر في هذا النص إلى هاتين الصورتين في قصر أوس بالبصرة حيث أقيمتا في هذا القصر المبني بالرّخام الذي يُعدّ من المواد الرئيسية في عملية البناء.

وتظهر " صورة البناء في الشعر الأموي " من خلال شعر عدي بن الرقاع العاملي:

فأنـــت غيـــثُ بـــإذن اللـــه أرسلـــه للمـــسلمين حيّـــاً ولـــلأرض عُمرانـــا

فـــلا تـــرى نائـــلاً يجـــري كنائلـــة ولا كبنيانـــــه فـــــي الأرض بُنيانـــــا

إن مــــساجدَ الإســــلام جامعــــةً ولـــم يَـــدَعْ بيـــتَ إشـــراكِ كمـــا كانـــا

كنـــسيةً حَـــدَرَتْ عـــادُ حِجارَتَهـــا مـــن الجبـــال التـــي شرقـــيّ لبُنانـــا

مـــن كـــلّ أيْهَـــمَ يكـــسو الـــثلجُ ذِروتَـــه حتـــى فـــشا وبـــدا فـــي الـــصيف عُريانـــا

إلى أن يقول:

بنـــوا قناطـــرَه حتـــى إذا جعلـــوا	**لــــه مـــن الجَنْـــدَل العـــاديَّ أركانـــا**
فأحـسن الـصنَعَ بنَـاؤوك وارتفعـوا	**فـــوق الذيـــن تغنَـــوا فيـــه أزمانـــا**
كَـسَوه مـن عمـل الـصنَاع مُلتهِقـا	**يكــاد يختطــفُ الأبــصار عِقيانـــا[141]**

في هذا النص يذكر الشاعر من المعالم العُمرانية المساجد، والكنائس، والقناطر، ويؤكِّد الشاعر مثالية هذه الأبنية وجودتها وتميّزها عن سائر الأبنية من حيث مواد البناء، فالكنائس بنيت بالحجارة المصنَعةِ شرقي لبُنان، وكذلك القناطر التي بُنيت أركانها بالحجارة الضخمة القوية، وقد كُسيت بالذهب الذي يخطف الأبصار بريقه ولمعانه، ومن هنا استحقت هذه الأبنية الخصوصية والجمال فأصبحت نغماً خالداً في جبين التاريخ بما تحويه من نفائس المواد من الحجارة والذّهب، حيث أتقن الصنّاع توظيف هذه المواد:

فأحـسن الـصنْعَ بنـاؤوك وارتفعـوا	**فـــوق الذيـــن تغنَـــوا فيـــه أزمانـــا**

ويبلغ عبد الملك بن مروان خبر مدينة النّحاس (مدينة " الصّقر " وهي من مدن الأندلس وما فيها من الكنوز فكتب إلى موسى بن نصير عامله على المغرب بأمره بالمسير إليها وإبلاغه ما فيها، وقد كُتب على أحد أسوار المدينة بالحميرية وتُرجم إلى العربية:

لـيعلَمَ المـرءُ ذو العـزّ المنيـعِ ومـن	**يرجـــو الخلـــود ومـــا حـــيٌّ بمخلـــودِ**
لـو أنّ حيَـاً ينـال الخلـد فـي مهـل	**لنـــــــال ذاك سليمـــــــانُ بـــــــن داودِ**
سالـت لـه العيـنُ عيـنُ القَطْـرِ فائـضة	**فيـــه عطـــاءُ جليـــلُ غيـــرُ مـــصرودِ**
وقـال للجـنّ أنـشوا فيـه لـي أثـراً	**يبقـى إلـى الحـشر لا يبلـى ولا يـودي**
فـصيّروه صـفاحاً ثـم ميـل بـه	**إلـــى البنـــاءِ بإحكـــامٍ وتجويـــدِ**
وأفرغـوا القطـر فـوق الـسّور منحـدراً	**فـصار صُـلباً شـديداً مثـل صـيخودِ[142]**

يشير النص إلى حتيمة الموت فكل حيٍّ إلى فناء ولا خلود في هذه الحياة، لقد مات سليمان عليه السلام الذي كان يسيطر على الجن، وبُنيت له الحصون والمدن بإحكام وإتقان من الحجارة والحديد والصخر.

وإلى هذا أشار النابغة الذبياني إلى مدينة تدمْر التي أمر سليمان عليه السلام ببنائها فبنتها الجنّ بالحجارة الكبيرة والرُخام:

وخيِّـسِ الجـنَّ إنـيَ قـد إذنـتُ لهـم — يبنــون تــدْمرَ بالــصُفاح والعَمَــد[143]

وقال العَرْجي يصف الفرس ويشبهه بالحائط:

لــه ثــرَّةٌ تنهـلُّ مــن جــوف رأســه — تكـــادُ لهـــا فيْـــه العُـــروُقُ تبـــزَلُ

كمـا انهـدَّ جَـدْرُ مائـلُ كـان حَـشْوه — مـع الآجـرِ المطبـوخ شِيـدُ وجَنْـدلُ[144]

الزَخرفة

ويُشير الشعراء إلى كثير من الفنون العُمرانية ومنها على سبيل المثال فن الزَخرفة والنقش، فقد ذكر الشعراء في الجاهلية وصدر الإسلام بعض هذه الفنون من التماثيل والزَخرفة والدّمى والنقش، وفيما يلي بعض من هذه الإشارات:

قال عبد المطلب بن هاشم:

دعـــــوتُ ربِّــــــي دَعــــــوةَ المُنَاصـــــحِ

دعـــــوةُ مبتـــــاعٍ رضـــــاهُ رابـــــحِ

أعطــــى علـــى الـــشُحَ مـــن المنائـــحِ

زمـــــــزم لا مُلتاحُهــــــا المُمائـــــحِ

كـــم مـــن حجيـــجٍ مغتـــدٍ ورائـــحِ

جـــاء بهـــا مـــن بعـــد لـــوحٍ اللائـــحِ

سُقيـــاً علـــى رغـــم العـــدو الكاشـــحِ

بعـــد كنـــوز الحلـــي والـــصفائحِ

حلـــيٌ لبيـــت اللـــه ذي المـــسارحِ

بيـــــتُ عليــــه النَـــورُ كالمــــصابـحِ

بُنيــــان إبراهيــــم ذي المــــسابـحِ

بنــــاه بالرِّفـــق وحلـــمٍ راجـــحِ

ويشير هذا الرَّجز إلى أن عبد المطلب بعد عثوره على الصفائح والذَّهب عند حفره زمزمَ، اتخذها زينة وحلياً لبيت الله الحرام.

بيــــن الجبــــال الــــصَمِّ والــــصَرادحِ

فهــــو مثـــابُ لــــذوي الطلائــــحِ

ينتابُــــه مــــن كـــل فــــجٍّ نــــازحِ[145]

ويذكر بشر بن أبي خازم النقوش والتصاوير:

فكــأنَ أطــلالاً وباقــي دِمنَــةٍ بَجــدُودَ ألــواحُ عليهــا الزُخْــرُفُ[146]

ويمثّلُ هذا البيت ثنائية ضديّة عنصرها الأول الشُطر الأول من البيت، والعنصر الآخر هو الشطر الثاني من البيت، البداوة والحضارة، فأطلال المحبوبة وآثار الدِّمنه تمَثّل أحد مظاهر البداوة، وأما الحضارة فتتمثل هنا بفنّ الزَخرفة والنُقوس والتصاوير فآثار المحبوبة في الدمنة وما سوَّدوا في ساحة الدّار بدت كأنها ألواحُ عليها نقوشُ وتصاوير.

ويشير بشر بن أبي خازم إلى الدّمى والتماثيل في حديثه عن الحرب بين بني سعد بن ضبَّة وبني يربوع:

عضاريطُنا مستبطنوا البيض كالـدُمى مُــضَرَّجةٌ بــالزَعفران جُيُوبُهــا[147]

فالشاعر يفتخر بأنّهم قد سَبَوا نساء أعدائهم وألحقوا بهنّ الإهانة، حيث قللوا أمرهنّ للخدم فاستبطنوهُن كأنهنّ التماثيل في الحسن والجمال.

ويصف بشر بن أبي حازم الجواري التي يهبها الممدوح (عمرو بن أم إياس) بأنهنّ كواعب جميلات بيض اللون كأنهنّ دُمى العين يعزفن على الدّفوف:

الواهــبُ البيــضَ الكواعـب كالـدُمى حُــوراً بأيــديها المزاهــرُ تعــزِفُ[148]

ويشبه امرؤ القيس صاحبتيه بنعجتين وبدمى مدينة (هَكر) باليمن:

همــا نَعْجَتَــان مــن نِعَــاج تبالــةٍ لـدى جُؤذُرَيْنِ أو كَبَعْض دُمى هَكِـرْ[149]

فصاحبتاه شبيهتان بنعجيتين حانيتين على جُؤذُرين في سعة عُيونهما وسكون مشيتهما، وإنما خصَ النعجتين بذلك الجؤذرين إشارة إلى صاحبتيه اللتين قَصرَتا أنفسهما على من يحبّهما كما قَصرت النعجتان على ولديهما وتعطفتا عليهما، مع أنهما متشوّقتان مستشرفتان إلى صائدٍ ينظران يميناً وشمالاً فيبدو حسن عيونهما.

كما يشبه الشاعر محبوبتيه الجميلتين بدمى هَكِر إحدى مُدى اليمن.

ويشبّه امرؤ القيس المرأة التي أنس بها بالتمثال الذي تأنّق في تحسينه صانعه وتجويده، ويقدّمه على أحسن ما يمكن:

ويــاربَّ يــومٍ قــد طويــتُ وليلــةٍ بآنـــسةٍ كأنَّهـــا خـــطُ تمثـــال[150]

ويقول امرؤ القيس:

ولقــد تُواعِدُنــي الأوانـس كالدّمــى بعـــد الهــدُوّ فيلتقـــي الوعـــد[151]

ويُشير أُميّة بن أبي الصّلت إلى وجود التماثيل على أركان القصر:

وقــصرُ بنــاه أبــوك القَيْــلُ ذو شَــرَحٍ فهــل يُــرى أحــدٌ نــال الــذي نــالا

إلى أن يقول: مُنَطقٌ بالرُخام المستزاد تــرى علــى كــل ركــنٍ منــه تِمثــالا[152]

ويصف النابغة الذبياني محبوبته بالدُمية قائلاً:

قامــت تــراءَى بــين سَجْفَــيْ كلّــةٍ كالـــشَمس يــــوم طُلوعهـــا بالأسعُـــدِ

أو دُميَـــةٍ مــــن مرمــــرٍ مرفوعـــةٍ بُنيـــت بـــآجُرٌ يُـــشادُ وَقرْمـــدِ[153]

يزخر البيت بمشبَّهٍ به يبرز فيه المعلم العُمراني واضحاً يمثّلَ الزّخرفة في أبهى صورة، فقد شبّه النابغة المرأة الجميلة الحسنة في البيت الأول بالشمس حيث الإشراقة والمكانة الرفيعة العالية، ثم شبهها في البيت الثاني بمنحوتةٍ من الرّخام المبني على قاعدة حيث شُيّدَت هذه الصورة بالقرمدِ والجصّ.

ويشبّه عنترة النساء في المركب يلبسن الثياب المنمقة المنقوشة بالدّمى المصنوعة من اللؤلؤ على العاج:

لمِــنِ الــشُمُـوسُ عزيـــزةُ الأحـــداجِ   يَطْلُعْــــنَ بيـــن الوَشْـــيْ والدّيبـــاجِ

مــن كـــلّ فائقـــةِ الجمـــال كدُميَـــةٍ   مــن لؤلــوءٍ قــد صُـوِّرت فــي عــاجِ[154]

ويشبّه الأعشى النساء الطّوال الناعمات بالتماثيل قد أُلبست حُللاً وعريت منها البطون:

وشغاميــــــمَ جِـــــسامٍ بُــــــدّنٍ   ناعمـــاتٍ مـــن هـــوانٍ لـــم تُلَـــحْ

كالتماثيــــــلِ عليهـــــا حُلَــــــلُ   مـــا يُواريْـــن بُطُـــونَ المُكتَــشَـحْ[155]

ويشبه الأعشى محبوبته التي كانت تلهو مع أترابها حينما كان الحيُّ آهلاً بسكانه وينعمون بالبهجة والفرح في النهار، وحفلات السّمر واللهو في الليل، تُشبه دميةً أُقيمت في صدر غرفة (محراب) من المرمر المزخرف بالذهب البرّاق:

وقـــد أراهــــا وَسْـــطَ أترابِهـــا   فـــي الحـــيِّ ذي البهجـــة والـــسّامر

كَدُميَــــةٍ صُــــوِّر مِحَرابُهــــا   بِمُذْهَـــب فـــي مرمـــرٍ مائـــرِ[156]

أما في صدر الإسلام والعصر الأموي فإننا نرى إشارات الشعراء إلى التماثيل والزّخرف والدُمى، فقد شبة الشاعر أُمية بن أبي غائض الهذلي محبوبته ليلى بأنها دُميةُ في محراب:

ليلـــى ومـــا ليلـــى ولـــم أرَ مِثلَهـــا   بـــين الـــسّما والأرضِ ذات عِقَـــاص

إلى أن يقول:

أو دُمْيَـــةُ المحـــراب قـــد لَبِقـــت بهـــا   أيـــدي البُنـــاةِ مُزخـــرفِ الإتـــراصِ[157]

ويصف نابغة بني شيبان المسجد في معرض مدحه للوليد بن عبد الملك:

فيـــه الزّبرجَـــدُ والياقـــوتُ مؤتلـــقٌ   والكلـــسُ والذّهـــبُ العقيـــانُ مرصـــوفُ

تـــرى تهاويلَـــه مـــن نحـــو قبلتنـــا   يلـــوحُ فيـــه مـــن الألـــوانِ تفويـــفُ

يكـــادُ يُعـــشي بـــصيرَ القـــومِ زبرجُـــهُ   حتـــى كـــأنّ ســـوادَ العيـــن مطـــروفُ

وفـــضّةٌ تُعجـــبُ الرائيـــن بهجتُهـــا   كريمُهـــا فـــوق أعلاهـــنّ معطـــوفُ

وقُبَّـــةٌ لا تكـــادُ الطيّـــرُ تبلُغُهـــا	أعلـــى محاريبُهـــا بالـــسَّاج مـــسقوفُ
لهـا مـصابيحُ فيهـا الزّيـتُ مـن ذهـبٍ	يُـــضيءُ مـــن نُورهـــا لبنـــانُ والـــسيِّفُ
فكـــلُّ إقبالـــه - واللـــه زينّـــه -	مُـــبَطَّنٌ برُخـــام الـــشّام محفـــوفُ
فــي سُــرّةِ الأرضِ مـشدودٌ جوانبُـه	وقـــد أحـــاط بـــه الأنهـــارُ والرِّيـــفُ
فيـــه المثانـــي وآيـــاتٌ مفـــصّلَـةٌ	فيهـــنّ مـــن ربِّنـــا وعـــدٌ وتخويـــف[158]

يتحدث الشاعر عن المسجد الذي بناه الوليد بن عبد الملك فيذكر معالمه العُمرانية:

القُبَة، والمحاريب، والسقف، وواجهة المسجد، وجوانب المسجد، والمسجد مُزيَّنٌ بالزبرجد والياقوت والكلس والذهب، وفيه التصاوير حيث زُركشت بشتى الألوان التي تعشي البصر، والمسجد كما هي بالفضّة التي يُعجب بها من ينظر إليها لبهجتها وحُسنها، أما قبّة المسجد فهي شامخة تعانق الفضاء عُلُوّاً لا تبلغها الطيور، وأما سقوف المحاريب فهي من الساج، وفي المسجد ضوءٌ لا معٌ قوي يُوقد بالزّيت يراه من هو في لبنان وسواحل بحر فارس، والمسجد مبنيٌّ بُرخام الشام، وترى الأنهار والمزارع تحُفُّ به من كل الجهات.

متعَلقات العُمران وأثاثُه

شكلت العناصر العمرانية العامة كالبيوت والقلاع والآطام والسدود والهياكل وغيرها قواسم اشتراك عند كثير من الشعراء، ولكن بعضهم قد خطا خطوة متقدمة نحو التفاصيل الثانوية والمعالم الفرعية المادية لهذه الشوامخ العمرانية فدخل إلى هذه التفاصيل والجزئيات الصغيرة، فكان وصف الباب والقفل والحائط والجص وحجارة البناء نفسها وهي الثقال والرخام وغير ذلك من التفاصيل الفرعية.

تحدَّث الشّعراء عن متعلقات العُمران من القصور والمنازل، وأهمُّها الأبواب، وقد وردت في معرض حديث الشاعر عن الناقة أحياناً، أو عن المحبوبة حيث الأبواب المغلقة التي تحول دون وصول المحبوب إلى محبوبته، كما تحدَّث الشعراء عن أثاث العُمران من الحُجب والأستار والمصابيح المضيئة.

وفيما يلي أهمَّ هذه الإشارات:

فقد قال طرفة بن العبد في وصف فخذي ناقته:

لهــا فخــذان أكمِــلَ النَّحــضُ فيهمــا	كأنَهمـــا بابـــا منيـــفٍ مُمـــرّدَ[159]

إن فخذي الناقة تامة الخلْق مكتنزة اللحم كأنهما بابا قصرٍ مشرفٍ عالٍ، فالبابان من متعلقات القصر الذي هو المعلم العُمراني هنا، وقد وُصف البابان بأنهما ضخمان كبيران لقصر مشرف كبير، وفخذا الناقة في اتقانهما يشبهان هذين البابين، والبيت يكتنز صورة فنية جميلة تتألف من مشبّه " فخذا الناقة " ومشبّه به " بابا منيف ممرّد "، ولكن يبقى السؤال يطرح نفسه: لماذا شبّه الشاعر كائناً حيّاً بجماد ؟ لعلّ في هذا ما يعزّز صلابة الحي ومتانته وقوته، ومن هنا شُبّه الحيّ " الفخذان " بالجماد " بابا مُنيف ممرّد إمعاناً في إضفاء القوة والصلابة على الحيّ)

ويشير بشر بن أبي خازم إلى أن ظهر ناقته صلب شديد يشبه باباً شُدَّ رتاجه أي أُغلق:

لهـا عَجُـزٌ كالبـابِ شُـدَّ رِتَاجُـهُ ومـستتلعٌ بالكُـور ضَخْـمُ المُـلاَّم[160]

ويصف زهير بن أبي سلمى ناقته التي بلغت الثامنة من عمرها حيث الضخامة وصوت السيّر الذي تُشدُّ به كصوت الباب الضخم المغلق:

سديـس كُبـاريٍّ تـئطّ نُـسوعُهُ أطيـطَ رِتـاجٍ ذي مـساميرَ مُغَلَـق[161]

ولنلاحظ كيف يشبّه قيس بن الخطيم تراصَّ المتحاربين وتماسكهم بالباب الكبير المتماسك المشدود من قبل النّجار، الذي يثبت هذه المسامير في الباب ليزيد إحكامه وقوّته:

فـلا تجعلـوا حَرْباتكـم فـي نُحُورِكـم كمـا شَـدَّ ألـواحَ الرِّتـاجِ المـسامرُ[162]

ويصف الحطيئة حمار الوحش بأن عَجُزَه متينٌ قويٌ وصلب ومرتفع يشبه الباب العالي الضخم:

إلـى عَجُـزٍ كالبـاب شُـدَّ رتاجُـه ومُـستتلعٍ بالكُـور ذي حُبـكٍ سُمْـر[163]

وأما الأعشى فيشبّه صوت الباب عند إغلاقه في المساء بصوت الحبال حيت تدور حول البكرة على البئر:

تمـسي فيـصرفُ بابُهـا مـن دوننـا غَلَقـاً صريـف مَحَالَـةِ الأمـسَاد[164]

ويُهاجم الأعشى قبيلة إياد التي يضطّرها موقعها في أطراف الجزيرة إلى ممالأة الفرس، فينفيهم عن العرب ويشبههم بالأنباط، ويتهكم بهم لأنهم يعتمدون في حياتهم على الزراعة وهذا يصوّر احتقار العرب والأعراب منهم خاصة لأصحاب الصناعة والزراعة، لأن هذه تقوم على الاستقرار وأصحابها يتجنبون الحروب، فقد خربت بيوت هؤلاء الأنباط لَكَأنّهم لا يلقون بعدك من يقيم أمرهم ويعهدهم ويعمر أرضهم، فهم كإياد حرّاثين أذلاء، وقد اتخذوا تكريت داراً فهم

ملتصقون بأرضهم ينتظرون الحصاد، خاملين يقطع أبناؤهم الوقت في معالجة القمل المنتشر في أبدانهم ويحتمون من وراء أبواب غلّقوها وأوثقوها بالسلاسل:

خُرِبَـــتْ بيـــوتُ نبيطـــةٍ فكأنّمـــا ... لـــم تَلْـــقَ بعـــدك عامـــراً متعهَّـــدا

لـــسنا كمـــن جَعلـــت إيـــادُ دارَهـــا ... تكريـــتَ تنظُـــرُ حَبَهـــا أن يُحْـــصَدا

قومـــاً يُعالـــجُ قُمَّـــلاً أبناؤهـــم ... وسلاســـلاً أُجُـــداً وبابـــاً مؤصـــدا(165)

وفي هذا النص تبرز المعالم العُمرانية التالية: بيوتُ نبيطة، ودار، وتكريت، ومن متعلقات العُمران " الباب، وقد ورد ذكره في معرض حديث الشاعر عن الذّلّ الذي لحق بقبيلة إياد الذين يحتمون في بيوتهم ويغلقون الأبواب وراءَهم حيث يوثقونها بالسلاسل والحديد.

ويشير الأعشى إلى أن السالك في الصحراء لا بَد أن يتودّد إلى الذين يمرّ بهم من قبائل وينال جوارهم ليجيزوه، كما يُنفذُ النجّار المسمار في الباب:

ولابُـــدَّ مـــن جـــارٍ يُجيـــزُ سبيلهـــا ... كمـا جـوَّزَ السّكّيَّ فـي البـاب فيتـقُ(166)

وفي العصر الأموي نلتقي مع إشارات الشعراء إلى متعلقات العُمران وأثاثه، وأوّل ما يطالعنا الشاعر الأخطل، فيجعل من الأبواب المغلقة حاجزاً يحول بينه وبين لقاء محبوبته التي نأت عنه بعيداً في ديار الغُربة:

هلاليَـــةٌ شطَّـــتْ بهـــا غُربـــةُ النّـــوى ... فمـن دونهـا بـابٌ شديـدٌ وحاجـبُ(167)

ويذكر الأخطل الأبواب والجُدُر التي تمكّن من اجتيازها بعد أن أنهكه السير إلى الممدوحين، حتى بلغ به المطاف إلى دير ابن قابوس الانسان الحرّ الكريم الذي يكرم ضيوفه بالخمر في اليسر والعُسر:

مـا زالـت الجُـدْرُ والأبـوابُ تـدفعني ... حتـى انتهيـتُ إلـى ديـرِ ابـنِ قَابـوس

حتـــى انتهيـــت إلـــى حُـــرٍّ لـــه كَـــرَمٌ ... يَقْـري المُدامَ على الإيسار والبـوس(168)

ويشبه العَرجي ناب البعير بزافرة الرّتاج:

مُغْـــض إذا غـــضَّ الزّمـــام خـــشاشُه ... يَفْتَـــرُ عـــن أنـــفٍ فيبـــدو نابـــه

عـــن مثـــلِ زافـــرةِ الرّتـــاج أجافـــه ... مـــن بعـــد أوّل فتحـــه بوّابُـــة(169)

وأما العجّاج فيثني على ممدوحه الذي يسكن في مكانٍ عالٍ حيث يكثر الذين يغشون منزله ويرجون معروفه، فقد ارتقى الشاعر إليه ولم يُحجَبْ عنه شيء، فالأبواب مشرعة:

فَـــــرُبَّ ذي سُـــــرادقٍ محجُـــــورِ

جَـــمِّ الغواشـــي حاضـــرِ المحـــضـورِ

أشـــوسَ مـــن سِفـــارةِ الـــسَّفيـر

دُون صيـــاحِ البـــاب والـــصَّريـر[170]

وفي مدحه ليزيد بن عبد الملك وهجائه لآل المهلّب يشير جرير إلى بعض متعلّقات العُمران كالناقوس الذي يقرَعه قسُّ النصارى في نواحي مدينة دمشق:

صَبَّحْـن تُومـاءَ والنـاقوسُ يقرَعُـه قـسُّ النـصارى حراجيجاً بنا تَجِف[171]

وأخيراً يشير الأخطل إلى حُجُب الكعبة وأستارها:

إنّـي حلفـتُ بـربِّ الرّاقـصات ومـا أضحـى بمكـة مـن حُجْـبٍ وأسـتار[172]

وهكذا كان الشاعر يعكس معرفته الدقيقة بجزئيات العُمران وما يتعلّق به وما يشتمل عليه، فيكون ذلك مؤشراً على أن الشعر لا يحيا خارج الواقع وإنما هو رسالة خالدة يكشف عن تفاصيل الحياة ويعكس أنماطها وعاداتها وأساليب عُمرانها، فيتفاعل معها الشاعر وتغدو المنهل العذب الذي يستقي منه مادته الشعرية.

نتائج البحث

إن الشاعر منذ القدم يؤدي رسالة تحمل في طواياها أهدافاً تعبّر عما يجيش في وجدانه وروحه، ويمكن أن تكون شخصية أو قومية أو إنسانية، وفي كل الأحوال فإنها تعكس معاناته وهمومه واستشرافه آفاق المستقبل، مما يعني أن الشاعر ينخرط في بيئته ومحيطه الاجتماعي ويلتقط الصّور الحيّة للمشاهد التي تقع عليها ريشته.

أحسّ الشاعر الجاهلي أن ثمة ما يحّفزه إلى نظم الشعر ويستنهض قريحته ويدفعه إلى التغنّي بالمشاهد العمرانية التي تجثم على أرضه وتراب وطنه، سواءٌ تلك التي بُنيت منذ القدم أم في عهده، وعلى الرغم من أنّ الشاعر كان يسيطر عليه طابع التنقّل والترحال في الصحراء للوقوف على أطلال محبوبته الداثرة فإن المِسحة البدوية لم تقف حائلاً في وجهه للتعبير عمّا يراه من حضارة في مجال العمران، فالشاعر لم يكن خارج بيئته وما يصبغها من ألوان التقدّم والاستقرار

العمراني، بل إنه واكب تلك النهضة المادية وعاشها وربطها بالكون والحياة والموت، وعلى الرغم من أن الشاعر الجاهلي لم يخصص قصيدة في العمران الا أنه استطاع من خلال الأبيات الشعرية المستلّة من القصائد الطويلة أن يتفاعل مع المظاهر العمرانية مثل القصور والحصون والقلاع والمدن فلم يكن وصفه شاملاً لتلك المعالم، وأغلب الظنّ أن ذلك يعود إلى طبيعته البدوية غير المستقرة، الا أنه تحدّث عنها من الخارج فوصف موقعها وجغرافيتها وما يتعلق بها من أثاث وزخرفة، ولم يكتف بذلك بل ربط تلك المظاهر العمرانية بقضية مصيرية هي الموت، فالشاعر الجاهلي كان ينظر إلى تلك الآثار العمرانية وهي تندثر وتزول فيذكره ذلك بالمصير الإنساني المحتوم، فيجعل من بكائه على القصر الذي كان ينعم بأهله ثم تهدّم وزالت أركانه وأصبح أثراً وطللاً، يجعل هذا الموقف تعبيراً عن أزمة داخلية تمور في داخله وهي الخوف من المجهول الآتي، وفي الوقت الذي كان فيه الشاعر الإسلامي يصف تلك المعالم وزوالها الذي يردّه الى قدرة الخالق، فإن الشاعر الجاهلي كان يرى في الدهر والزّمن أداة فاعلة تدميرية لإحداث هذا التغيير والتحوّل من الحياة إلى الموت، ويشترك العهدان الجاهلي والإسلامي في قضية توظيف العمران للتعبير عن الموقف النفسي.

وتستوقف الباحث مسألة مهمة من خلال قراءة الشعر الذي يمثّل صورة العمران الا وهي تلك الإشارات إلى الأبنية المحكمة المشبّهة بقنطرة الرومي وبناء اليهودي وهيكل النصارى، وربما يشير ذلك إلى أن العرب منذ القدم لم يكونوا منغلقين على أنفسهم، فقد بنوا جسور التواصل مع الأمم المجاورة وتأثروا بأنماط حياتهم، وكل ذلك يشير إلى أن الشاعر القديم قد واكب الحركة العمرانية في شعره وكانت منهلاً يغترف من ينبوعه.

والمتتبع للقضايا التي أثارها البحث يستنتج أن ثمة عدداً كبيراً من الشعراء الجاهليين الذين تحدثوا عن العمران مقارنةً بشعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، ولعلّ ذلك يعود إلى أن الشاعر الإسلامي كان منشغلاً بالفتوحات الإسلامية التي كانت تشكّل الهمّ الأساس في سلم أولوياته.

وما يميّز الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي في مجال العمران أن الشاعر يراح يصف المسجد على أنه مكان للعبادة فتغنّى بزخرفته وما فيه من الزبرجد والياقوت والذهب المرصوف والفضة والقبّة العالية التي لاتكاد الطير تبلغها ومحاريبها مسقوفة بالساج وفيه المصابيح المضيئة بزيت من الذهب، وأن هذا المسجد مبطن برخام الشام، ومن حوله الأنهار تجري.

وثمة استنتاج آخر يتصل بالشعر الناطق بالعمران فقد بدأنا في عصر صدر الاسلام والعصر الاموي نستشعر بوجود بعض القصائد الشعرية المتكاملة في الحديث عن المسجد وعرض التفاصيل الدقيقة.

ويتصل بهذا الأمر أن هناك ابتعاداً من الشعراء الإسلاميين عن ذكر المعالم العمرانية للأمم الخالية، وهذا دليلُ على أن الدين الجديد يحاول طمس تلك المعالم من الأوثان والأصنام التي تتنافى وتعاليم الدين الجديد.

ومما تجدر الإشارة إليه أن معظم الشعراء كانوا يستعرضون العمران في اليمن، ولعلّ ذلك يعود إلى تجذَر الحضارة هناك منذ قديم الزمان.

ومما يلحظه الباحث من خلال قراءة جميع دواوين الشعراء في المرحلة الزمنية عنوان البحث أن هناك ما يقارب من ثلاثة وستين شاعراً جاهلياً ممن تعرضوا في شعرهم للعمران في مائة وتسعين شاهداً من النصوص الشعرية، بينما بلغ عدد الشعراء الإسلاميين والأمويين في هذا الموضوع اثنين وثلاثين شاعراً في سبعين نصاً شعرياً، وكان مجموع الشعراء في العصور السابقة خمسة وتسعين شاعراً يمثلون مائتين وستين نصاً شعرياً ونظراً لتكرار بعض النصوص فقد أرتأيت الاستشهاد ببعضها.

وثمة قضية أخرى توقف عندها الشاعر القديم وهي "العمران والناقة" وللوهلة الأولى يستغرب القارئ لهذا الربط بين الجماد والحي وبين الثابت والمتحرك، ولكن المدققَ في الشعر يلحظ فطنة الشاعر وقدرته العالية على الربط المحكم بين العمران والناقة فالعمران وعلى وجه الخصوص ما كان في أعالي الجبال من القلاع والحصون والقصور كان يرتبط في كثير من الأحوال بالأمن والراحة والاستقرار وانه مصدر الحماية والملجأ من الاعداء، وكذلك الناقة التي كانت وسيلة من وسائل الراحة والطمأنينة من خلال توظيفها للتنقل والترحال، وإذا كان القصر ملجأ يحتمي به الإنسان وقت الشدائد كذلك الأمر بالنسبة للناقة، إضافة الى تشبيهها بتلك المظاهر العمرانية من حيث الضخامة والصلابة والقوة، وهكذا غدت الناقة صورة أخرى للعمران على الصعيدين الفكري والفني كما أضحت المعالم العمرانية صورة أخرى للناقة.وهكذا كان الشعر القديم مواكباً للحركة العمرانية ومجسداً للبيئة المحلية التي يعيش فيها، سواءً كان ذلك على صعيد الوصف الخارجي للمعالم العمرانية أم من خلال إضفاء البعد النفسي عليها، وأخيراً يمكن القول: إن الشاعر القديم استطاع أن يتفاعل مع البيئة المحلية وما تشهده من نهضة عمرانية من خلال انعكاس ذلك في شعره، وأثبت قدرته على مزج المادي بالنفسي ليجعل من المادي موضوعاً يعكس عليه مشاعره ووجدانه وانفعالاته وآماله وآلامه وطموحاته.

The Natural and Physical Dimens of Constructions in the Arabic Poetry

Hasan Faleh Ebkoor, *Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Al Hussien Bin Talal University, Maan, Jordan.*

Abstract

The present paper sheds light on the natural and materialistic aspects of constructions in poetry from the pre-Islamic poetry until the end of the Umayyad era. The paper investigates how poetry had dealt with identifying location and imagination to produce artistic vision that immortalized the settlers of those villages or towns, it also investigates how the poets described the mountains, the rain, the birds and the plains.

The producer upon which the present paper has been designed is the synchronic approach. It investigates every issue through projecting it to analysis bearing in mind that all the poems constitute one complete unit in which all the artistic images have been intermingled.

قدم البحث في 2003/4/9 وقبل للنشر في 2005/6/4

الهوامش

1. كتاب التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبة، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء 1347. ص 179.الفلمس بن أمية بن عوف الكناني ابو ثمانة من بني الحارث بن مالك بن كنانة أخر من نسأ الشهور في الجاهلية وكان من الخطباء الوعاظ قبل الإسلام. قال ابن الجوزي: كان يخطب بفناء الكعبة، وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يهطها ويوصيها. انظر الأعلام / خير الدين الزركلي دار العلم للملايين ببيروت ط11 1994، م 5 203.
2. كتاب الإكليل، ج1، الهمذاني، تحقيق علي الاكوع، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1963، ص42. ذو تبع: زوج بلقيس، اليفع: المرتفع.
3. المصدر نفسه ج 8،ص 80.
4. المصدر نفسه ج8، ص 54. غمدان: حصن كان لهوذة بن علي ملك اليمامة.
5. المصدر نفسه ج8، ص54.

6. المصدر نفسه 66:8 المصنعة: المبني من القصور والحصون وغيرها من الأماكن العظيمة، المتلفة: الهضبة المنيعة.
7. المصدر نفسة 66:8، الحلوق: المرتفع.
8. المصدر نفسة 66:8.
9. المصدر نفسة 66:8.
10. السيرة النبوية 40:1، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار التراث العربي، بيروت ط 3، 1971، النيق: الطويل من الجبال. علس ذو جدن: علس ذو جدن الحميري من قدماء ملوك حمير في الجاهلية، يجعل النابون بينة وبين قطحان 28 ابا. ويقولون: انه علس بن زيد بن الحارث من بني عبد شمس بن وائل بن الغوث واكتشفت قبرة في صنعاء ايام مروان، بانه كان على سرير كاعظم ما يكون من الرجال، علية عصابة من ذهب وعند راسة لوح من ذهب مكتوب فيه " أنا علس ذو جدن القيل، لخليلي مني النيل، ولعدوي مني الويل...." الأعلام ج4، ص 247.
11. الإكليل 110:8 شحرار: قصر بقصوى مشيد ببلاط احمر للقيل ذي معاهر.
12. المصدر نفسه 9:1.
13. ديوان عدي بن زيد ص 45-48. قزع المزن: قطع السحاب المتفرقة في السماء، النهام: اليوم.
14. المصدر نفسه: 88-89، وانظر: معجم البلدان: 269.

الحضر: اسم مدينة بإزاء تكريت في البرية: مبنية بالحجارة ويقال كان فيها ستون برجاً كباراً، أنظر معجم البلدان ص 269.

15. اللسان: مادة زيف، الزيف: شرف القصور واحدتها زيفة يريد أنهم إذا مشوا فيها فكأنما يصعدون في درج ومراق.
16. ديوان أمية بن أبي الصلت، ص417، المنيع: الذي لا يرومه أحد لقوته، القصر الأعيط: المنيف المرتفع.
17. المصدر نفسه، ص 516.
18. المصدر نفسه، 427 وج: مدينة الطائف، الرتوق: المنعة والعز والشرف.
19. المصدر نفسة ص 428، الغيابات: مفردها غيابة وهي ما انخفض من الأرض.
20. ديوان النابغة الذبياني، تحقيق شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، 1968، ص 69- 70، الحمولة: الإبل التي يحمل عليها العصم الوعول التي في أيديها و أرجلها بياض سواد وسميت عصماً لاعتصامها في الجبال، قذفاته: نواحيه، ذراه: أعاليه، كوافر: ملبسة ومغطاه قد بلغها السحاب وتكلل عليها..

21. ديوان علقمة الفحل، تحقيق لطفي الصقال، دار الكتاب العربي، حلب، ط1، 1969، ص129، معين: حصن باليمن، اسوى: أقام، براقشك حصن باليمن، البلقعة: الأرض المقفرة. الفج: الطريق الواسع.

22. ديوان زهير بن ابي سلمى، شرح و تحقيق محمد حمّور، دار الفكر اللبناني،بيروت" ط1، 1995،ص 124، الظنون: من لا يوثق بما عنده من خير و غيره.

23. ديوان الأعشى، شرح محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط363،1983،7-365، المربع: موضع الإقامة في الربيع، المصيف: موضع الإقامة في الصيف، ال جفنة: ملوك العراق في الجاهلية، الأشهب: الأبيض، الغدوة: من الفجر الى طلوع الشمس، جُلنداء: صاحب عمان من الازد، موكر مملوء، مجدوف: مقطوع، صروح: مغنية تصدح بصوتها. ترقت: تصدعت بالغناء، المزهر:العود.

24. المصدر نفسه ص159، الصفقة: يوم من ايام العرب.ضرع: ذل، المشقر: حصن قتل فيه كسرى بني تميم، عيطاء: هضبة شامخة، ثم: هناك، رسلا: البطء، الفصح: من أعياد النصارى.

25. المصدر نفسه ص229، الابلق: حصان السمؤال، الفرد: الذي لا نظير له.

26. المصدر نفسه ص 179.

27. المصدر نفسه ص 179- 180 المتمنع: الحصن المنيع. المصاد: المعقل والحصن. الماسخي صانع الأقواس. يترب وبلا: موضعان دون اليمامة. أجنة: جمع جنان وهي الحديقة. ذات الشجر: النخل الطويل. حصاد الشجر: ثمارة.

28. المصدر نفسة، ص 179.

29. المصدر نفسه ص 201. العرض: الوادي. فصافص: علف الدواب. القرامص: أعشاب الطيور.

30. المدن التاريخية والحصون الأثرية في الشعر قبل الإسلام، د. عادل جاسم البياتي مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ع 23، 1978، ص 155.

31. ديوان حاتم الطائي، ص 64. طود: النحيل العظيم الشلهق. المكفهر: الشديد الظلمة. دارع: الذي يلبس لباس الحديد. الحاسر: نوع من لادرع له من الجنود، تنوط: تتعلق بالشيء.

32. المدن التاريخية والحصون الأثرية في الشعر قبل الإسلام، عادل البياتي ص 155.

33. ديوان المهلهل بن ربيعة، طلال حرب، دار صادر بيروت، ط1 1966.

34. المفضليات، المفضل الضبي، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، بيروت، ط1 1942 المفضلية 21 ص 118. المشقر: حصن بالبحرين. العصم: الوعول.

35. الإكليل 8:56.* تبع بن حسان: تبع بن حسان بن تبان: من ملوك حمير في اليمن، قيل أسمه مرثد، وهو تبع الصغر أخر التبعابعه. ملك بعد عبد كلال، وعقد الحلف بين اليمن وربيعة وسار إلى الشام فلقية قوم من حمير من بني عمرو بن عامر، فشكوا إليه ما نزل بهم من اليهود في يثرب (المدينة) وذكروا له سوء مجاورتهم لهم ونقضهم العهد الذي بينهم.فسار إلى يثرب ونزل في سفح أحد وبعث إلى اليهود فقتل منهم ثلاثمانية رجل، ودللها لهم، وكان ملكه 78 سنه. الأعلام. خير الدين الزركلي ج4 ص 83.

36. المصدر نفسه 8: 73.

37. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط2 1995، 5: 361. ادهأمت: اصبحت خضراْ تضرب إلى السواد. الغدق: الماء الغامر الكثير. الخضارم: الماء الكثير.

38. ذيل ديوان امية بن أبي الصلت ص 692- 693. ذو شرح: الأرجح أن تكون "ذو شرف". هاض: كسر.

39. اليمن في الشعر غير اليمني حتى أواخر العصر العباسي د. محمد عبده غانم. مجلة الآداب جامعة صنعاء ع 3.1981 ص 243-244.

40. ديوان لبيد أبي ربيعه. شرح عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط 1 1997، ص 69. بنات الدهر: المصائب. ناعط: اسم قصر عال مشرف الدومي: ملك الجندل. الاعوص: المنقلب. رب المشقر: صاحبة.

41. صفة جزيرة العرب، الهمذاني، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالب، دار اليمامة، الرياض، ص386. الخطاب موجة إلى ذي يزن الأكبر. سلكن بهن: أي الجمال جماع: قرية في اليمن.

42. المصدر نفسه، ص 387.

43. ديوان الاعشى، ص 243، الفلج والجدول: النهر الصغير. الشرع: الطريق إلى الماء المورد: موضع الورد على الماء. حجراته: نواحيه. الأتي: جدول تؤتيه إلى أرضك.

صعنبى: قرية باليمامة، المعمد: من عمد السيل إذا سد وجهة بتراب ونحوه حتى يجتمع في موضع.

العطاء الموعد: أي الذي يظل وعدا ولا ينفذه صاحبة ولا يفي به.

النبيط: جبل من المعجم، وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء.

44. المصدر نفسه ص 79.

45. المصدر نفسه، ص61. الآكال: قطائع كانت الملوك تقطعها للأشراف.

46. المصدر نفسه، ص 91،الأمم: رئيس القوم.

47. المصدر نفسه، ص 299 صعاد: جمع صعدة وهي القناة التي تبينت مستقيمة. حُمر: من آثار الدماء السَمام: الفم والمنخران.

48. ديوان قيس بن الخطيم، ص 80، نمتها: رفعتها. المحراب: الغرفة.

49. ديوان امرئ القيس تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل ببروت ص 242، الحطب المفأد: الذي يحرك بالمحراك.

50. سيرة ابن هشام، 2: 143-144.

51. ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف مصر 1968 ص 140 خفاً: موضع قبل اليمامة. الأجم: الحصون، الشماريخ: رؤوس الجبال.

52. ديوان جميل بثينة، شرحه وضبطه د. عمر فاروق الطباع، دار القلم ببروت، ص 114 تيماء: مدينة في الجزيرة العربية. المرسى: محط السفينة قرب الساحل نقول: ألقى السحاب مراسيه: ثبت في مكان وأمطر.

53. ديوان الراعي النميري، شرح د. واضح الصمد، بيروت ط1، 1995 حوارين، مدينة بالشام حاليا (حوران)، مشمخرة: الجبل العالي.

حارث: فله من فلل الجولان، دساكر: جمع دسكرة وهو بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم وقيل الصومعة.

بحر: نهر وقيل البحر هو الريف. العجيج: الضجيج.

54. ديوان الأخطل، شرحه راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1992، ص 233. قذفاته: جمع قذف وهو ما اشرف من رؤوس الجبال.

عطارد ولبيد: ابن عطارد بن حاجب بن زرارة من أجداد الفرزدق.

55. ديوان العرجى، ص 115-116. الأوسي: جمع آسية وهي دعامة البناء. الظراب: جمع ظرب وهو ما نتأ من الحجر، الرابية: الصغيرة.

الوشك: القرب. المجمّرون: الحجاج يرمون الجمار. جمع: اجتماع الناس في المزدلفة أيام الحج.

الحصاب والمحصّب: موضع رمي الجمار بمنى والواو في قولة والمجمرين للقسم، كأنه يقسم على انه لا يحول عن الود.

مفاتح: جمع مفتح، كما إن مفاتيح جمع مفتاح، وكلاهما آلة الفتح الأبواب وغلقها.

56. المصدر نفسه، 147-148.

57. ديوان الأخطل 454، عولين: رُفعن. نماهن: رفعهن. القشعم: الكبير السن.

58. شعر الأحوص الأنصاري، جمعة وحققه عادل سليمان جمال.قدم له شوقي ضيف الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1970، ص 72.

برقة خاخ: موضع، البرقية كالروضة ذات حجارة وتراب، حجارتها ذات لون ابيض واسود واحمر وهذا الموضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة. قباء: مدينة على ميلين من المدينة على يسار القاصد الى مكة.

59. انظر: معجم البلدان، 356:4.

الفيح: الاتساع. القصر: المقصود هنا هو أوس بالبصرة ينسب إلى أوس ثعلبة بن وفر بن وديعة بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة، كان سيد قومه ولي خرسان في الأيام الأموية.

60. ديوان أبي دهبل الجمحي، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، رواية أبي عمر الشيباني، مطبعة القصاء، النجف الأشراف، ط1، ص 91.* أبو دهبل الجمحي: وهب زمعة بن أسد من أشراف بني جمح بن لؤي بن غالب، من قريش أحد الشعراء العشاق المشهورين من أهل مكة، قال المرتضى: هو من شعراء قريش وممن جمع إلى الطبع التجويد. له مدائح في معاوية وعبد الله بن الزبير. م8، ص 125.

61. ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر 1958. ص 83.

62. ديوان امرئ القيس ص 364-365 غول: فاسد. الحتِور: الغدور. المصانع الحصون والقصور، ذو نواس ملك اليمن. الحزونة: المواضيع الغليظة، وإنما يريد السهل والجبل.

63. المصدر نفسه، 349 المعاقل: الحصون والواحد معقل، الذائد: الطارد عنك.

64. المصدر نفسه ص 213.

65. المصدر نفسه، ص263 يسركم: أي يكتم أسراركم وبسؤلكم: أي يعطي لكم سؤلكم وما سألتم. متبذل: من البذل.

66. المصدر نفسه ص 315.

67. ديوان أمية بن أبى الصلت، ص 464-465.

جوانبه.: الضمير للماء المفهوم من الكلام، الأرواح: جمع الريح. مشحونة: مملؤة، دخان الموج: لعلة أراد به ارتفاع الموج وما يرافقه من رذاذ حين يرتطم بالسفينة، تسوّت: استقرت.

الجودي: جبل قيل بالجزيرة استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام. الأطم: حصن بني الحجارة.

68. ديوان الأعشى، ص 149. مزيد: تلتطم أمواجه فيطفو الزبد على سطحه. الآكام: المرتفعات. الجسر: الذي يعتبر عليه كالقنطرة. يكب السفينة لأدقانه: يقبلها على وجوهها العبر: الشاطئ: البدور: الكيس المملوء نقوداً.

69. معجم البلدان 246:3 سما هيج: جزيرة في البحر تدعى بالفارسية " ماش ما هي " فعرّبته.

70. ديوان الحارث بن حلزة اليشكري. جمع وتحقيق د. أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت ط1،1991، ص 25. الشناءة: البعض تنمينا: ترفعنا.

71. معجم البلدان 5، 258. النسوع: من اشهر قصور اليمامة.

72. ديوان الاعشى، ص 65، أنسأه أخّره وأجله. أفاد: اهلك.

73. المصدر نفسه، ص 141

74. ديوان لبيد بن ربيعه، ص79. النجوم الطوالع: الطالعة: المباني والقصور.

75. ديوان ذي الرمة: 1: 570 تخيرت: يعني القصور منها: الإبل. القيسري: الجمل الضخم القامة. أنهجت: ذهبت. عقيقته: سقط وبرة.

76. شرح هاشميات الكميت بن زيد الاسدي، تحقيق د.احمد مختار البرزة، دار المأمون للتراث، بيروت، ط1، ص 106 الآجام: جمع أجم وهي الحصن مبني من الحجارة.

77. شعر هاشميات الكميت بن زيد الاسدي، تحقيق د. داود الاسلوم، عالم الكتب، بيروت، ط 1،1984 ص 28.

78. ديوان جميل بثينة، شرح عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت، ص 20. اللوب:واحداتها وهي الحرة من الأرض.

79. ديوان جرير، ص 214.

80. الإكليل 142:8-143.

81. معجم ما استعجم، 3:73.

82. الاصمعيات. أصمعيه 14، ص 60.

83. ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ص 151، نجران: مدينة بالحجارة من شق اليمن.

84. شعر الوليد بن يزيد في هذه الفترة (105-126هـ) أميراً وولي عهد عمه هشام بن عبد الملك، وكان يعيش في منطقة البادية والبلقاء ومتنقلا بين قصوره وفي الموقر والقسطل والمشتى والفدين والطوية والأزرق.

85. انظر: تاريخ الرسل والملوك. الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر القاهرة 167، 7: 200،.6:505.

86. الموقر في الشعر الأموي، د. عبد الحميد المعيني، مجلة أبحاث اليرموك ع1991.94 ص 107-108.

87. المصدر نفسه ص 113.

88. ديوان كثير عزة: دار الثقافة بيروت 1971، ص 344.

89. المصدر نفسه، ص 340 المحارب: مجالس الأمير وقصوره.

90. شعر مروان بن أبي حفصه، جميع حسين عطوان، دار المعارف بمصر ص 33.

91. شعر الأحوص الأنصاري،جمع وتحقيق عادل سليمان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة 1970، ص80 الرقيم: قرية قرب البلقاء.

92. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، طبعة دار الكتب، 25:7 سعد بن مرة بن جبير: شاعر حجازي، كان مولى لآل كثير بن الصلت ومدح الوليد بن زيد.

93. السير والمغازي: ابن إسحاق ص 107. عكرمة: جد بنوة بطن من الأوس، من القحطانية ينتمون إلى سعد بن معاذ الأنصاري. الأعلام / الزركلي م 4، ص 24.

94. جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك، أبو عبيد البكري، تحقيق د. عبد الله البكري، تحقيق د. عبد الغنيم، ص 61.

95. معجم البلدان، 5: 184، الصلاح: من أسماء مكة * حرب بن أمية: 36ق.هـ: حرب بن عبد شمس، من قريش، كنيته أبو عمرو من قضاة العرب في الجاهلية ومن سادات قومه. وهو جد معاوية بن أبي سفيان بن حرب، كان معاصراً لعبد المطلب بن هشام، وشهد حرب الفجار، ومات بالشام. وتزعم العرب أن الجن قتله بثأر حية، قال زياد ابن أفعم المعافري لعبد الله بن عباس: هل كنتم معاشر قريش تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي ؟ قال: نعم، قال: فمن علمكم ؟ قال: حرب بن أمية.(الأعلام / الزركلي).

96. ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، تحقيق د. فاروق سليم بن احمد، دار صار بيروت ط1، 1966، ص 86. الحجر: هو حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش من أساس ابراهيم. اجر: هاجر أم أبينا اسماعيل عليه السلام.

97. ديوان حسان بن ثابت، ص 103 الألباد: شعر الأسد.

98. ديوان عبد الله بن رواحه، دراسة في سيرته وشعرة، د. وليد قصاب، دار الضياء للنشر والتوزيع عمان، ط1988،2، ص 118. الباغي: طالب الخير والساعي إليه. اقصدها: اعد لها من القصد وهو العدل.

99. معجم البلدان،105:5.

100. ديوان أوس بن حجر،دار صادر بيروت، ط2، 1967، ص 100، النمرق: كساء يوضع على الناقة، خيبريه: حمى خيبر يضرب بها المثل. الورد: ورود الحمى. الملال: حرارة الحمى.

101. ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، ص222-223، الرجيع: يريد كالبعير الذي رجعته من سفر إلى سفر منهزل جمسه، نطاة خبير: حصن بها، بكور الورد: الحمى. ريثة القلوع: بطيئة الذهاب والانكشاف.

102. شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسرى، تحقيق د.داود سلوم ونوري القيسي، عالم الكتب بيروت ط1، 1984، ص 260-262 الحجون: جبل بأعلى مكة. الخصاص: من الخصاصة وهي الحاجة، القطين: الجار، وج: مدينة الطائف. آلات: يعني متاع الحرب من الدروع وغيرها من السلاح. ذو المجاز: سوق قريبة من مكة.

103. ديوان امرئ القيس ص 151 قبل العطاس: قبل أن يقوم الناس فيسمع أصوات أو عطاس الهيكل: الفرس الضخم. فعم المنطق: ممتلئ الجوف وهو موضع النطاق.

104. المصدر نفسه 45 الوكنات: المواضع التي تاوي إليها الطيور. المنجرد: الفرس قصير الشعر. الأوابد: الوحش.

105. المصدر نفسه 88-89 القنا: عنت الثعلب أو شجر يشبهه.

106. ديوان طرفة بن العبد، ص 112، الوقح: الصلب الحافر. الأعوج: فحل من الخيل الشأو: الطلق.

107. المصدر نفسه ص 135. تبطّت: صبرت في جوفه. الطرف: الفرس الكريم الجاب: الغليظ.

108. شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، ط1، 1991، ص 61. المشعلة: الخيل المتفرقة، الرعال: جماعات الخيل. نهد المراكل: واسع الجوف.

109. ديوان امرئ القيس، 148، الجسرة: الناقة الطويلة. الآمون: الناقة الموثقة الخلق، الخيفق: الطويلة.

110. ديوان زهير بن أبي سلمى،ص29 القنود: خشب الرحل. الفدن: القصر المشيد.

111. ديوان الأعشى ص 55 قنطرة الرومي: برج من بناء الروم. الارقال ضرب من عدو الإبل.

112. ديوان بشر بن أبي خازم، ص 92.

113. ديوان نابغة بني شيبان، ص11. المضبرة: الشديدة المكتنزة اللحم.

114. ديوان لبيد بن ربيعه العامري، 174: الناقة القوية. عيرانه: كالعير في نشاطها. العقر: القصر.

115. ديوان الأعشى – ص 237 سلاف العسكر: مقدمته. الأوان: بيت مرتفع البناء غير مسدود الوجه.

116. المصدر نفسه، 167 القرن: الصاحب. المنشب: أسنان القفل. اجسته: لمسه. الشبا: الجدة.

117. المصدر نفسه، 91.

118. ديوان العجاج رواية الأصمعي، تحقيق د. عزة حسن. مكتبة دار الشرق ببيروت، ص 56-57 حائط الطرفاء: كنيف يكنف حول الخندق.

119. ديوان امرئ القيس،366 طحطح: دوخ.الرعال: جماعات الخيل.

120. ديوان بن ابي الصلت، ص490.

121. ديوان الفرزدق، 1:123 ايلياء: اسم مدينة بيت المقدس. ميسان: اسم كورة بين واسط والبصرة.

122. جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك 62.61 تتلئب: تتابع في الانقضاض.

123. ديوان امرئ القيس، ص53 تيماء: قرية في بلاد العرب. الجندل: الصخر.

124. المصدر نفسه، ص 193 الداب: يريد نفسه وتوابعه. يرصف: يؤلف بعضة الى بعض.

125. معجم البلدان،2:222 وانظر: معجم ما استعجم،426.

126. ديوان عنترة،ص197. الجندل: الصخر العظيم.

127. كتاب شرح أشعار الهذليين، ضعة أبي سعيد السكري رواية أبي الحسن النحوي. حققه عبد الستار فراج راجعة محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة القاهرة ط1،409. أبو العيال: من بني خناعه، سكن مصر مع بدر بن عامر الهذلي وقد تخاصم مع ابن أخ له لأبي العيال مع آخر فقتل فاتهم أبي العيال بدر بن عامر بالتآمر على ابن أخيه، فقال بدر يبرئ نفسه من هذه التهمة ويشيد بابي العيال.

128. ديوان أمية بن أبي الصلت، ص444. ابن عباد: هود عليه السلام. فريع: لغة " فرعون " وهي ضرورية شعرية.

129. المصدر نفسه، ص 692-693.

130. ديوان طرفة بن العبد ص 30 أمرا: فتلا الدالج: الذي يدلج بالدلو إلى الحوض. الاكناف: النواحي. الشيد: الجص. القرمد: الاجر. الشزر: أن يفتل من اسفل الاكتف إلى فوق. اجنحت: اميلت ، السقيف: صفائح حجارة. مستند: شديدة الخلق.

131. صورة من الحضار والمنعقد، د. أنور ابو سويلم، دار عمار، جامعة مؤته، 1991،ص24.

132. المصدر نفسه ص 25.

133. ديوان الاعشى ص 279. العذافر: العظيم الشديد من الابل. السدس: البازي في الثامنة من عمره. المحالة: الفقرة من فقر البعير.

134. المصدر نفسه ص 239. الكلس: الحجارة. القرمد: الاجر.

135. المصدر نفسه ص 93. لم يرم: لم يذهب.

136. ديوان شعر المثقب الغبدي، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، 1971،ص200.

137. ديوان الاعشى،ص 197. المجدل: القصر. الحاسر: العاري الذي لا درع له. السربال: القميص.

138. المصدر نفسه، ص 139. تحفزان. الصلب: يليلة الظهر. الصفا الحجر. متلاحك: متماسك الدامك: الاملس المصقول الصلب الصيدلاني: الملك.

139. شرح ديوان عنترة ص 164. المقرمد وهو الجص.

140. معجم البلدان 18:2، ايهم: جبل اصم. ذروته اعلاه. ملتهق: براق. العقيان. الذهب.* اوس بن ثعلبة بن زفر بن عمرو بن اوس، قال دعبل هو ربعي مازني مخضرم، وهو صاحب قصر بالبصرة في الجبانة. تقلد سجستان لمعاوية وكان مع سعيد بن عثمان بن عفان بخراسان فقلده هراة، انظر كتاب الوافي بالوفيات م 9 ص251: صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي. تحقيق احمد الاروناؤوط واخرين، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

141. ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي، ص172-173.

142. معجم البلدان 81:5.

143. ديوان النابغة الذبياني، 21 خيس الجن: ذللهم. الصقاح: حجارة كالصفائح عراض تدمر: مدينة بالشام ، العمد: الرخام.

144. ديوان العرجي، ص 16 الجدر: الحائط. الشيد ما يطلى به البناء من جص.

145. شعر عبد المطلب بن هاشم، جمع وتحقيق د. عبد الحميد المعيني، المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، كلية اللغة العربية 1991-ص 12.

146. ديوان بشر بن ابي خازم، ص108 جدود: موضع في ديار بني تميم فيه ماء.

147. المصدر نفسه، ص31 العضاريط: الاتباع والاجراء.

148. المصدر نفسه، 110، البيض: النساء الجميلات. الكواعب: الجواري. الدمى: التماثيل.

149. ديوان امرئ القيس ص 301 هكر: مدينة باليمن. تبالة: موضع تالفة الوحوش.

150. المصدر نفسه ص 29 خط ثمثال: نقش صورة. انسة: امراة ذات انس.

151. المصدر نفسه، ص230. بعد ان هدأ الناس فناموا.

152. ذيل ديوان امية بن امية بن ابي الصلت ص 692-693.

153. ديوان النابغة الذبياني ص 92-93. قامت تراءى: أي تعرض نفسها وتتظاهر السجف: السمر المشقوق الوسط. المرمر الرخام. يشاد: يبني. القرمد: الخزف المطبوخ مثل الاجر.

154. ديوان عنترة ص 113، الاحداج: مركب النساء. الشموس النساء في احداجهن. عزيزة الاحداج: ممنعة كريمة. الوشي: الثياب المنقوشة. الديباج: ضرب من الثياب.

155. ديوان الاعشى ص 293 الشغاميم: النساء الطوال. لم تلح: لم تهزل. المشح: الجنب.

156. المصدر نفسه ص 189 السامر: مجلس السمار. المائر: الغائر.

157. كتاب شرح اشعار الهذليين 177.

158. ديوان نابغة بني شيبان ص52 – 53.

159. ديوان طرفة بن العبد ص 15.

160. ديوان بشر بن ابي خازم 138. الرتاج: الباب العظيم. مستتلع الكور: سنام مرتفع الكور.

161. ديوان زهير بن ابي سلمى ص 72 السديس: الذي القى سديسة ويكون ذلك السنة الثامنة الكباري: المنسوب الى بني كبير بن حازم وقيل الضخم العظيم. النسوع: سير تشيد به الرحال.

162. ديوان قيس بن الخطيم ص 146. المسامر: المسامير.

163. ديوان الحطيئة، ص 226. مستتلع: مشرف ومرتفع.

164. ديوان الاعشى ص 79 الصريف: صوت الباب. المحالة: البكرة. الامساد: الجبال.

165. المصدر نفسه ص 281. الاجد: الموثقة. مؤصد: مغلق الباب: الابل.

166. المصدر نفسه ص 273. الفيتق: المالك او النجار.

167. ديوان الاخطل، ص407. هلالية: نسبة الى بني هلال. شطت: بعدت.

168. المصدر نفسه ص 473. الجدر: الحائط. دير ابي قابوس: دير بناه النعمان بن المنذر الايسار ولبؤس: الغنى والفقر.

169. ديوان العرجي، ص25-26 المغضي: الصابر. الخشاش: عويد يشد به انف البعير، الزافرة: ما يدعم به اجاف الباب. ردها بعد فتحها.

170. ديوان العجاج ص 224-225. جم الغواشي: كثير الذين يغشونه لطلب المعروف اشوس: مكتبر. السفارة: الصلح. السفير: الذي يمشي بين الناس في الصلح.

171. ديوان جرير،ص480. الحراجيج: الناقة الضامرة. تجف: تسرع.

172. ديوان الاخطل ص22.

المصادر والمراجع

الأصمعي، **الأصمعيات: اختيار الأصمعي**، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، بيروت، ط5.

الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة 1967.

البكري، أبو عبيد، **جزيرة العرب من كتاب الممالك**، تحقيق د. عبد الله الغنيم.

الجمحي، أبي دهبل، **ديوان أبي دهبل الجمحي**، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، رواية أبي الشيباني، مطبعة القضاء، النجف الأشرف ط1، 1972.

الأخطل، **ديوان الأخطل**، شرح راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992.

الأعشى الكبير، **ديوان الأعشى الكبير**- شرح محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة بيروت ط7، 1992.

ابن أبي الصلت، أمية، **ديوان أمية بن أبي الصلت**: جمع وتحقيق عبد الحفيظ الصطلي، المطبعة الثقافية، 1977.

ابن حجر، أوس، **ديوان أوس بن حجر**، دار صادر بيروت، ط2، 1967.

الأسدي، بشر بن أبي خازم، **ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي**- شرح مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994.

اليشكري، الحارث بن حلزة، **ديوان الحارث بن حلزة اليشكري**، جمع وتحقيق د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت ط1، 1991.

الحطيئة، **ديوان الحطيئة**، رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي الشيباني، شرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، 1967.

النميري، الراعي، **ديوان الراعي النميري**، شرح د. واضح الصمد، دار الجيل بيروت، ط1، 1995.

ابن أبي سلمى، زهير، **ديوان زهير بن أبي سلمى** : شرح وتحقيق محمد حمّود – دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1 1995.

الضبعي، المتلمّس، **ديوان شعر المتلمّس الضبعي** : تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية / جامعة الدول العربية، 1970.

العبدي، المثقّب، **ديوان شعر المثقّب العبدي** : تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، 1971.

الذبياني، الشّماخ بن ضرار، **ديوان الشّماخ بن ضرار الذبياني**، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر 1968.

الفهري، ضرار بن خطاب، **ديوان ضرار بن خطاب الفهري**: تحقيق فاروق سليمان، دار صادر بيروت 1996.

ابن العبد، طرفة، **ديوان طرفة بن العبد**: تحقيق دريد الخطيب، مجمع اللغة العربية، دمشق 1975.

الرقيات، عبيد الله بن قيس، **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات**، شرح وتقديم د.عمر فاروق الطّباع، دار القلم للطباعة والنشر بيروت 1958.

الفحل، علقمة، **ديوان علقمة الفحل** : تحقيق لطفي الصقال، مراجعة فخر الدين قباوة، دار الكتاب العربي حلب، ط1، 1969.

ابن الخطيم، قيس، **ديوان قيس بن الخطيم** : تحقيق د. ناصر الدين الاسد، مكتبة دار العروبة، القاهرة ط1، 1962.

كثيرّ عزة، **ديوان كثيرّ عزة**، دار الثقافة بيروت، 1971.

العامري، لبيد بن ربيعة، **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، شرح عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1997.

ربيعة، مهلهل، **ديوان مهلهل ربيعة** : د. طلال حرب، دار صادر بيروت،ط2، 1995.

النابغة الذبياني، **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق شكري فيصل، دار الفكر، دمشق،1986.

السقا، مصطفى وآخرين (تحقيق) **السيرة النبوية** دار إحياء التراث العربي، بيروت ط3، 1971.

الخطيب التبريزي، **شرح ديوان عنترة**، دار الكتاب العربي،ط1، 1992.

سلّوم، داود وآخرين (تحقيق) **شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي**، عالم الكتب بيروت،ط4، 1984.

سليمان، جمال عادل(تحقيق)، **شعر الأحوص الأنصاري**، الهيئة المصرية العامة للتأليف، القاهرة 1970.

المعيني، عبد الحميد (جمع وتحقيق)، **شعر عبد المطلب بن هاشم**، السعودية جامعة أم القرى، مكة المكرمة،1991.

عطوان، حسين(تحقيق)، **شعر الوليد بن يزيد بن عبد الملك**، مكتبة الاقصى ،عمان،1979.

الهمذاني، **كتاب الإكليل**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة 1963.

ابن منبه، وهب، **كتاب التيجان في ملوك حمير**، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية صنعاء ط1، 1347هـ .

الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر بيروت ط2، 1995.

المفضل الضبّي، **المفضليات**، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، بيروت، ط6، 1942.

د.خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، دار المعارف، مصر، ط3، 1961.

أبو سويلم، أنور، **صور من الحضارة والمعتقد**، دار عمّار، جامعة موتة 1991.

المعيني، عبد الحميد، الموقر في الشعر الأموي، **مجلة أبحاث اليرموك "سلسلة الآداب واللغويات"**، م9، 1991.

البياتي، عادل جاسم، المدن التاريخية والحصون الأثرية في الشعر قبل الإسلام، **مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، ع 23، 1978.

غانم، محمد عبده، اليمن في الشعر اليمني حتى أواخر العصر العباسي، **مجلة كلية الآداب**، جامعة صنعاء، ع3، 1981.

المجلة العربية للآداب المجلد 2، العدد 1، 2005، ص ص 125- 146

الانتماء القبلي في نماذج من الشعر الجاهلي
(بين العصبية والوعي العصبي)

علي مصطفى عشا *

ملخص

يدرس هذا البحث الانتماء القبلي في الشعر الجاهلي؛ عبر دراسة بعض النماذج من هذا الشعر. ويكشف عن البناء الاجتماعي للمجتمع العربي قبل الإسلام، ومدى تغلغله في القصيدة الجاهلية، باعتبار الشعر العنصر الأبرز للهوية الثقافية للمجتمع الجاهلي. ويسعى هذا البحث إلى تحليل حقيقة الانتماء القبلي الذي يقوم في جوهره على العصبية القبلية، التي اتصلت بالفخر تارة وبالقوّة تارة أخرى، وشكّلت قوّة متكتّلة حول ذاتها، في مواجهة التحدّي البيئي والتاريخي، حيث الجدب والحرب جسدا علامتين مهمتين في مشهد التاريخ الجاهلي. واتخذت العصبية مساراً آخر لها في الوجدان الجاهلي، وصنعت مركزية أخرى موازية لها، وتمثّلت بالوعي العصبي الذي اتصّل بالمضمون الأخلاقي والإنساني، في محاولة الذات الشاعرة خلق توازن بين القوّة والحقيقة، سعياً إلى "الحمد" و"حسن الثناء"، ومقاومة حالة التداعي في المجتمع الذي أنهكته حالة التجاذب القبلي والصراعات.

تمهيـد

يشكّل البناء الاجتماعي في العصر الجاهلي مدخلاً مهمّاً في كشف مغزى الشعر الجاهلي، الذي أدّى دوراً طليعياً في التعبير عن تطلّعات الحياة الجاهلية وأشواقها، حيث القبيلة مثّلت قطب الرحى في هذه الحياة، والبعد الأعمق في وجدان الشاعر الجاهلي؛ باعتبارها الوطن الراحل معه أبداً، الذي يقيه من الذوبان في هذا المدى الصحراوي، ويؤسّس له شرعية أخلاقية وثقافية ضمن شروط البيئة والتاريخ.

ومثّلت القبيلة خياراً حقيقياً للإنسان الجاهلي، الذي وجد نفسه في عالم مستغلق بسبب معطيات الجدب والحرب، وما نتج عنهما من مأسسة للقوّة التي حاولت فرض معاييرها كمرجعية جوهرية يقوم عليها البناء القيمي في المجتمع القبلي الجاهلي.

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن

ويعدّ الانتماء القبلي الركيزة الأساسية في الحياة القبلية، وكانت العصبية مظهراً لهذا الانتماء، وهي التي تستند بدورها إلى الدّم، ووحدة القبيلة في المصير والغاية. واستطاعت العصبية أن تخلق مركزية لها في الوجدان الجاهلي، وتجلّى ذلك في الشعر، واتخذت مساراً آخر لها تمثّل في الوعي العصبي، ليشكل مضموناً أخلاقياً وإنسانياً سعى إلى إيجاد التوازن التاريخي بين القوّة ومعاييرها، والحقيقة وثقافتها؛ وجسّم لنا الوعي العصبي نزعة إنسانية وأخلاقية جوهرية في الحياة الجاهلية التي تكاد تغطيها صورة الحرب والصراعات.

(1)

كان للتحدي البيئي والتاريخي دور حاسم في خيار الجاهليين على مستوى البناء الاجتماعي، حيث معطيات الجدب والقحط وندرة الأمطار، جعلته يتخذ صورة واحدة تقوم على النظام القبلي؛ فالرابطة القبلية هي الهوية والاستراتيجية، التي ستأخذ الدور الحاسم في تشكيل الوعي العربي في العصر الجاهلي. وتجسّمت هذه الرابطة بالعصبية التي تعدّ قوام الحياة القبلية، وتعني وحدة القبيلة باعتبارها كلاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وهي المرجعية والشرعية الأخلاقية؛ إذ الحق والخير، هو حقّ القبيلة، وخيرها. وهذه البنية الاجتماعية لم تنشأ في فراغ، وإنما صنعتها البيئة الصحراوية التي لا تتسع للتجمعات الكبيرة، بل تتخذ وحدات اجتماعية تناسب إمكانات البيئة. وهذه التنظيمات ينبغي أن تكون قادرة على التماسك والحركة في آن معاً. ومن هنا كانت القبيلة هي الوحدة الأساسية في بناء المجتمع الجاهلي، وهي وحدة سياسية، وقد تدعو الظروف الطبيعية مثل الجفاف، أو الظروف البشرية الاستثنائية كالحرب إلى تكوين تحالفات أكبر، وقد تتجزّأ القبيلة ذاتها، لكن الجزيرة العربية ظلت محافظة على هذه الوحدات القبلية[1].

وتقوم العصبية القبلية في جوهرها على صلة الدم والنسب، واتخذت أسلوب الثأر منهجيةً للمحافظة على ذاتها، وعلى أفرادها؛ لذا تحمّل النظام القبلي عبئاً ثقيلاً في سبيل الدفاع عن الأفراد، حيث كانت القبيلة تهبّ بمجموعها لدفع ما قد يلحق بأفرادها من أذى، والثأر لقتيلها، حتى وإن أدّى إلى خوض حرب طويلة الأمد[2].

وفي المقابل لم تكن القبيلة لتسمح لأفرادها بالخروج على مرجعيتها ونظامها الصارم، وأدّى ذلك إلى ظهور نظام "الخلع" في المجتمع القبلي، فالخليع هو الذي يجني الجنايات يؤخذ بها أولياؤه، مما يدفعهم إلى طرده من القبيلة، ويتم إعلان "الخلع" على أهل القبيلة، أو في الأسواق، والخليع قد يلجأ إلى قبيلة أخرى، فيحصل على الحماية، وإما يلحق بالصعاليك. ومثّل الخلع أعلى درجات النفي الفردي، حفاظاً على المصلحة العليا للقبيلة، والتزاماتها الأخلاقية ضمن توازن القوة في المجتمع القبلي.

وجسّمت القبيلة نظاماً متحركاً، وأدّت دوراً مهماً في تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتحوّلت العصبية في سيرورة الشعور الجاهلي إلى وعي عصبي، تمثل في صلات الرحم، والمضمون الأخلاقي، وأصبح رابطة نفسية اجتماعية، شعورية ولا شعورية[3]، يحقّق فيها الشاعر الجاهلي مشروعه الإنساني وذاتيته عبر هذه الذات الجماعية، ويمتد من خلال القبيلة والشعر ليلامس أطراف العالم.

والجدل بين العصبية التي تستند إلى الدم والوعي العصبي الذي يحمل مضموناً أخلاقياً، جعل ذات الشاعر الجاهلي أكثر تجذّراً في إنسانيتها، وأشدّ حساسية في نشدانها لمثل أعلى، يخلق لديها نوعاً من التوازن في عالم كاد أن يصبح مستغلقاً بسبب الصراعات على الحمى، ومشاهد الحرب التي أوشكت أن تطيح بمبنى حياتها ومغزاها.

والأدب اجتماعي في صميمه، أداته اللغة، وهي من خلق المجتمع، وأعرافه الجمالية هي أعراف اجتماعية من نمط معين، على حدّ تعبير تومارس *(Tomars)* [4]، وهو يجسّم إرادة الذات الشاعرة ومتطلبات الجماعة[5]، ومن هنا جسّمت الفكرة البنائية في القصيدة الجاهلية النظام القبلي؛ فالوحدة التي تمثلها القبيلة تتمثل في بيت الشعر، وإذا كان المجتمع القبلي مكوناً من عدد هائل من القبائل المستقلّة، فكذلك الشأن في القصيدة العربية؛ إذ هي مجموعة من الوحدات (الأبيات) المستقلّة بذاتها التي لا يربطها بغيرها سوى القافية، وهكذا يمكن أن يقدّم لنا نظام الحياة الاجتماعية الجاهلية تفسيراً لبنائها[6].

وفي معرض حديثه عن الصورة الجاهلية يعلّل يوسف اليوسف الشحّ في الذاتية الذي يسم الكثير من القصائد الجاهلية، بأنها تحاول كثيراً تنسيق الوقائع والحيثيات في شذرات أو وحدات صغيرة، تتباين كثيراً أو قليلاً بدلاً من أن تنسق عالمها النفسي، بحيث تجمعه في موقف عاطفي للشاعر والمتلقي على السواء [7].

ويرى يوسف خليف أن "العقد الاجتماعي" بين الشاعر والقبيلة تحوّل إلى "عقد فنّي"، جعله معبّراً عن مشاعرها وتطلّعاتها قبل أن يكون معبراً عن مشاعره واتجاهاته الشخصية؛ لذا اتجهت "الأنا" نحو "النحن" من خلال الفخر، والإشادة بالقيم الجماعية التي تمثّلها القبيلة، فكانت الغاية قبلية، وإن تكن الوسيلة فردية [8] .

ويتصل السياق الاجتماعي في الشعر الجاهلي باستجابة الشاعر للتحدي لدى محمود الجادر؛ إذ التصوّر الجماعي للتحدي لا موضع فيه للذات الشعرية التي تسعى إلى سحب الآخرين إلى موقف "النحن"، في سبيل تثبيت موقف اقتدار القبيلة في ظلّ الحرب، ومحاولة رفع مكانتها في ظرف السّلم، وهذا اقتضى من الشعراء أن يوظّفوا جلّ جهدهم للمهمّة الجماعية [9] . بيد أن ذلك لم يرق دائماً إلى إلغاء الفردية، فثمّة شواهد على صور متباينة من محاولات التمرّد الفردي،

تجسّمت في ظاهرة الصعلكة التي تمثّل محاولة الجهد الفردي لإيجاد متنفسه في الانفلات من القيد القبلي [10] ، ويظهر ذلك في شعر الشنفرى، وعروة بن الورد وتأبّط شراً وغيرهم.

ويرى حسين جمعة أن الانتماء ظاهرة اجتماعية وفكرية ثمّ فنية، تأصّلت لدى الجاهليين في وجوه كثيرة، وهو حسّ مرتبط بالقبيلة، جعل الجاهلي - في ذاته الفردية- جزءاً منصهراً في كيان أكبر يقال له الذات الجماعية، تنتهي حريته عند حدود مصالحها ووجودها. وبهذا الوعي يصبح المجموع لدى الشاعر المنتمي مساوياً للذات؛ لذا كان ملزماً بالدفاع عن قبيلته وقيمها، وهو التزام أدبي وطوعي [11] .

ويحقّق الشاعر الجاهلي ذاته وطموحاته عبر هذا الانتماء؛ لأنه غدا اللسان المعبّر عن حال القبيلة وتطلّعاتها، ولمّا كانت هذه رسالة طوعية، كان لا بد له من أن يؤصّل القيم في أفرادها، ليعمّق ارتباطهم بها، فيحسنوا الدفاع عنها [12] .

وتظهر المرأة وجهاً أصيلاً من وجوه الانتماء القبلي؛ فحماية الذّمار لا تنفصل عن حماية المرأة، بالإضافة إلى أن المرأة تعدّ مصدراً ثرّاً لجملة من القيم لدى العرب، وهي في ذاتها هاجس العربي، وحمايتها فخر له، وسبيها عار عليه [13] .

ويرتبط الانتماء بمعاني الزيادة في المنزلة والرفعة في الشأن، والنهوض للأمر الشريف، والانتشار في المكان، والنجاة من الأخطار، ومن خلال الوعي طوّر الجاهلي هذا الأصل اللغوي، ليعبّر عن التنوّع في إطار الوحدة، وعن معان إنسانية تؤكد استمرارية ظاهرة الانتماء، وترفع شأن الإنسان باعتباره منتمياً إلى رابطة إنسانية [14] .

ويتّصل الشعر القبلي بالوظيفة الاجتماعية التي يؤديها هذا الشعر، عبر محاولة الشاعر الجاهلي رسم صورة مثالية لقبيلته، ومن خلال ذلك يسعى إلى دفع القبيلة إلى الاقتراب من هذه الصورة والتمسّك بها [15]. وهذه الصورة المثالية لا تتعلّق بحماية القبيلة من الأخطار الخارجية فقط، بل تسهم في تأسيس نمط من العلاقات بين أفراد القبيلة، وتساعد في توحيدهم [16].

نخلص إلى القول إنّ ثمّة علاقة بين الأدب والمجتمع أبعد غوراً من أن يكون الأدب مرآة تعكس الواقع؛ إذ الأدب يهدف إلى خلق علاقة مغايرة كيفياً للعلاقات المألوفة بين الإنسان والعالم، وهذا لا يتأتّى دون علاقة عميقة مرهفة ومعقّدة بين الأدب والمجتمع[17] . ومن هنا فالأدب يتجلى في سياق اجتماعي، كجزء من ثقافة، في بيئة[18] ويجسّم رؤى "الأنا" لتطلعات الجماعة التي تنتمي إليها من جهة، وأشواقها الخاصّة، ورغبتها في بلوغ رؤية مبدعة للعالم على مستوى الفكر، وحيازته جمالياً[19] من جهة أخرى.

لقد مثّلت العصبية مدخلاً مهمّاً لدخول الجاهلي عالمه ضمن تحديات البيئة، وأظهرت وعيه على شرطه التاريخي؛ إذْ التكتّل ضمن هذه البنى المتلاحمة يقيه من الذوبان في هذا المدى الصحراوي المفتوح، ويؤسس للفرد شرعية للبقاء، ويمنحه القدرة على التحدّي، ويحمي هويته الثقافية والتاريخية من الاندثار، وعبر الجدل الدائم بين العصبية والوعي العصبي، تتجلّى استجابة الشاعر الجاهلي لتحديات البيئة، ووعيه لهذا التحدّي التاريخي.

(2)

ذكر السيوطي أن القبيلة –في العصر الجاهلي- إذا نبغ فيها شاعر، أتت إليها القبائل، وهنأتها بذلك، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعن في الأعراس؛ لأنه الحامي لأعراضهم، وهو المدافع عن أحسابهم، وهو الذي يخلّد مآثرهم[20]، ولم يكن يعدل فرحة القبيلة بالشاعر سوى فرحتها بغلام يولد أو فرس تنتج[21].

ونلمح خلف هذه الإشارات أن ميلاد الشاعر في القبيلة يمثّل إيذاناً بمولد جديد للقبيلة، تؤكّد فيه ذاتها الجماعية، وحضورها المعنوي، وامتلاكها – بالإضافة إلى القوّة- الشرعية المعنوية والأخلاقية، وعبر الكلمة /الشعر، يستطيع الشاعر ملء شوق الواقع المتصدّع بفعل الحرب والجدب والصراعات؛ إذْ هو يغذّي قيم الفروسية والبطولة، وهو الذي ينفض الرمال عن المرأة، لتصبح قيمة وجدانية وثقافية في المجتمع، وهو الذي يؤرّخ للقبيلة، ويحوّل سيرتها الخاصّة إلى تاريخ ينقل من ذاكرة إلى ذاكرة، وهو الذي يلمّ شعثها، ويرأب صدعها؛ لذا يظهر الشاعر رائياً في الشعر الجاهلي، يتحمّل مسؤولية القيادة المعنوية لقبيلته، وهو القادر على تحويل خراب الواقع إلى حياة؛ لذا تتجلّى الروح الجماعية في الشعر الجاهلي؛ إذ إن فردية الشاعر فردية اتصال، تجسّم الشعور بالفخر والأنفة والاعتزاز، وتؤكد أنه لا يفعل سوى الخير، وأنه يتابع سيرة آبائه وأجداده، فالفردية فردية القبيلة لا فردية الفرد[22]، وهذه الفردية القبلية، وتحويل "الأنا" إلى "النحن" مثّلت الركيزة الأساسية في استجابته للتحدي البيئي والتاريخي.

يقول المُتَلمِّس الضُّبَعي :

إلـى كـلِّ قَـومٍ سُـلَّمٌ يُرْتَقَـى بِـهِ	وَلَـيْسَ إليْنـا فـي السَّلاليمِ مَطْلَـعُ
ويَهْـرُبُ مِنَّـا كـلُّ وَحْـشٍ وينتهـي	إلـى وَحْـشِنا وَحْـشُ الفَـلاةِ وَيَرْتَـعُ[23]

وشاعت في الشعر الجاهلي هذه الصورة من الذوبان في الذات القبلية، وانصبت فعالية الشعر في هذا الاتجاه بتلقائية مدهشة، كان باعثها الأساسي هو القيم التربوية التي تلقاها الشعراء قانون حياة قبل أن يصبحوا شعراء، وعندما انبثقت عبقريتهم الشعرية، غدت هذه الآصرة القبلية سرّ

وجودهم الإنساني؛ لذا لا تتجلّى "الأنا" إلا من خلال "النحن"، ويجد الشاعر نفسه في مجرى الحدث القبلي، وينغمر فيه انغماراً[24].

وتتصل العصبية القبلية بتمجيد القوّة، قوّة القبيلة والفخر بها، هذه القوّة المعلنة، المستعدّة دائماً للصراع والتحدّي، ويأتي دور الشاعر في تكثيف مشهد القوّة عبر الشعر.

ويطمح الشاعر من خلالها إلى خلق نوع من التوازن بين القوّة والحقّ. فقد ذكر ابن بشر الآمدي أن بني محلّم بن ذهل بن شيبان أغاروا على أبل جار للشاعر حَزَن بن كهف، فذهبوا بها فأتبعهم وقَتَل منهم وارتجع الإبل وقال:

أمِـن مـالِ جـاري رُحْـتَ تَحْتَـرِشُ الغَنَـى ... وتـدفعُ منـك الفقـرَ يـا ابـن مُحَلَّـمِ
لقـدْ مـا أتيـتَ الأمـر مـن غيـر وَجهـهِ ... وأخطـأتَ جَهْـداً وجهـةَ المتغنّـمِ
فمـا نحـنُ بـالقوم المُبـاحِ حِمَاهُـمُ ... ومـا الجـارُ فينـا إن علمـتَ بِمُسْلَـمِ
وأَنَّـا مَتَـى نُنْـدَبْ إلـى المـوتِ نأتـهِ ... نخـوضُ إليـه لُـجَّ بَحْـرٍ مِـنَ الـدَّمِ[25]

لقد مثّل الفخر أعلى درجات البوح بالعصبية القبلية، وهي تجسّم أعلى درجات التماهي بين "الأنا" و "النحن"، ولم تكن الذات الشاعرة ترى لها وجوداً أو مدى خارج نطاق هذه العصبية، حتى وهي تعيش أقسى حالاتها الوجودية في التوتّر والقلق، وتعاني تصدّعاتها وهي تتأمّل عوالمها الداخلية.

يقول سلامة بن جَنْدَلٍ السَّعْديُّ:

أودى الشَّبَاب حميـداً ذو التَعاجيـبِ ... أوْدى وذلـك شَـأْوٌ غيـرُ مَطْلـوبِ
ولّـى حثيثـاً وهـذا الشَّيْبُ يطلبُـهُ ... لـو كـان يُدرِكُـهُ رَكْـضُ اليعاقيـبِ
أودى الشَّبَابُ الـذي مَجْـدٌ عواقبُـهُ ... فيـه نَلَـذُّ، ولا لـذّاتِ للشَّيـبِ
وللشبابِ إذا دامـت بشاشتُـهُ ... وُدُّ القلـوبِ مـن البِيضِ الرَّعابيـبِ
إنّـا إذا غَرَبَـتْ شـمسٌ أو ارتفعـتْ ... وفـي مباركهـا بُـزْلُ المصاعيـبِ
قـدْ يَسْعَدُ الجـارُ والضَّيفُ الغريـبُ بنـا ... والسائلون، ونُغْلـي مَيْسَـرَ النِّيـبِ
وَعَنْـدنا قَيْنَـةٌ بيضـاءُ ناعمـةٌ ... مثـلُ المهـاةِ مـن الحُـورِ الخَرَاعيـبِ
تُجْـري السِّواكَ علـى غُـرٍّ مُفَلَّجـةٍ ... لـم يَغْرُهـا دَنَـسٌ تحـت الجلابيـبِ
دَعْ ذا وَقُـلْ لبنـي سَعْدٍ لفضلهـم ... مَـدْحاً يَسيرُ بـه غـادي الأراكيـبِ
يَوْمـانِ يـومُ مُقامـاتٍ وأنْديـةٍ ... وَيَـوْمُ سَـيْرٍ إلـى الأعـداءِ تَأْوِيـبِ[26]

تتمحور هذه الأبيات حول ثنائية الشباب / الشيخوخة، وتكشف حالة الانقطاع بينهما عبر صيرورة الزمن، وتعلن منذ البداية ابتلاع الحاضر للماضي (أودى – هلك)، وما يعقبه من تحوّلات عميقة في سيرة الشاعر جسداً (وهذا الشيب يطلبه)، وروحاً (أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب)، وتواجه الذات محنتها من خلال تأمّل مصيرها؛ إذ التحوّل من الشباب إلى الشيخوخة ينتج عنه تحوّل في الوعي على معنى الحياة ومغزاها، بعد أن وقعت في دائرة اليأس الوجودي، حيث الوجود الفردي تكتمل دائرته بالموت لا بالعودة المحالة إلى الماضي (أودى وذلك شأو غير مطلوب).

وتنتقل الذات إلى دائرة الحزن الوجودي وهي تتأمّل عوالمها الداخلية المتصدّعة، ويضيء لها مشهد الماضي / الشباب، حيث المجد واللذة، وتتجلّى المرأة وجوداً مكثفاً وغنيّاً متصلاً بسيرة الشباب، وتغدو واهبة لمعنى الحياة ومغزاها، ووجوداً منفصلاً ومفارقاً للشيخوخة، حيث مشهد التردّي لقيم الحياة ومعناها، وإيذاناً بانطواء سيرة الذات وتكوّرها على نفسها.

وتجهد الذات بالبحث عن سيرة أخرى بعد المرأة، تخلق لديها نوعاً من التوازن وهي تعيش حالة انطفاءات الماضي، وهي تمرّ بدوائر اليأس والحزن، فتنفتح لعوالمها الباطنية السيرة الجماعية للقبيلة، بعد أن أحسّت بالعجز عن مواجهة محنتها الوجودية بفرديتها، فتتحوّل من "الأنا" إلى "النحن"، حيث الفخر القبلي، والمجد المعنوي؛ لتغرق أساها الداخلي في أتون الجماعة، وتهرب من هذا التهديد لوجودها وكينونتها إلى الذات القبلية، وتستبدل القيم (الجماعية) المتمثلة بالكرم والشجاعة والحكمة، بالقيم الفردية الوجودية (اليأس، الحزن)، فتحوّل ثقافة الزمان / القلق الأسى، إلى شروط المكان (مَدْحاً يسير به غادي الأراكيب، مقامات وأندية، سير إلى الأعداء تأويب)، مُحاولة حسم هذا الجدل الداخلي بين الماضي والحاضر، الشباب/الشيخوخة، لتصبح العصبية، ملجأً حقيقياً للشاعر، هرباً من مشهد الأسى الذي تعمّقه عوامل الجدب، وغياب الاستقرار، والمشروع الحضاري.

ويقول ضَمْرة بنُ ضَمْرة النهشلي :

وطـــارقِ لَيْـــلٍ كنْـــتُ حَـــمَّ مبيتـــه	إذا قَـــلَّ فـــي الحـــيّ الجميـــع الرَّوافِـــدُ
وقلـــتُ لـــه : أهْـــلاً وَسَـــهلاً وَمَرْحـــباً	وأكرمْتُـــهُ حتّـــى غـــدا وهـــو حامـــدُ
ومـــا أنـــا بالـــسَّاعي ليُحْـــرزَ نَفْـــسَهُ	ولكنَّنـــي عـــن عَـــوْدَةِ الحـــيِّ ذائِـــدُ
وإن يـــكُ مَجْـــدُ فـــي تمـــيمٍ فإنّـــهُ	نمـــا فـــي اليَفَـــاعِ نَهْـــشَلُ وَعُطَـــارِدُ[27]

وتتجه الذات الشاعرة نحو الآخر (وطارق ليل)، وتتجلّى فرديتها عبر أفعالها الذاتية (قلت، أكرمتُ)، وتتحسّس إنسانيتها وعظمتها الفردية بتحقيقها لشرطها الأخلاقي، من خلال النسق القيمي للمجتمع؛ لكنها لا تسند مجدها الإنساني إلى ذاتها، ولم تفعل ذلك لتحرز ذاتها الفردية،

لكنها لتظفر بالذات الجماعية؛ ذات القبيلة، وهذا يكشف بجلاء عن أن العصبية التي تمظهرت في الانتماء القبلي كانت خياراً حقيقياً للشاعر الجاهلي، وهي المرآة التي يرى فيها وجوده كاملاً، والمجلى لحريته، فانتماؤه القبلي هو عين اكتساب الذات لهويتها الفردية ووجودها الأخلاقي؛ إذْلم يكن الفن –ومنه الشعر- باستمرار مجرد زخرف يزيّن البناء الاجتماعي، بل جزء من دعائم هذا البناء[28]. وتمتد ذات الشاعر الجاهلي بقدر تجليات القبيلة في الواقع، فهي مانحة الهوية الفردية، وصانعة مجال الحرية، والقدرة على البوح.

يقول تميم بن أبي بن مقبل :

فقـــل للـــذي يبغـــي علـــيَّ بقومِـــهِ: أجـــداً تقـــول الحـــقَّ أمْ أنْـــتَ تَمْـــزَحُ؟
بنـــو عـــامرٍ قـــومي، وَمَـــنْ يـــكُ قوْمُـــهُ كقَـــوْمي يكُـــنْ فـــيهمْ لَـــهُ مُتَنَـــدَّحُ[29]

ويقول أيضاً:

لقـــد كـــان فينـــا مـــن يحـــوط ذِمَارنـــا وَيُحْـــذِي الكَمِـــيَّ الزّاعبـــيَّ المؤمَّـــرا[30]

ويقول جابر بن رألانَ السِّنْبسِيّ:

قَـــدْ يعلـــمُ القـــوْمُ أنّـــا يـــوم نجدتهـــمْ لا نتَّقـــي بـــالكَميِّ الحـــاردِ الأَسَـــلاَ
لكـــن تـــرى رجُـــلاً فـــي إثْـــرهِ رجُـــلُ قَـــدْ غـــادَرَا رجُـــلاً بالقـــاعِ مُنْجَـــدِلا
فَـــذَاك فينـــا، وإن يَهْلِـــكْ نَجِـــدْ خلفـــاً سَـــمْحَ اليـــدينِ قويـــاً، أيِّـــةً فعـــلا
يرضـــى الخلـــيطُ ويرضـــى الجـــارُ مَنْزلـــهُ ولا يُـــرى عَـــوْضُ صَـــلْداً يَرْصُـــدُ العِلـــلا[31]

وتبقى القوّة؛ قوّة القبيلة والعصبية متصلان بالانتماء القبلي؛ وتأكيدهما وتأصيلهما بالفعل والكلمة/الشعر، هي المهمّة العظمى للشاعر الجاهلي، وهي الظاهرة الأكثر تجذّراً في شعوره؛ إذْ القوّة هي القادرة على إعادة تشكيل العالم والأشياء من حوله، وهي التي تحقق المجد الباحث عنه أبداً؛ لذا كان الشاعر الجاهلي عاشقاً للقوّة مؤمناً بها، حريصاً عليها[32]، يحاول من خلالها ردم الهوّة بين الواقع والحلم، بين الشرط البيئي، وشروط البقاء.

وتتجلّى العصبية القبلية عبر لحظات الأسى المركّزة، حيث الذاتُ تتجرّع الألم عبر الإحساس بالمصير الجماعي، والالتحام به:

يقول دُرَيْدُ بن الصِّمّة في رثاء إخوته :

تقـــول ألا تبكـــي أخـــاك وقـــد أرى مكـــان البُكـــا لكـــنْ بُنِيـــتُ علـــى الـــصَّبْرِ
لمقْتَـــلِ عبداللـــه والهالِـــكِ الـــذي علـــى الـــشَّرفِ الأعْلـــى قتيـــلِ أبـــي بَكْـــرِ
وَعِبْـــدِ يَغُـــوثٍ أو خَلِيلـــيَ خالـــدٍ وَعَـــزَّ مُـــصَاباً حَثْـــوُ قَبْـــرٍ علـــى قَبْـــرِ

أبـــــى القَتْـــــلُ إلا آلَ صِـــــمَّةَ إنَّهـــــم　　　أبَـوا غَيْـرَهُ والقَـدْرُ يجـري علـى القَـدْرِ
فإمّـــا تَرَيْنـــا مـــا تـــزالُ دماؤُنـــا　　　لـدى واتـرٍ يـشقى بهـا آخـر الدَّهْـرِ
فإنّـــا للحـــم الـــسَّيْفِ غيـــر نَكـــيرةٍ　　　ونُلْحَمَـهُ حينـاً ولـيس بـذي نُكْـرِ[33]

واستطاع الأسى أن يأخذ ذات الشاعر بعيداً إلى فرديتها عبر مشهد الفجيعة، وهي في قلب الأسى، حيث مشهد تتابع صور الموت عليها (حثو قبر على قبر)، تحاول إعادة بناء عالمها على وهج العصبية من خلال تحويل القدر الفردي إلى قدر جماعي (فإنّا للحم السّيف)، والتحوّل من المأساة الشخصية إلى المأساة الجماعية؛ إذ الموت قتلاً قيمة من القيم العليا في الاستراتيجية الروحية للجاهليين، وهو جزء من ثقافة الحياة التي تستحوذ عليها القوّة، ويهدّدها الجدب والتحدّي البيئي.

يقول دُرَيْد أيضاً:

يُغَـــارُ علينـــا واتـــرين فيُـــشْتَفَـى　　　بنـا إن أُصِـبْنا أو نَغيـرُ علـى وِتْـرِ
بـذاك قَـسَمْنا الـدَّهْرَ شَـطْرَيْنِ قِـسْمَـةً　　　فمـا يَنْقَـضي إلا ونحـنُ علـى شَطْـرِ[34]

لقد شكلت العصبية محور التوازن الأخلاقي والروحي للذات في صراعها مع الآخر القبلي من جهة، ومناخ الجدب وعقم الحياة من جهة أخرى، وهي تحاول دوماً الهرب من أساها الداخلي إلى العصبية باحثة عن المثل الأعلى القبلي، الذي يحوّل فجيعتها وحزنها إلى مجد، ورثاءها إلى فخر، وتداعيها إلى قوّة، وألمها إلى ثأر قادم، ومحدوديتها - عبر الفجيعة- إلى أمداء، وهزيمتها إلى نصر، واستطاعت العصبية أن توسّع من دائرة رؤيتها وأفقها، فالمصير الفردي يلتحم بالمصير الجماعي في سيرورة الشعور، وتظل الروح الجماعية تمتدّ وتتجذّر بعد هلاك الفرد.

واتصلت العصبية بالقلق على المصير الجماعي للقبيلة، من أن تنال منها القوى التي تتربص بها خارجياً، أو أن تتفتت من داخلها نتيجة عوامل الفرقة وتشتت الهوى، واختلال الآصرة القبلية.

يقول الطُفيل الغنوي يرثي فرسان قومه :

تـــأوّبني هَـــمٌّ مـــع الليـــل مُنْـــصِـبُ　　　وجـــاء مـــن الأخْبـــار مـــالا أُكَـــذِّبُ
تظـــاهَرْن حتَّـــى لـــم تكُـــنْ لـــي ريبـــةٌ　　　ولـــم يَـــكُ عَمَّـــا أخْبـــروا مُتَعَقَّـــبُ
وكـــان هُـــرَيْمُ مِـــنْ سِـــنَانٍ خَليفـــةً　　　وَحِـــصْنٍ وَمِـــنْ أسْـــمَاءَ لمَّـــا تَغَيَّبُـــوا[35]

ويتحوّل الموقف من "النحن" إلى "الأنا" في لحظات الأسى على المصير الجماعي، وتتجلّى الذات الشاعرة، كفادية للروح الجماعية، وحاضنة لها، عندما تصيبها الكارثة، وتمسّها الآلام، وتتحوّل الذات إلى مركز للشعور، والحساسية العصبية.

وعبر العصبية يلتحم الشاعر الجاهلي بالذات القبلية من خلال الخطر الذي يهدّد القبيلة، عندما يستشعر مواطن الضعف والخلل في روحها؛ إذْ ينبغي أن تبقى القوّة متماسكة، لا يتخلّلها الفراغ الذي ينذر بتفتت القبيلة وضياعها.

يقول راشد بن شهاب اليشكري :

مَـــنْ مُبْلِـــغٌ فتيـــان يَـــشْكُرَ أنّـــني أرى حِقْبَـــةً تُبْـــدي أمـــاكن للـــصَّبْرِ
فأوصـــيكمُ بـــالحيّ شَـــيْبانَ إنّهُـــمْ هُـــمُ أهـــلُ أبنـــاءِ العظـــائم والفخْـــرِ[36]

ويتكثّف الشعور بالقلق على القبيلة لدى الشاعر الجاهلي، نتيجة الإحساس بخطر يهدّد القبيلة من داخلها :

تقـــول ابنـــةُ العَمْـــريِّ آخـــرَ ليْلهـــا: عـــلامَ مُنِعْـــتَ النَّـــوْمَ، لَيْلُـــكَ ساهِـــرُ
فقلـــتُ لهـــا : قَـــوْمي أخـــافُ عَلَيْهِـــمُ تبـــاغِيَهُمْ، لا يُـــبْهِكُمْ مـــا أُحَـــاذِرُ
فـــلا أعْـــرِفَنْكُمْ بَعْـــدَ عِـــزٍّ وثَـــروَةٍ يُقـــالُ:ألا تِلْـــكَ النبيـــتُ عَـــسَـاكِرُ
فـــلا تَجْعلـــوا حَرْبـــاتِكُمْ فـــي نُحُورِكُـــمْ كمـــا شَـــدَّ أَلْـــواحَ الرِّتـــاجِ المَـــسَامِرُ[37]

تدور هذه الأبيات حول محور القلق على مصير القبيلة الجمعي، وتحاور الذات ضميرها الجمعي عبر المرأة، وتتأمل مصيرها الفردي من خلال الخوف على المصير الجمعي؛ إذْ التصدّع الداخلي بسبب البغي، يفتّت القبيلة، ويهدّد الروح العصبية التي ينبغي أن تبقى متكتلة على ذاتها ومتماسكة، وقادرة على مواجهة القوى المبثوثة حولها، والمحافظة على شروط بقائها، وعناصر وجودها.

لقد أخذ الشاعر الجاهلي على عاتقه العبء الأكبر في تحمّل آمال قبيلته وآلامها، وعبر الكلمة/الشعر، تحمّل المسؤولية الأخلاقية عنها في السِّلم والحرب، حسب قيم العصبية القبلية، وأدّى دوره التاريخي، ضمن المعطيات التي صاغها شرطه التاريخي، والتحدي البيئي.

(3)

واستطاعت العصبية القبلية التي تستند إلى وحدة الدّم والمصير والقوّة والتكتّل حول ذاتها، أن تخلق بنية موازية لها تتمثّل في القيم الأخلاقية والإنسانية، وأن تحوّل مشروعها القبلي المحلّي إلى مشروع أكثر انفتاحاً على العصر، وأعمق غنى؛ فإلى جانب المركزية العصبية وجدت مركزية

أخلاقية وثقافية، حاولت ملء شقوق الحياة الجاهلية، التي أحدثتها عوامل الجدب والحرب، وسعت هذه المركزية إلى خلق توازن بين القوّة والحقّ؛ بل إلى زحزحة القوّة المجرّدة المهيمنة على صورة المجتمع الجاهلي عن شرعيتها المكتسبة بفعل غياب الدولة المركزية، والمرجعية الواحدة، لتوسّع من دائرة الانتماء؛ فتنتقل رويداً من القبيلة إلى القيمة، محاولة امتصاص الصراعات والحروب التي أنهكت المجتمع الجاهلي، وعمّقت أزمته، وأوصلته إلى حالة من الاستغلاق، وما نتج عنها من صور الاستهتار بالحياة، كما تظهر في صور الحرب والثأر التي تشيع في الشعر الجاهلي. وأدّت هذه المركزية الأخلاقية إلى ظهور الوعي العصبي الذي جسّم المثل الأخلاقية في ذلك العصر، وأحدث تأمّلاً باطنياً عميقاً في مفاهيم الحبّ والخير والحق والجمال، وأخذت هذه الذات الجماعية تتحسّس هويتها الإنسانية، وتتأمل مغزى لوجودها أبعد غوراً من مجرد التكتل العصبي المسؤول عن جلّ الآلام والصراعات التي عاشها المجتمع الجاهلي.

فإذا كانت العصبية القبلية وقوتها الضاربة بقيت عاجزة عن خلق التوازن الاجتماعي، بل أدّت إلى نفي الجاهلي عن محيطة، فإنّ المركزية الأخلاقية أذكت الروح الإنسانية، وجسمت مثلاً أعلى للحياة، حمل بذور مشروع طموح يسعى إلى التوحّد المعنوي، عبر الهوية الأخلاقية والإنسانية. واكتسبت المركزية الأخلاقية قوّة العرف الاجتماعي الذي التزم به المجتمع العربي التزاماً صارماً، وأصبح تمثّله سبيلاً وحيداً إلى الكرامة الاجتماعية التي تجسّمت في حسن الثناء، وعدّوا التخلّي عنه طريقاً إلى السقوط الأبدي[38].

يقول سعد بن زيد :

هـــل يَـــسُودُ الفتـــى إذا قَـــبحَ الوَجْـــ ـــهُ وأمْـــسَى قِـــراهُ غيـــر عَتـــــيدِ
وإذا النّــــــاس فـــــي النّـــــــديِّ رَأوهُ ناطقـــاً قـــالَ قَـــوْلَ غَيْـــرِ سَدِيــــد[39]

وظلّ الشاعر الجاهلي مشدوداً إلى المثل الأعلى الذي تجسّمه السّيادة ضمن إطار الواقع، ويقتضي تحقيقها الكفاح الذاتي، والتضحية، وبناء الذات القادرة على تحمّل هذه المهمّة التي تجلب المجد المعنوي، الذي مثل غاية ملحة للجاهليين.

يقول عَمْرو بنُ الإطنابة:

أبَـــتْ لـــي عفّتـــي وأبـــى بلائـــي وأخـــذي الحَمْـــدَ بـــالثمن الرّبيـــحِ
وإجْـــشامي علـــى المكْـــروه نفـــسي وَضَـــرْبي هَامَـــةَ البطـــل المُـــشيحِ
وَقَـــوْلي كلّمـــا جَـــشَأَتْ وجَاشَـــتْ: مكانـــك تُحْمَـــدِي أوْ تـــستريحي
لأدْفَـــعَ عَـــنْ مـــآثر صالحـــاتٍ وأحْمـــي بَعْـــدُ عـــن عِـــرْض صَحيـــحِ[40]

وتمثّل هذه الأبيات نسقاً أخلاقياً متكاملاً، يقوم في جوهره على "الحمد"، ويتخذ الكفاح طريقاً لبلوغه، وتتوازن داخل هذا النسق القوّة والحقيقة الأخلاقية كما يراهما الشاعر لتتكامل دائرة الوعي العصبي، والرؤية الاجتماعية للحياة ومغزاها.

ويقول سُوَيْدُ بن أبي كاهل اليشكري :

لا يَخــــافُ الغَــــدْرَ مَــــنْ جاوَرَهـــــم   أبــــداً مــــنهُمْ ولا يَخْـــشى الطَّبَـــــعْ
وَمَـــــــسَاميحُ بمـــــا ضُـــــنَّ بـــــــه   حاسِــرُوا الأنْفُــسِ عــن سُــوءِ الطَمَــعْ
حَـــــسَنُو الأوْجُــــهِ بــــيضٌ ســــادَةٌ   وَمَـــــراجيحُ إذا جَـــــدَّ الفَـــــــزَعْ
وُزُنُ الأحـــــلامِ إنْ هُـــــمْ وازنـــــوا   صــادِقوا البــأسِ إذا البــأسُ نَــصَعْ[41]

وتسعى هذه النظم الأخلاقية إلى بلورة صورة الحياة المعنوية للمجتمع الجاهلي، دون التخلّي عن القوّة، بل تظلّ الدعامة الأساسية لحفظ هذه القيم، التي شكّلت كياناً معنوياً، وقانوناً أخلاقياً أعلى يشدّ الحياة الجاهلية إلى المثال، ويكبح جماح القوّة التي كادت أن تعصف بالحياة والمجتمع.

يقول أوْسُ بن حَجَر :

فـــلا وإلهـــي مـــا غَـــدَرْتُ بذمّـــــةٍ   وإنَ أبـــي قبلـــي لغيـــرُ مُذَمّـــــــمِ
يُجَــرّدُ فـــي الــسِرْبالِ أبــيضَ صارمــاً   مُبينـــاً لِعَـــيْنِ النـــاظِرِ المُتَوَسِّـــمِ
يجــودُ ويُعْطــي المــالَ مِــنْ غيــرِ ضِفّــةٍ   وَيَــضْرِبُ أنْــفَ الأَبْلَــجِ المُتغَــشِّمِ[42]

ولا يتحرك هذا النسق الأخلاقي في فراغ تاريخي، بل هو ضمن الموروث الثقافي والأخلاقي للشاعر الجاهلي، وهذه القيم تحاول خرق الحصار الذي فرضه التحدّي البيئي، بمزيد من التلاحم بين "الأنا" و "الآخر"، إنّها تسعى لتأسيس حياة أكثر إنسانية على أنقاض هذا العصر الذي تمزّقه الحروب والصراعات.

وتقول الخِرْنِقُ بنت بدر (أخت طرفة):

لا يَبْعَـــدَنْ قـــومي الـــذين هُـــمُ   سُــــمُ العُــــداةِ وآفَـــةُ الجُـــــزْرِ
النّـــــازلون بكُـــــلِّ مُعْتَـــــركٍ   والطِّيِّبـــــــونَ مَعاقِـــــــدَ الأُزْرِ
الـــــضّاربون بحَوْمَــــةٍ نَزَلَـــــتْ   والطّـــاعنون بـــأَذْرُعٍ شُعْـــــرِ
والخــــالطون لُجَيْـــنَهُمْ بِنُـــضارهــمْ   وذوي الغنـــى مـــنهُمْ بِــذِي الفَقْــرِ[43]

وعبر البنية اللغوية (النازلون، الطيبون، الضاربون، الطاعنون، الخالطون) تستلهم الشاعرة الروح القبلية كاملة، وهي تكافح عبر الحلم لخلق مفهوم أعمق للإنسان، وإنضاج شروط الحياة الإنسانية، خلال إعلاء القيم الإنسانية، وتمجيد الروح، وتأسيسها على البذل، وإعلان مفهوم للقوّة

خالٍ من الفحش والطغيان؛ إذ الفخر يكون بتحقيق مدى أبعد غوراً للشرط الإنساني، وَمَنَحَ العصبية بعداً جديداً يتمثّل بإزاحة الشعور عن محوره المعبأ دوماً ضدّ الآخر، لتصبح الحياة أكثر إمكاناً، وتوازناً.

يقول سِنَان بن أبي حارثة المُرّي :

إن أمسِ لا أشتكي نُصْبي إلى أحدٍ ولستُ مُهتدياً إلاّ معي هادِ
فَقَدْ صَبَحْتُ سَوَامَ الحيِّ مُشْعَلَةً رَهْواً تَطَالَعُ من غَوْرٍ وأنجادِ
وَقَدْ يَسَرْتُ إذا ما الشَّوْلُ رَوَّحَهَا بَرْدُ العَشِيِّ بِشَفَّانٍ وصُرَّادِ
ثُمَّتَ أطْعَمْتُ زادي، غيرَ مُدَّخِرٍ، أهْلَ المحَلَّةِ مِن جَارٍ ومِن جَادِ[44]

لقد أحسّت الذات بعزلتها ومأساتها الوجودية، عبر الشيخوخة وانحسار الحياة عنها، وقذفت بها الصيرورة الزمنية بعيداً عن قلب حياتها الاجتماعية، وها هي تسعى لاستعادة حضورها، ومجدها المعنوي عبر الإيثار والتضحية؛ "فالأنا" تحاول دوماً أن تتغلّب على عزلتها بوسائل عدّة : كالمعرفة، والصداقة، والحياة الاجتماعية، والبذل[45]، وبذلك تسعى الأنا نحو الآخر في محاولتها مواجهة حزنها العميق الذي أحدثته الشيخوخة وانحلال الحياة.

يقول أبو دؤاد الإيادي :

تَرى جارنا آمناً وَسْطَنا يَروحُ بعَقْدٍ وثيقِ السَّبَبِ
إذا ما عَقَدنا لهُ ذِمَّةً شَدَدْنا العِناجَ وَعقْدَ الكَرَب[46]

وتحاول الذات تجاوز شروط الواقع التي تدفعها نحو أنانيتها؛ وذلك ببلورة قيم فوق الواقع، يتحقّق فيها معنى الحياة ومغزاها، وتوسّع من دائرة انتمائها القبلي، إلى انتمائها الإنساني.

ويقول الحادرة :

أظاعنةٌ ولا تُودِّعُنا هِنْدُ لِتَحْزُنَنا، عَزَّ التَّصَدُّفُ والكُنْدُ
وَشَطَّتْ لِتَنْأَى لي المَزَارَ وَخِلْتُها مُفَقَّدَةً، إنّ الحَبيبَ لَهُ فَقْدُ
فَلَسْنا بِحَمَّالي الكَشاحَةِ بَيْنَنا لِيُنْسِينا الذَّحْلَ الضَّغائنُ والحِقْدُ
فلا فُحُشٌ في دارِنا وصديقنا ولا وُرُعُ النُّهْبَى إذا ابْتُدرَ المَجْدُ
وإنّا سَواءٌ كَهْلُنا وَوَليدُنا لنا خُلُقٌ جَزْلٌ شَمائلُهُ جَلْدُ
وإنّا لَيَغْشَى الطّامِعُونَ بُيُوتَنا إذا كانَ عَوْصاً عِنْدَ ذي الحَسَبِ الرِّفْدُ[47]

ويظهر في مطلع القصيدة البناء المنقطع[48]، ليجسّم حالة الانفصال بين الذات والمرأة، التي تكشف مفارقة أكثر إيغالاً في الأسى؛ فرحيل المرأة / هند لم يكن مسوّغاً بعد أن تجلّت الذات

القبلية بأعلى صورة أخلاقية في مراياها الإنسانية والاجتماعية، وإذا كانت المرأة والقبيلة هما قطب الرحى في مسيرة الشاعر الجاهلي، وتتبادلان الرمزية في بعض مطالع القصائد الجاهلية؛ فإن رحيل المرأة يؤدّي إلى الإخلال بالتوازن الوجداني لدى الشاعر الجاهلي. ويتحوّل الشاعر من الحب الضائع برحيل "هند"، إلى المركزية الأخلاقية، لتقيه من الشعور بالتردّي والحزن؛ فالإنسان – عبر التاريخ والفنّ -يطمح إلى أن يكون أكثر من كيانه الفردي، ليصبح أكثر اكتمالاً، أي يسعى إلى الخروج من جزئية حياته الفردية إلى كلية يرجوها ويطلبها[49]، وهو في كفاحه يبقى خارج ذاته، وبارتمائه خارجاً عن نفسه، يحيا ويبقى[50].

الخاتمـة

درس هذا البحث الانتماء القبلي وتجلياته في الشعر الجاهلي، وحلّل البناء الاجتماعي الجاهلي الذي يقوم أساساً على القبيلة، وتوحّدها في المصير والغاية، ومثّلت القبيلة خياراً حقيقياً لدى العرب قبل الإسلام، في ظلّ مناخ الجدب، واستجابة للتحدّي التاريخي، حيث توفّر لها هذه الوحدة الاجتماعية الحماية والحركة معاً، وتمنحها القدرة على التكتّل والتلاحم في ظل المدى الصحراوي الذي يبدو منفتحاً بلا نهاية.

واحتلّ الشاعر الجاهلي مكانة مرموقة في ظلّ هذا البناء الاجتماعي، إذ هو الحافظ لأحلام القبيلة وآمالها والمعبّر عن تطلعاتها، وهو القادر على تحويل ركام الواقع من حوله إلى حياة؛ لذا اكتسب الشعر دوراً طليعياً في قيادة المجتمع الجاهلي، والتعبير عن وجدانه الجمعي، ورؤاه، وأشواقه.

واتخذ الانتماء القبلي العصبية مركزية تجسّد الولاء الكامل للقبيلة، واتصلت بالفخر القبلي، الذي سعى إلى تأكيد الذات الجماعية، ومدى حضورها في الواقع الاجتماعي، وارتبط بالقوّة القادرة على فرض وجودها وشروطها بديلاً عن المرجعية الغائبة عن المجتمع الجاهلي، بسبب فقدانه للدولة المركزية. واستطاعت العصبية أن تخلق مركزية أخلاقية وإنسانية موازية لها، تسعى إلى التوازن بين القوّة المجردة والحقيقة، بين المادّة والثقافة، في محاولة الإنسان الجاهلي حماية بقائه ومشروعه من الانهيار بسبب التحدي البيئي الذي يستحوذ عليه مناخ الجدب، وما أعقبه من صراعات أنهكت الحياة الجاهلية. واتصلت المركزية الأخلاقية بالقيم والبعد الإنساني، في سبيل كسب "الحمد"، الذي مثّل غاية عليا للمجتمع كما تجلّت في الشعر الجاهلي.

Tribal belonging in Pre-Islamic poetry
(Between kinship and the awareness of kinship)

Ali Asha, *Department of Arabic, Faculty of Science and Arts, Al Hashimia University, Zarqa, Jordan.*

Abstract

The study looks at tribal belonging in Pre-Islamic poetry through studying some selected models of this poetry. In addition, considering poetry as the prominent factor for the cultural identity for Pre-Islamic community, the study investigates the social structure of the Arabic Pre-Islamic community and its integration in Pre-Islamic poem. The study attempts to analyze the fact of tribal belonging which relies basically on tribal kinship which was sometimes connected with feelings of proud, and with power in other times creating solid power around itself so that it could meet the environmental and historical challenges where the drought and war exemplified two important marks in the Pre-Islamic history. Kinship had taken another track in Pre-Islamic intuition, and it created another centeredness going parallel with it. This was exemplified in the kinship awareness which related to human and ethical concept. This kinship awareness made the poetic self try to create balance between power and truth, seeking "compliment" and "praise" and at the same time to resist the crumbling situation of the community that was exhausted by tribal conflict and dispute.

قدم البحث للنشر في 2005/4/20 وقبل في 2005/6/14

الهوامش

1- الدوري، عبد العزيز، 1985، **التكوين التاريخي للأمة العربية**، ط2، دار المستقبل العربي، القاهرة، ص 21

2- دلو، برهان الدين، 1989، **جزيرة العرب قبل الإسلام**، ط1، دار الفارابي، بيروت، ص153.

3- حسام الدين، كريم زكي، بلا تاريخ، **القرابة (دراسة أنثرو لغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية)**، ط1، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، ص87

4- وليك، رينيه، وأوستن وارين، 1985، **نظرية الأدب**، ترجمة محيي الدين صبحي، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص97.

5- ريد، هربرت، بلا تاريخ، **الفن والمجتمع**، ترجمة فارس متري ضاهر، دار القلم، بيروت، ص120.

6- إسماعيل، عزالدين، 1974، **الأسس الجمالية في النقد العربي**، ط3،دار الفكر العربي، ص315.

7- اليوسف، يوسف، 1975، **مقالات في الشعر الجاهلي**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ص 57.

8- خليف، يوسف، بلا تاريخ، **دراسات في الشعر الجاهلي**، مكتبة غريب، القاهرة، ص 174-175.

9- الجادر، محمود عبد الله، 1986، الشاعر العربي قبل الإسلام وتحديات العصر، **مجلَة المورد**، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، مجلَد (15) العدد (2)، ص 9.

وانظر:

- القيسي، نوري حمودي، 1984، **الفروسية في الشعر الجاهلي**، ط2، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ص 246 وما بعدها.
- عبد الفتاح، فاطمة، بلا تاريخ، **الحياة الاجتماعية في الشعر الجاهلي**، دار الفكر، بيروت، ص 38 وما بعدها.
- عمارة، إخلاص فخري، 1991، **الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية**، مكتبة الآداب، القاهرة، ص 7 وما بعدها.
- شحادة، عبد العزيز، 1995، **الزمن في الشعر الجاهلي**، مكتبة الكتاني، إربد، الأردن، ص 168-173.

10- المرجع السابق، ص 9.

وانظر:

- خليف، يوسف، بلا تاريخ، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ط3، دار المعارف، مصر، ص 89 وما بعدها.

11- جمعة، حسين، 1996، الانتماء وظاهرة القيم العربية في القصيدة الجاهلية، **مجلَة التراث العربي**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد (63)، السنة السادسة عشرة، ص81-83.

12- المرجع نفسه، ص 85.

13- المرجع نفسه، ص 96.

14- فاروق اسليم، وعصام قصبجي، 1995، الانتماء في العرف الجاهلي، **مجلَة بحوث جامعة حلب**، جامعة حلب، العدد (27)، ص 60-68.

15- الشحادة، عبد العزيز محمد، 1990، **الذات والقبيلة في الشعر الجاهلي**، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، مصر، ص 233.

16- المرجع نفسه، ص 235.

17- عبد الرحمن، عفيف، 1987، **الأدب الجاهلي في آثار الدارسين (قديماً وحديثاً)** ، ط1، دار الفكر، عمان، ص 227.

- وانظر إلى عرض مكثَّف للمنهج الاجتماعي في دراسة الشعر الجاهلي في المرجع نفسه، ص 229-262.

- وانظر أيضاً: رومية، وهب، 1996، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، عالم المعرفة، الكويت، ص 273 وما بعدها.

18- وليك، رينيه، وأوستن وارين، **نظرية الأدب**، ص 109

19- رومية، وهب، 1996، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص26.

20- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، بلا تاريخ، **المزهر في علوم اللغة**، شرحه وضبطه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ج2/ص473.

21- القيرواني ، ابن رشيق، 1988، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق محمد قرقزان، ط1، دار المعرفة، بيروت، ج1/ص49.

22- أدونيس، بلا تاريخ، **كلام البدايات**، دار الآداب، بيروت، ص61.

23- الضُبَعَي، المتلمّسُ، 1970، **ديوان شعر المتلمس الضُبَعَي**، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، مصر، ص 305-306.

24- الجادر، محمود عبد الله، 1986، الشاعر العربي قبل الإسلام وتحديات العصر، **مجلة المورد**، مجلد (15) عدد (2) ، ص8.

25- الآمدي، أبو القاسم الحسن، 1991، **المؤتلف والمختلف**، دار الجيل، بيروت، ص127.

26- الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى، بلا تاريخ، **المفضليات**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط6، بيروت، ص119-120.

27- المعيني، عبد الحميد، بلا تاريخ، **شعر بني تميم في العصر الجاهلي**، (جمع وتحقيق)، نادي القصيم الأدبي، بريدة، السعودية، ص278.

28- هاوزر، أرنولد، 1981، **الفن والمجتمع عبر التاريخ**، ترجمة فؤاد زكريا، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج156/2.

29- ابن مقبل، تميم بن أبي، 1962، **ديوان تميم بن أبي بن مقبل**، تحقيق عزّة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ص56.

(متندَح: أي سعة وفسحة ومذهب في الأرض عريض).

30- نفسه، ص112.

يحذي: يطعن، الزاعبي من الرماح: إذا هز تدافع كله، المؤمّر: المحدّد.

31- الشَنْتَمْري، الأعلم، 1992، **شرح حماسة أبي تمام**، تحقيق وتعليق علي المفضل حمودان، ط1، دار الفكر، دمشق، مجلد1/ص 268-269.

32- رومية، وهب ، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، ص272.

33- ابن الصِّمَّة، دُرَيْد، بلا تاريخ، **ديوان دريد بن الصمة**، تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف، مصر، ص95-96.

34- نفسه، ص97.

35- الغَنَوي، الطُفَيْل، 1968، **ديوان الطُفَيْل الغَنَوي**، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط1، دار الكتاب الجديد، ص37-38.

36- الضبي، المفضل، المفضليات، ص310.

37- ابن الخطيم، قيس، 1962، **ديوان قيس بن الخطيم**، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط1، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ص145-146.

يبهكم: أي يفسد أمركم، عساكر: جموع متفرقة.

38- الجادر، محمود عبد الله، **الشاعر العربي قبل الاسلام وتحديات العصر**، ص16-17.

39- المعيني، عبد الحميد، **شعر بني تميم في العصر الجاهلي**، ص84.

عتيد: حاضر، مهيأ، الندي: مجلس العشيرة وناديها.

40- الشنتمري، الأعلم، **شرح حماسة أبي تمام**، مجلد1/ص173-174.

المشيح: المحاذر، الإجشام: الإكراه على احتمال المشقة، جشأت النفس: ارتفعت جبنا وفزعا، جاشت: غثت وغلت.

41- الضّبي، المفَضَل، **المفضَليات**، ص194-195.

الطبع: ما يعابون به.

42- ابن حَجَر، أَوْسُ، بلا تاريخ، **ديوان أوْس بن حَجَر**، تحقيق محمد يوسف نجم، ط2، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ص118 .

أبيض: نقي العرض من الدنس، الأبلخ: المتكبر.

43- بنت بدر، الخِرْنق، بلا تاريخ، **ديوان الخرنق بنت بدر (أخت طرفة بن العبد)**، تحقيق واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ص39-40.

44- الضَبّي، المفُضَل، المفضَليات، ص350-351.

السوام: الإبل الراعية، مشعلة: الكتيبة، الشول: الإبل التي نقصت ألبانها، شفان وصراد: ريح باردة، الجادي: المجتدي الذي يطلب الجدا وهو العطية.

45- برديائف، نيقولاي،1982، **العزلة والمجتمع**، ترجمة فؤاد كامل عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص95.

46- الإيادي، أبو دؤاد، 1959، **شعر أبي دؤاد الإيادي**، ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي، غوستاف فون غرونباوم، ترجمة إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 292.

العناج: خيط أو سير يشد في أسفل الدلو، الكرب: الحبل الذي يشد على الدلو، والمعنى: أوثقوا العهد إذا عقدوه.

47- الحادرة، قُطْبة بن أوس، 1980، ديوان شعر الحادرة، حققه وعلق عليه ناصر الدين الأسد، ط2، دار صادر، بيروت، ص 69-72.

الكند: الجحود، الجلد: المتين القوي، الورع: الجبان الهيوب.

48- عبد الرحمن، نصرت،1982، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**. ط2، مكتبة الأقصى، عمان، ص 204.

49- فيشر، إرنست، 1971، **ضرورة الفن**، ترجمة أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، ص 8.

50- سارتر، جان بول، 1983، **الوجودية مذهب إنساني**، قدم له كمال الحاج، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 88.

المصادر والمراجع

ابن الخطيم، قيس، 1962، **ديوان قيس بن الخطيم**. تحقيق ناصر الدين الأسد، ط1، مكتبة دار العروبة، القاهرة.

ابن الصِّمَّة، دُرَيد، بلا تاريخ، **ديوان دُرَيْد بن الصِمَّة**. تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف، مصر.

ابن حجر، أَوْس، بلا تاريخ، **ديوان أوس بن حجر**.تحقيق محمد يوسف نجم، ط2،

ابن مقبل، تميم بن أبي، 1962، **ديوان تميم بن أبي بن مقبل**. تحقيق عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

أدونيس، بلا تاريخ، **كلام البدايات**، دار الآداب، بيروت.

اسليم، فاروق وقصبجي، عصام، 1995، **الانتماء في العرف الجاهلي**، مجلة بحوث جامعة حلب، جامعة حلب، العدد (27).

إسماعيل، عز الدين ، 1974، **الأسس الجمالية في النقد العربي**. ط3، دار الفكر العربي.

الآمدي، أبو القاسم الحسن، 1991، **المؤتلف والمختلف**. دار الجيل ، بيروت.

الإيادي، أبو دؤاد، 1959، شعر أبي دؤاد الإيادي. ضمن كتاب **دراسات في الأدب العربي**، غوستاف فون غرونباوم، ترجمة إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت.

برديائف، نيقولاي، 1982، **العزلة والمجتمع**. ترجمة فؤاد كامل عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

بنت بدر، الخرنق، بلا تاريخ، **ديوان الخرنق بنت بدر (أخت طرفة بن العبد).** تحقيق واضح الصمد، دار صادر، بيروت.

الجادر، محمود عبد الله، 1986، **الشاعر العربي قبل الإسلام وتحديات العصر**، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، مجلد (15) عدد (2).

جمعة، حسين، 1996، **الانتماء وظاهرة القيم العربية في القصيدة الجاهلية**، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد (63)، السنة السادسة عشرة.

الحادرة، قُطْبة بن أَوْس، 1980، **ديوان شعر الحادرة**، حققه وعلق عليه ناصر الدين الأسد، ط2، دار صادر، بيروت.

حسام الدين، كريم زكي، بلا تاريخ، **القرابة (دراسة أنثرولغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية)**. ط1، مكتبة الأنجلو مصرية)، مصر.

خليف، يوسف، بلا تاريخ، **دراسات في الشعر الجاهلي**. مكتبة غريب، القاهرة.

دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.

دلو، برهان الدين، 1989، **جزيرة العرب قبل الإسلام**. ط1، دار الفارابي، بيروت.

الدوري، عبد العزيز، 1985، **التكوين التاريخي للأمة العربية**. ط2، دار المستقبل العربي، القاهرة.

رومية، وهب، 1996، **شعرنا القديم والنقد الجديد**. عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون ولآداب، الكويت.

ريد، هربرت، بلا تاريخ، **الفن والمجتمع**. ترجمة فارس متري ضاهر، دار القلم، بيروت.

سارتر، جان بول، 1983، **الوجودية مذهب إنساني**. قدم له كمال الحاج، دار مكتبة الحياة، بيروت.

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، بلا تاريخ، **المزهر في علوم اللغة**. شرحة وضبطه محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، بيروت.

الشحادة، عبد العزيز محمد، 1990، **الذات والقبيلة في الشعر الجاهلي**. رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، مصر.

الشَّنْتَمْري، الأعلم، 1992، **شرح حماسة أبي تمام**. تحقيق وتعليق علي المفضل حمودان، ط1، دار الفكر، دمشق.

الضُبَعي، المتلمِّس، 1970، **ديوان شعر المتلمس الضُبعي**. تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، مصر.

الضّبي، المفَضّل بن محمد بن يعلي، بلا تاريخ، **المفضّليات**. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط6، بيروت.

عبد الرحمن، عفيف، 1987، **الأدب الجاهلي في آثار الدارسين (قديماً وحديثاً)**. ط1، دار الفكر، عمان.

الغَنَوي، **الطُّفَيْل**، 1968، **ديوان الطُّفَيْل الغنوي**. تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط1، دار الكتاب الجديد.

فيشر، إرنست، 1971، **ضرورة الفن**. ترجمة أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر.

القيرواني، ابن رشيق، 1988، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**. تحقيق محمد قرقزان، ط1، دار المعرفة، بيروت.

المعيني، عبد الحميد، بلا تاريخ، **شعر بني تميم في العصر الجاهلي** (جمع وتحقيق). نادي القصيم الأدبي، بريدة، السعودية.

هاوزر، أرنولد، 1981، **الفن والمجتمع عبر التاريخ**. ترجمة فؤاد زكريا، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

ويليك، رينيه، وأوستن وارين، 1985، **نظرية الأدب**. ترجمة محيي الدين صبحي، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

اليوسف، يوسف، 1975، **مقالات في الشعر الجاهلي**. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

المجلة العربية للآداب المجلد 2، العدد 1، 2005، ص ص 147- 160

الخيالان: موتيف تنوع الخيال

لريناتا ياكوبي*

ترجمة عبد القادر الربَاعي**

ملخص

يدرس هذا البحث ظاهرة تكررت في الشعر العربي القديم بعامة، والشعر العباسي بخاصة، هي ظاهرة "الطيف". والطيف هو طيف المحبوبة الذي كان يردده الشاعر في المنام، ولقد أشارت المؤلفة في البداية إلى أن هذه الظاهرة ليست خاصة بالشعر العربي وحده وإنما هي ظاهرة عالمية نجدها في كل شعر، لكن الذي لفت انتباه الباحثة ريناتا ياكوبي ذكر بعض الشعراء "لخيالين" أو طيفين. وقد استوجب اكتشافها هذا إلى تتبع ورود "الخيالين" أو الطيفين في نماذج من الشعر العباسي وتحليل تلك النماذج للوصول فيها إلى استكناه رؤية استنتاجية ارتأتها فكان عملها هذا مثاراً للإعجاب ، ذلك الإعجاب الذي دفعني إلى ترجمة بحثها القيم هذا. [المترجم]

الخيال أو الطيف هو "رؤيا" المحبوبة تظهر ليلاً. وهو الموتيف المحبب في الشعر العربي منذ الجاهلية. والطيف– مثلما قلت في ورقة نشرت عام 1990[1] – كان يُتصور أولاً على أنه ظاهرة غريبة، أو شبح يواجه الشاعر في العالم الخارجي، ولا يكون دائماً موضع ترحيب من الشاعر، وإنما مصدر فزع في بعض الأحيان.

لكن هذا الطيف أو الخيال قدم في زمن متأخر – أي منذ القرن السابع الميلادي وما بعده - على أساس أنه رؤيا يراها الشاعر في حلمه، يتوق فيها إلى تحقيق رغباته السرية في منح هداياه للمحبوبة التي كانت هي ذاتها قد رفضتها في عالم الواقع.

إن هذا الوجه الأخير للطيف تداوله الشعراء بكثير من الرضا، وخاصة في الشعر الأموي. ليس هناك– كما يبدو- أية مشكلة تذكر حتى الآن؛ فالحلم بالمحبوبة ليس مقصوراً على العرب وحدهم مطلقاً، وإنما هو تجربة إنسانية أشمل. ثم إن ذلك الحلم لا يشكل سبب ظهوره ، ولا استخدام الشعراء له في العصر الوسيط، أية صعوبة في فهمنا. ذلك أن بعض الشعراء أدركوا

* مستشرقة ألمانية. ورئيسة معهد برلين للغات السامية والشرقية سابقاً.

** أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، وعميد كلية الآداب في جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

مثلما عبروا ببساطة عن أن ظهور الخيال (الطيف) في أشعارهم جاء نتيجة التفكير فيما يرغبون فيه.

إن محلل الشعر، وهو يحلل أشعار هذا الموتيف المتأخرة، ليتلقى الانطباع بأن الخيال أو الطيف – كما تصوره الشعراء العرب – قد أصبح يملك قسطاً وافراً من الحقيقة والواقع. بل أشعر أن علي أن أقول: أصبح " جوهراً " أكثر منه مجرد " شكل " يظهر في حلم. وأحد الأسباب لهذا القول – كما أظن - هو أن الشعراء المسلمين ما زالوا يظهرون أنفسهم بمظهر شعري تقليدي ، وأنهم يلحون على أن يضمنوا أشعارهم جواً ينتسب إلى موتيف أصلي . إنهم يلمحون إليه بوعي – مثلما هو الشأن في موتيف النسيب – عن طريق استخدامهم ألفاظاً تقليدية، بل إنهم يعيدون عناصر معينة للحكاية، يصعب أن تدخل في فحوى الحلم، مثل السؤال: كيف يمكن للخيال (الطيف) أن يعبر الجبال والصحارى كي يصل إلى الشاعر؟

وأكثر من هذا تشابه الخيال مع المحبوبة؛ إذ إن العلاقة التي تربطهما معاً تظهر دائماً ملبسة نوعاً ما. والذي يبدو هو أن السؤال عن حقيقة تلك الظاهرة – على الرغم من ندرة مناقشته بصراحة - دائم الخداع للشاعر في كل حين. إن هذا هو السبب الذي يدعوني لأن أفضل ترك مصطلح "خيال" أو "طيف" غير مترجم، إذ من الجلي أنه لا يدرك على أنه هو تماماً الشيء ذاته دائماً. فالتأثير الكامن للحكاية الأصلية يمكن أن يساهم أيضاً في تطور الأنواع غير العادية من وجهة نظر الأدب المقارن، وأحد هذه الأنواع هو موضوع هذه الورقة : " الخيالان ".

لقد بدأ هذا النوع في الظهور منذ العصر الأموي، أو بداية العصر العباسي كما أظن، هذا على الرغم من أن هناك مثالاً واحداً مروياً من العصر الجاهلي يجب أن يؤخذ بالاعتبار. فالخيالان يشيران إلى خيال المحبوبة وخيال الشاعر كذلك. والسياق الشعري الذي آتي به لا يترك مجالاً للشك حول مرجعية ذلك الخيال، لكن من الممكن أن يزور الشاعر أكثر من خيال واحد في وقت واحد، أو يتعرض لزيارة الخيال الواحد مرات عديدة. وهذه الفكرة الأخيرة أوحى بها جمع "خيالات" الذي كان يرد بين الحين والحين في العصر الأموي والعصر العباسي. ومثال ذلك

ما جاء في شعر كثير، الذي ذكر: " **خيالات الحبيب الطوارق** "[(2)].

وهناك احتمال آخر أن يكون الشاعر متورطاً في حب امرأتين؛ إذ من الممكن أن يرسلا له خياليهما في وقت واحد. إنني لا أخمن هنا ، فهناك قصيدة للعجاج بن رؤبة يعود فيها الشاعر لخيالين يتحركان في آن معاً. وها أنذا أقتطع منها البيت الأول فقط[(3)]:

طــاف الخيــالان فهاجــا ســقماً   خيـــالُ تُكنـــى وخيـــال تُكتمـــا

كان هذا هو الشاهد الوحيد الذي استطعت أن أجده للشاعر يلمح فيه إلى امرأتين.

ولما كان العجاج راجزاً مشهوراً، ولما كنا نعلم أن شعراء الرجز يميلون إلى السخرية من القصيدة الكلاسيكية فإننا لسنا بحاجة لأن نأخذ ما قال بجدية صارمة.

إن حال المرأتين – في أي مستوى – ليست هي التي تعنينا هنا، فكل ما أردته هو الإمساك بهذه الفكرة غير المألوفة.

أما بالنسبة لخيال المحبوبة والتقائه بخيال الشاعر فإنني لا أستطيع أن أقدم تحليلاً حاسماً لهذا التعدد، ولكنني أقدم فقط بعض الانعكاسات التي يجب أن نأخذها بالاعتبار في أثناء دراستنا الشاملة لموتيف الخيال. من الواضح أن لكل هدف قيوداً إذا ما أريد له ، من وجوه معينة، أن يؤول إلى مكسب ممكن؛ ولهذا أجبرنا أن نعزل أبياتاً ومقاطع من سياق قصيدة كاملة، بل من سياق عصرها الأدبي كله.

فالقاعدة السيكولوجية لظاهرة الخيال – وهي التي تهمني أنا بشكل خاص- يمكن أن تدرس فقط حين نحسب لكل أنواعها حسابه اللازم.وعلى أية حال أظن أن بعض الأسئلة المعقدة جديرة بالاهتمام حتى لو كان من المستحيل أن تقدم لها حلول في الوقت الحاضر.

المادة التي أعول عليها هي مجموعة شاملة ومناسبة من أشعار تنتمي إلى الموتيف ذاته، وتمتد عبر العصر الأموي. أما العصر العباسي فإن مؤونتي منه محدودة، وترتد إلى أهم الشعراء في العصر الأول حتى البحتري. وعلاوة على ذلك سأركز على شعر الحب في نوعيه: النسيب والغزل، هذا على الرغم من أن الخيال ، بصفته أهم موضوع منذ النسيب القديم، ألمحت إليه أنواع شعرية أخرى كالمرثية مثلاً، لكن هذه الأنواع مستثناة مما أبحث فيه هنا.

النقطة الأولى التي أود أن أضعها في الاعتبار هي مسألة الأصل؛ فالأدب العربي القديم كان قد عزا اختراع :" الخيالين " إلى عمرو بن قميئة، وهو واحد من أقدم الشعراء ، فقد ولد – كما يظن – حوالي 480م وأما بيت الشعر فهو مطلع قصيدة له. (4)

نأتـــــك أمامــــــة إلا ســــــؤالا وإلا خيــــــالاً يــــــوافي خيــــــالا

لقد ذكر ليال في تعليقه على البيت أن المرجعية لخيال الشاعر ذاته غير طبيعية، ولكنه لم يشك في موثوقية الخط الذي سلكته. أما الدليل المنطقي فهو ، في رأيي، أن الشعر وجزءاً من النسيب ليسا حقيقيين، وما أراه هو باختصار كالتالي:

1- فكرتي التي كنت بينتها في الورقة المشار إليها سابقاً هي أن القول بأن خيال المحبوبة لا يقابل الشاعر ذاته وإنما يقابل خياله، هو قول يخالف بناء الحكاية الأصلية ، فالخيال أساساً لا يناسب بنية العقلية الجاهلية.

2- الشطر الأول من البيت يعود في فحواه إلى موتيف الأطلال، والشطر الثاني يعود إلى الخيال. فالمزج بين هذين العنصرين بهذه الطريقة هو بالتأكيد غير طبيعي ، ولا أريد أن أقول: إنه مستحيل في النصوص الجاهلية التي تبدو دائماً في حالة انفصال واضح.

3- أما الشاهد التالي – حسب الترتيب الزمني – فهو المجنون المتوفى عام 687م تقريباً. فإذا كان الشعر المنسوب إليه موثوقاً فإن هناك مسافة زمنية تقدر بأكثر من قرن تفصل بين الشاعرين. ومن الصعب التصديق بعدم وجود شاعر آخر في المرحلة الشفوية التقليدية بعد عمرو بن قميئة يأخذ على عاتقه تحقيق الفكرة.

4- ثم إن الشعراء الأمويين، حتى الذين حافظوا على الأجواء البدوية التقليدية في شعرهم أمثال جرير والفرزدق والأخطل وذي الرمة، لم يذكروا " الخيالين " على الرغم من أنهم جميعاً استعملوا كلمة " الخيال "بشكل لائق في شعر النسيب لديهم. وهكذا فإن من المشكوك فيه أن يكون المجنون تاريخياً تصور بالفعل "خيالين"؛ فالشعر موضع النقاش يمكن أن يكون منسوباً إليه مؤخراً. ومما يقوي شكنا الحقيقة التي تؤكد أن كثيراً من شعره في الديوان منسوب أيضاً إلى قيس بن ذريح (توفي عام 685م) الذي هو بدوره ذو شخصية خرافية[5]

وإنـي لأستغـشي ومـا بـي نعـسة لعـل خيـالاً منـك يلقـى خياليـا

اقتبس الشريف المرتضى (ت 1044م) في كتابه " طيف الخيال "[6] هذا البيت الشعري وجمعه، مصادفة، إلى بيت عمرو بن قميئة. ويظهر أنه لم يكن يعرف شواهد مبكرة أخرى "للخيالين". وهذا ما يؤيد نتائجي التي توصلت إليها. لكن الغريب جداً أنه فسر الخيال الثاني في بيت المجنون على أنه جسد الشاعر النحيل، ثم نظر إليه نظرة إيجابية قائلاً: " لا وجه لقول المجنون إلا هذا ".

إن هذا التفسير ممكن طبعاً على أساس أنه التفسير الظاهر الذي كان الشعراء العباسيون يستعملونه أحياناً [7] لكن ليس هناك سبب يدعو المرتضى إلى أن يفضله؛ فمفهوم "الخيالين" مألوف تماماً بالنسبة له، وغالباً ما كان يعود إليه في كتابه.

وسواء نال البيت الشعري السابق للمجنون نسبة موثوقة على أنه من الشعر الأموي، أو نسبة متأخرة على أنه من الشعر المبكر للعصر العباسي فإن المفيد هو أننا نصادف مفهوم "الخيالين" داخل سياق الشعر العذري. وما أراه هو أن البيت المشهور لجميل العذري (ت723م) قد نفخ الحياة في هذا المفهوم، أو أنه أسهم في انبثاقه على الأقل [8].

أظـلُّ نهـاري لا أراهـا وتلتقـي مع الليل روحي في المنام وروحها

من الواضح أن كلمة " روح " استخدمت هنا – كما أعتقد – على أنها مرادفة " للخيال " غالباً. فجميل مزج – دونما وعي منه – بين إطارين لمرجعيتين: الشعر العربي، والإسلام.

المسألة مرتبطة بتعاليم الإسلام الذي يؤكد ثنائية التقسيم بين الروح والجسد، وهو المفهوم المحبب في شعر البلاط، والشعر الروحي. ولما كان إثبات ما هو أبعد من الشك فإن من المستحب القول بأن بيت جميل هو الذي قدم فكرة "الخيالين" وأنه كان أول من عبر عنه داخل تراث الشعر العذري.

وهناك البيت الثاني الأصيل الذي التقى مع الأول في الفترة المتأخرة من العصر الأموي والفترة المبكرة من العصر العباسي، وتداوله الشعراء المحدثون. كان الشعراء ، حتى ذلك الوقت ، يرون محبوباتهم في المنام، أما الآن فنحن نرى أن عكس ذلك هو الذي يحدث؛ لقد غدت المرأة هي التي ترى خيال حبيبها. وهذه الفكرة طرأت أول ما طرأت على بشار حيث ورد في ديوانه البيت التالي:[(9)]

يــوم قالــت إذ رأيتــك فــي النــو م خيـــالاً أصـــبت عينـــي بـــداء

إن التقنية المستخدمة في هذا البيت تظهر الجسد في هيئة مميزة، فاستيعاب الموقف تمّ ببساطة عن طريق عكسه أو التضاد معه. وغالباً ما كان بشار يستعمله في شعره، مثال ذلك ما نراه في قصيدته التي بدأها بالشطر التالي: [(10)]

" لم يطل ليلي ولكن لم أنم "

حيث عكس الأسلوب المثبت المعروف " طال ليلي " بنفيه. والبيت المقتبس يشير إلى الطريقة المعهودة ، وهي أن الحماسة العاطفية التي يبديها الشاعر حين لقائه خيال محبوبته يقابله فتور عاطفي من جانب تلك المحبوبة.

لقد وقفنا على أرض صلبة منذ عهد بشار؛ فالمفهوم الذي استقر هو أن خيال الشاعر ، والكيفية التي يمكن للمحبوبة أو لخيالها تصوره قد تأسسا الآن، وأصبح بالإمكان التوسع فيهما، والتفاعل معهما. فبدلاً من ثلاثة عناصر كانت تتحرك في السابق (الشاعر، والمحبوبة، وخيالها) أمسينا نملك تناظر شخصين وخياليهما الذاتيين.

ثم إن مسألة التطابق التي كان النقاش في السابق خاصاً بالمحبوبة وخيالها، غدا بالإمكان الآن أن يمتد ليشمل الشاعر وخياله أيضاً. ويبقى السؤال الملح الآن: هل هناك تشابه أو ، ربما ، تناقض فيما كان قد خبره الشعراء الذين قارنوا بين السلوك المهذب للخيال، والموقف غير اللطيف للمحبوبة؟.

إن مفهوم " الخيالين " – حسب ما تجمع لي من شعر – لم يرق لأعظم شعراء الحب في الفترة العباسية، أمثال العباس بن الأحنف، أو مسلم بن الوليد؛ لكنه كان يروق لشاعر ظريف مثل أبي نواس الذي كان يتمتع لاهياً بالتقاليد البدوية. لقد قصر كل غزله على حالتين من هذا الموتيف. وقبل أن أتعرض بالتفصيل لواحدة من هاتين الحالتين، أرغب في أن أقتبس بيتاً من قصيدة أخرى يشير إلى أن أبا نواس أعيد تقييمه وهو نائم من جديد عن طريق خياله أو طيفه. كانت القصيدة تغزلاً بغلام حيث بدأت كالآتي: [11]

تمناه طيفي في الكرى فتغيّبا   وقبلت يوماً ظله فتعتّبا

وينسب البيت أيضاً لأبي تمام مع اختلاف في الرواية، حيث جاءت كلمة " تلقاه " بدلاً من " تمناه " وكلمة " تغضبا " بدلاً من " تغيبا ".[12]

فطيف الشاعر هنا ليس مقصوراً على المنظر فقط، وإنما مرتبط بالعواطف والرغبات أيضاً، ولذلك فإننا لسنا متفاجئين من معرفتنا أن ذلك مدعاة للغضب.

وهناك مقطوعة شعرية أخرى ساحرة مؤلفة من أربعة أبيات، وهي واحدة "المؤنثات" التي تعاملت مع الموتيف في حالة شجار المحب في الحلم: [13]

دسَت له طيفها كيما تصالحه   في النوم حين تأبى الصلح يقظانا

فلم يجد عند طيفي طيفُها فرحاً   ولا رثى لتشكّيه ولا لانا

حسبتِ أنَ خيالي لا يكون لما   أكون من أجله غضبان غضبانا

فُديت لا تسألن ً الصلح سُرْعَةَ ذا   فلم يكن هيناً منكِ الذي كانا

فالطريقة التي يستخدم فيها أبو نواس تناظراً بين الشاعر ومحبوبته في جانب، وطيفيهما الشخصيين في جانب آخر، طريقة جديرة بالانتباه إذا ما وضعنا في اعتبارنا مسألة التشابه.

من الواضح أن المحبوبة قد خدعت بذلك الأسلوب، فقد تصورت أن طيف الشاعر يميل إلى استرضائها بشكل كبير، مع أن الشاعر ذاته لا يبدو عليه ذلك الميل. وهذا – كما أشار – هو القبر الذي يدفن الشاعر فيه إثمه.؛ ذلك أن طيفه يقدم شخصه كاملاً في المنام. هذا وقد لاحظنا أيضاً أن الخيال المرسل بكثافة هو عنصر من عناصر الحكاية في شعر الحب العربي. وهكذا فبالنسبة لأبي نواس يبدو أن هناك تطابقاً تاماً بين الشخص وخياله (أو خيالها)، وأكثر من ذلك فإن "الخيال" الأخير قد يعد وثيقة يمكن لصاحبها أن يستخدمها، لكن الشعراء ليسوا مجبرين على أن يكونوا متعصبين لآرائهم التي يعلنونها، كما أن الموقف المضاد لذلك يمكن أن يكون

صحيحاً أيضاً؛ فبدلاً من التشابه بين المحبين وأخيلتهم الشخصية تظل هناك إمكانية للتناقض أيضاً.

وفي مقطوعة مؤلفة من خمسة أبيات – وهي واحدة من المذكرات – يكون للمحب فيها تأثير على الصلح في النوم، لكنه لم يكن تأثيراً كلياً. إنها مثال مقنع لأن نقتبس منها أبياتاً ترتبط بالموضوع. (14)

إذا التقــى فــي النــوم طيفانـــا عـــادا إلـــى الوصـــل كمـــا كانـــا

فأبو نواس يلمح إلى السعادة التي كانا يستمتعان بها. وهو يشير كذلك إلى أن باستطاعتهما الاستمتاع بسعادة مماثلة حين يستيقظان إذا كان بإمكان الغلام المتغزل به أن يرى سبباً لذلك:

يـا عاشـقين اصـطلحا فـي الكـرى فأصـــبحا غـــضبى وغـــضبانا

كـــذلك الأحـــلام غـــرّارة وربمـــا تـــصدق أحيانـــا

وجدت هذه المقطوعة ضمن قصائد " المؤنثات " في بعض النسخ المنقحة للديوان، وذلك على أساس أن كلمة " غضبى " مؤنثة، لكن الفعل " عاد " في البيت الأول يمكن ، من ناحية أخرى، أن يشير إلى غلام. ومهما يكن فإن التماثل والتضاد كليهما ممكنان في حالة الحلم كما أشار أبو نواس نفسه في آخر المقطوعة. فأبو نواس مهتم بشكل رئيسي بالعلاقة بين المحبين وأخيلتهم الشخصية، ثم هو ماض في استكشاف الإمكانات المتأصلة في الموتيف والتي تسير في ذلك الاتجاه. وهو - كعمر بن أبي ربيعة – يركز على المظهر الإنساني حسبما تظهره النصوص الأخرى من غزلياته.

أما الجيل التالي فلم يعد الشعراء فيه يتبعون هذا الخط كما أرى؛ فعوضاً عن تناول الشخصية الخادعة في التجربة السابقة، وعن السؤال : كيف يمكن أن تجلب هذه الشخصية؟ راح أبو تمام والبحتري يعكسان الوضع: أما الأول فقد اكتفى بمجرد مس الموضوع دون العودة الصريحة إلى " الخيالين " أو " الطيفين "؛ فالفكرة مضمنة - على أية حال – في بيت النهاية من مقطوعة غزلية قصيرة، حيث قدم أبو تمام نفسه في أبيات سابقة بعد أن ألمح إلى زيارة محبوبته الليلية: (15)

نـــمْ فمـــا زارك الخيـــال ولكنـــ ـــنك بـــالفكر زرت طيـــف الخيـــال

لقد تم اللقاء بناء على رغبة أبي تمام نفسه، وهذا يعني أن قدرته العقلية ما زالت فعالة حتى في أثناء نومه. ثم إن زيارته المتخيلة ورطت خيال المحبوبة دون أن يكون لهذه المحبوبة نفسها إرادة في ذلك.

ويؤيد هذا الاستنتاج بيتان من الشعر في النسيب سلطا الضوء على التجربة كما تلقاها أبو تمام. هذا بالإضافة إلى أن البيتين يحويان واحدة من ألمع الاستعارات التي صادفتها منذ تتبعي لموتيف الخيال: [16]

زار الخيـــال لهـــا لا بـــل أزاركـــه فكـر إذا نـام فكـر الخلـق لـم يـنم

ظبــي تقنــصته لمــا نــصبت لــه فـي آخـر الليـل أشـراكاً مـن الحلـم

تعتمد المبادرة هنا مرة أخرى على الشاعر: فقدراته العقلية والخيالية صورته على أنه صياد يلاحق الخيال، وأنه أوقع هذا الخيال أخيراً في شباكه عن طريق الحلم.

ومن المرجح –كما أعتقد – أن معالجة أبي تمام المتقدمة لهذا الموتيف قد أثرت في البحتري، الذي، بطريق الصدفة، استعمل الاستعارة ذاتها مختصرة ، ولكن بعد أن أزال السحر الكامن فيها على كل حال: "حتى تقنصه الكرى" [17].إلا أنه أضاف أيضاً بعض التنوعات الذكية على موتيف الخيال، تلك التنوعات التي غدت من تقليعاته المفضلة. هذا وإن معالجته لموتيف الطيف تستحق دراسة قائمة برأسها. [18]

أما ما يتعلق "بالخيالين" – موضوعنا الحالي – فهناك مقطوعتان فقط ذكر فيهما التعدد بصراحة، يضاف إليهما بيتان شعريان أشير فيهما إلى صورة التجربة الخاصة بالطريقة ذاتها، حيث برزت فكرة الخيالين مضمنة بوضوح.

أما المقطوعة الأولى فتحتوي على العودة الطبيعية إلى المتع التي يسعد بها الشاعر عن طريق الحلم الذي يتركه مقتولاً في منامه: " بالنعاس قاتله ". وهاأنذا أقتبس البيت الدال على الموتيف فقط.[19] .

ومــا زالــت الأحــلام حتــى التقــى خيـــالان بـــاغي نائـــل ومنيـــل

وعلى الرغم من عدم توضيح سبب الاجتماع فقد بدا جلياً أن خيال الشاعر أخذ المبادرة في تتابع الأحداث.

وأما المقطوعة الثانية فقد نقلتها كاملة لكونها قدمت مظاهر مثيرة. وقد أثار أحدها تعليقاً من الآمدي في كتابه: "الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري"[20]. وأشار إليه الشريف المرتضى في كتابه: "طيف الخيال". والأبيات المتعلقة بذلك تنتمي إلى النسيب، فبعد شكوى البحتري من البعد بينه وبين المحبوبة، قال: [21]

تَهــاجرُ أمــمٌ ، لا وصــلَ يخلطــُه إلا تــزاوُرُ طيفينـــا إذا هجـــدا

وقـد يُزيـرُ الكـرى مـن لا زيارتـه	**قصدُ، ويدني الهوى مِن بَعدِ ما بَعَدَا**
بتنـا علـى رِقبـة الواشـين مكتنفَـيْ	**صبابــةً نتــشاكى البــثَ والكَمــَدا**
إمـا سـألتَ بشخـصينا هنـاك فقـد	**غابــا، وأمــا خيالانــا فقـد شهـدا**
ولـم يعُـدْني لهـا طيـفُ فيفجـؤني	**إلا علـى أبْـرَح الوجــد الـذي عهـِدا**

تحوي هذه المقطوعة الشعرية معظم العناصر التي اعتدنا أن نجدها في الشعر العباسي المترجم حول الموتيف، ولكنها تشير أيضاً إلى اهتمام خاص على أساس أن كلمة " تزاور" في البيت الأول – مثلاً – توحي بالزيارة المتبادلة، وهذا يعني أن " الخيالين " يذهبان ويجيئان بحرية، على الرغم من أننا أعلمنا في البيت الأخير من المقطوعة أن ذلك عبارة عن اشتياق الشاعر وحزنه اللذين جلبتهما له التجربة.

وهناك إشارة أخرى إلى أن الفعل "هجدا"يعود فقط إلى الطيفين اللذين ذكرا سابقاً. ولكن السؤال المطروح هو: هل كانا نائمين؟

إن أبسط إجابة عن هذا السؤال جاء عن طريق إنحراف شعري، وهذا الانحراف عبارة عن فكرة طرأت كذلك عند نقاد العصر الوسيط الذين بذلوا ، في الوقت نفسه، جهوداً عظيمة كي يجدوا تفسيرات مقبولة لها. ومنهم الآمدي في كتابه:

" **الموازنة**" (22) حين ناقش البيت الأول. لقد كان أول تعليقاته قوله:

" كان الأفضل لو أن البحتري قال : " هجدنا " بدلاً من " هجدا "، ثم قدم الآمدي بعد ذلك تفسيراً لمدى تأثير أن يفسر " الطيف " على أنه مساو للنفس. وهاأنذا أقتبس قوله: " عندما أنام أراها في منامي، وهذا يعني أن روحي (نفسي) وروحها (نفسها) تلاقي إحداهما الأخرى (اجتمعا)، ويحدث الفعل ذاته عندما تكون هي نائمة، هناك ترى هي مثلما رأيت أنا ".

فالآمدي يضيف أن تعبير " طيفانا " يعني " نفسانا " وهو " محمولٌ على معنى نفسينا " وأنا أوجز مقولته بالآتي: ذلك أن النفس هي التي تتمثل ما تتمثله في اليقظة، كما في الآية القرآنية: ***الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها* (الزمر 42).**

وبهذا تشكل المساواة – التي أجد صعوبة في الإشارة إليها – عند الآمدي بين الخيال والنفس إشكالية كبرى. وبالمناسبة، فإن تفسيره هنا يذكرنا بمزج جميل المثير بين الروح والخيال.

انتقد الشريف المرتضى [23] تأويل الآمدي للبيت: حيث نقل أولاً ما قاله الآمدي حرفياً، ثم صرح بأن " هجدنا " لا شك في أنها أفضل من " هجدا " لكن الوزن لا يتناسب معها،، ولهذا يغدو البحتري مضطراً لأن يختار وزناً آخر.، وهو يشير إلى المعنى ذاته، ذلك أن " الطيفين " قد يُتخيلان في المنام ولكن ليس بالإمكان أن يُتصورا على أنهما نفسيهما نائمان.

ومن الممكن أيضاً أن يكون البحتري قد عنى في استخدامه كلمة "طيف" "صاحب الطيف". وهذا يعني أنه الشخص الذي يتخيل الطيف، أو أنه هو المتخيل في الطيف. وهذا – كما أضاف المرتضى – لم يكن بعيداً عن الاستعارة التي يمكن حدوثها في الشعر أو النثر. وتبع هذا نقد طويل لمقولة الآمدي بأن الطيف يتساوى مع النفس، تلك النفس التي تنام وتتخيل الأشياء في أثناء النوم واليقظة. وحسب المرتضى فإن تجاهل الآمدي أسئلة كهذه واضح، حيث عزا إمكانيات العيش، والإنسان المشاهد إلى شيء آخر.؛ ذلك أن كلمة "أي" المقتبسة من الآمدي يعود معناها فقط إلى الكائنات الحية "ذوات الأحياء" التي يقلل الله من نشاطها وهي نائمة. فالنفس، مثلما أشير من قبل، - والكلام للمرتضى – تستطيع أن تدل على كلامها باستخدام كلمة " ذات ".

ومهما كان احتمال النقاش مثيراً للجدل، فإنه قد يبعدنا بعيداً عما يمكن أن تكون عليه حقيقة الخيال؛ فالشريف المرتضى الذي كتب كل كتابه عن هذا الموتيف، يبدو أنه متشكك حيال تلك القضية، مثله في هذا مثل الشعراء والنقاد الآخرين.

إن ظاهرة الحلم البسيطة حول شخص ما ظاهرة غريبة ومعقدة في موتيف الخيال، ويمكن أن تضيف رؤية " الخيالين " إلى ذلك تشويشاً آخر. وهذا ما أشير إليه بنصي البحتري السابقين؛ " فالخيالان " لم يتناولا بوضوح فيهما ولكن المفهوم يجب أن يكون قائماً في خيال الشاعر: [24]

وأرى خيالـكِ لا يـزال مـع الكـرى   متعرضـــــاً ألقـــــاه أو يلقـــــاني

ويمكن أن توضع المسألة ذاتها بوضوح أكثر في البيتين الآتيين:

لا ينـــي يوفِـــد الحبيـــبَ إلينـــا   كـذبُ الطيـف - سـارياً - وغُـرورُه

زائـر فــي المنــام أســأل هــل أط   رُقُـــــه فـــــي منامـــــه أو أزورُه

ويمكن أن نترجمه: " أزور الطيف في منامه "، لكن الطيف لا يستطيع النوم، كما أشار النقاد أمثال الآمدي والمرتضى إلى ذلك. ثم من الذي يحلم بمن؟

هذا هو السؤال الذي يقف على تخوم الفنتازيا، وهو الذي يؤكد السحر لخصوصية التجربة.

قد ندهش بقوة حين ندرك أن الخيال يشكل قيمة كبرى، وأن المفكرين أمثال الشريف المرتضى يقدرون عالياً ميزاته إلى الدرجة التي يفضلون بها الوقوع في الحب في الأحلام على أن يفعلوا ذلك في الواقع. فالحب في الأحلام أكثر راحة وسلامة، كما أن فاعله لا يلام على التعلق به.

ما أخشاه هو أن ليس هناك نتائج محددة يمكن أن أسجلها في ورقتي هذه .وكل ما أستطيعه هنا هو أن أحاول تدوين بعض النقاط فقط:

من المحتمل أن بداية إدراك مفهوم " الخيالين " كانت في الفترة المتأخرة من العصر الأموي، والمتقدمة من العصر العباسي، على أساس أنه مفهوم يستلزم تقسيماً ثنائياً موزعاً بين الروح والجسد، ومؤكداً الانسجام مع التعاليم الإسلامية. وقد ذهبت أبعد من ذلك حين افترضت أن المزج بين تراثين: أحدهما شعري، والآخر ديني، قد تمّ بناء على رغبة معينة من أهل الحديث تهدف إلى نقض الأعراف التي كانت سائدة في عصر ما قبل الإسلام.

وأعتقد أيضاً أن مفهوم " الخيالين "أو " الطيفين " عقّد الموتيف، وأضاف إليه خصوصية التجربة الفانتازية. لقد سحر هذا المفهوم الشعراء العباسيين أمثال أبي نواس والبحتري اللذين اكتشفا إمكانات الموتيف الكامنة في شتى الاتجاهات.

لقد انخدعا وارتبكا ، لكنهما أصبحا في النهاية نحن.

ما العلاقة الحقيقية بين إنسان ما وطيفه (خياله، أو خيالها)؟ ثم أين يجتمع هو مع الطيف (الخيال)؟ أفي حلم الشاعر أم في حلم محبوبته؟ أو ربما في مكان محايد؟

أيجب أن يكون كلا المحبين نائمين في وقت واحد؟ أم بمقدور أحدهما أن يبعث خياله (طيفه) للآخر وهو يقظان؟

هناك مزيد من الأسئلة، لكن يبدو من الحذلقة ومن غير الملائم أن تسأل أيا منها ؛ ذلك أن الشعر- كما أشار البحتري في أبياته الشهيرة – لا يجب أن ينظر إليه من زاوية المنطق، لأن للشعر قوانينه الخاصة.[25]

كلفتمـــونا حـــدود منطقكـــم	**فالـشعر يغنـي عـن صـدقه كذبـه**
ولـم يكـن "ذو القـروح" يلهج بالـ	**منطـق، مـا نوعـه؟ ومـا سـببه؟**
والــشعر لمــحٌ تكفــي إشارتـــه	**ولـــيس بالهـــذر طُوِّلــت خطبـــه.**

Al-Khayalani-A Variation of the Khayal Motif

Abdul-Qadir Al-Rabbai, *Department of Arabic Language and Literature, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The Khayal or tayf is a "vision" of the beloved, appearing by night, a favourite motif of Arabic love poetry from the time of the Jahiliyya.

It was first conceived as a ghost, confronting the poet in the external world, not always welcome, and sometimes even terrifying him. Later, from the early 7th century onwards, it was referred to as a vision the poet sees in his dream, longed for and fulfilling his secret wishes, granting favours the beloved herself refused. This last aspect is dwelled upon with satisfaction especially in the Umayyad period. Dreaming about a person in love with is a universal experience, by no means limited to Arabic poets. Some of them realized and said so plainly in their verses that the appearance of the *Khayal* was the result of wishful thinking. [*Translator*]

قدم البحث في 2005/9/18 وقبل للنشر في 2005/11/15

الهوامش

1- The Kayal Motif in Early Arabic Poetry, " Orient"32,50-64.

2- ديوانه، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1970 قصيدة رقم 84، بيت 7. انظر أيضاً الأخطل، ديوانه، تحقيق صالحاني، 1969، ص. 129.

3- ديوان العجاج بن رؤبة، تحقيق آلورد، بيروت 1903، ق. رقم 43 بيت 1

4- ديوانه بتحقيق ليال، طبعة كيمبرج 1919 ق. رقم 1 بيت 1 ، والترجمة ص44 .

5- ديوانه، تحقيق أحمد فراج، القاهرة، 1958 ، ق. رقم 307 بيت 55 .

6- تحقيق الألباني والصيرفي، القاهرة، 1962، ص99 وما بعدها.

7- انظر ديوان أبي تمام تحقيق ش. عطية، بيروت، 1960، ص408.

8- انظر ديوان جميل، تحقيق حسن نصار، القاهرة، 1967، ص51 بيت2.

9- ديوانه بتحقيق محمد بن عاشور، القاهرة، 1950، ج1 ص 108.

10- ديوانه السابق، ج4، ص 166، " وكامل البيت:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم

انظر ديوانه بتحقيق محمد الطاهر ابن عاشور، 1976، تونس، ج4 ص187."

(المترجم)

11- ديوانه، تحقيق شولر (G.Schoeler) فيسبادن (Wiesbaden) 1972 ، ج4 رقم 35 بيت 1.

12- ديوان أبي تمام (مرجع سابق) ص 385 بيت 2.

13- ديوانه (مرجع سابق) رقم 168. وموضوع شجار المحب في الحلم تناوله عمر بن أبي ربيعة (ديوانه، تحقيق شفارتس ، P.Schwarz ، ليبزك 1901 – 1909 رقم 378 بيت 1 وما بعده

14- ديوان أبي نواس السابق، ج 4 رقم 318.

15- انظر ديوانه السابق ص 409 بيت 5 .

16- السابق، ص 237 بيت 6-7.

17- ديوان البحتري، تحقيق الصيرفي، رقم 684 بيت 4 .

18- "هناك رسالة ماجستير أجيزت في جامعة اليرموك- إربد- الأردن بعنوان: الطيف في شعر البحتري ، وكانت بإشرافي ". (المترجم)

19- انظر ديوان البحتري السابق رقم 710 بيت 4.

20- الموازنة بتحقيق أحمد صقر، 1380هـ/ 1961م.

21- انظر ديوانه السابق رقم 285، البيت 5 وما بعده.

22- انظر الموازنة ج2 ص 182.

[وقول الآمدي هو الآتي: " لوكان(البحتري) قال: إلا تزاور طيفينا إذا هجدنا كان عندي أجود؛ فكأن المعنى إذا هجدت رأيتها في النوم، فكأن نفسي ونفسها اجتمعا، وكذلك إذا هجدت رأيتها ترى مثل ما رأيت، ويكون " طيفينا " محمولاً على " نفسينا " لأن النفس هي التي ترى ما ترى في النوم، وهي التي تتمثل أيضاً ما تتمثله في اليقظة ، وقد يسوغ مع هذا أيضاً قوله: " إذا هجدا "أن يريد النفسين، لأن نفس الإنسان هي التي تنام كما قال الله عز وجل : * **والتي لم تمت في منامها** * الزمر / 42] . (المترجم).

23- انظر طيف الخيال السابق ، 49 وما بعدها.

24- انظر ديوانه السابق رقم 838 بيت 9.

25- انظر ديوان البحتري السابق ، رقم 68 الأبيات 14-16 .

المصادر والمراجع (من عمل المترجم)

القرآن الكريم

الآمدي، **الموازنة** بتحقيق أحمد صقر، 1380هـ/ 1961م.

الأخطل، **ديوان الأخطل**، تحقيق صالحاني، 1969.

البحتري، **ديوان البحتري**، تحقيق الصيرفي.

ابن برد، بشار، **ديوانه** بتحقيق محمد بن عاشور، القاهرة، 1950.

ابو تمام، **ديوان أبي تمام**، تحقيق ش. عطية، بيروت، 1960.

ابن ذريح، قيس، **ديوانه**، تحقيق أحمد فراج، القاهرة، 1958.

ابن رؤبة، العجاج، **ديوان العجاج بن رؤبة**، تحقيق آلورد، بيروت 1903.

ابن ابي ربيعة، عمر، **ديوان ابن أبي ربيعة**، تحقيق شفارتس ، P.Schwarz ، ليبزك 1901 – 1909.

العذري، جميل، **ديوان جميل**، تحقيق حسن نصار، القاهرة، 1967.

ابن قميئة، عمرو، **ديوانه بتحقيق ليال**، طبعة كيمبرج 1919.

كثير، **ديوان كثير**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1970.

المرتضى، الشريف، **طيف الخيال**، تحقيق الألباني والصيرفي، القاهرة، 1962

ابو نواس، **ديوان أبي نواس**، تحقيق شولر (G.Schoeler) فيسبادن (Wiesbaden) 1972.

Subscription Form

Arab Journal for Arts

A Refereed Academic Journal

Published at Yarmouk University, Irbid, Jordan by the Society of Arab Universities Faculties of Arts, Members of AARU.

قسيمة اشتراك

المجلة العربية للآداب

مجلة علمية محكّمة

تصدر في جامعة اليرموك، اربد، الأردن، عن جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية.

Name: .... :الاسم

Address: .... :العنوان

P.O. Box:.. :ص.ب

City & Postal Code: .... :المدينة والرمز البريدي

Country: .... :الدولة

Phone:.. :هاتف

Fax: .... :فاكس

E-mail:.. :البريد الإلكتروني

No. of Copies: .... :عدد النسخ

Payment:.. :طريقة الدفع

Signature:.. :التوقيع

ترسل الشيكات المصرفية مدفوعة لصالح "جمعية كليات الآداب، كلية الآداب، جامعة اليرموك، اربد، الأردن."

Cheques should be paid to The Society of Arab Universities Faculties of Arts, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

I would like to subscribe to the Journal — أرغب الاشتراك بالمجلة

For — **لمدة**

- ▢ One Year — سنة واحدة
- ▢ Two Years — سنتان
- ▢ Three Years — ثلاث سنوات

أسعار الاشتراك السنوي
One Year Subscription Rates

خارج الأردن Outside Jordan	داخل الأردن Inside Jordan	
7 دولار أمريكي US $ 7	3 دنانير JD 3.00	الأفراد Individuals
10 دولار أمريكي US $ 10	5 دنانير JD 5	المؤسسات Institutions

سعر النسخة الواحدة (دينار أردني)
One Issue Price

Standard Price JD 2.000 — سعر البيع العادي 2.000 ديناران

Students JD 1.300 — سعر البيع للطلبة 1.300 دينار

40% Discount for Bookshops — خصم 40% للمكتبات ومراكز البيع

Correspondence

Subscriptions and Sales:

Secretary General
Faculties of Arts Society
Editor – in -Chief
The Society of Arab Universities Faculties of Arts
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
Tel . 00962 2 7211111 Ext. 3555
Fax. 00962 2 7274725

المراسلات

مراسلات البيع والاشتراكات:

الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب.
رئيس تحرير "المجلة العربية للآداب"
كلية الآداب – جامعة اليرموك، اربد الأردن
هاتف: 00962 2 7211111 فرعي 3555
فاكس: 00962 2 7274725

WIET, Gaston (trad), Journal d'un bourgeois du Caire. Chronique d'Ibn lyas, Librairie Armand Colin, 1945.

WIET, Gaston (trad.), Le Hvre des jours^ souvenir d'enfance d'un Egyptien de Taha Hussein, traduit de Tarabe, préface d'André Gide, 5e édition, Paris, Gallimard, 1947.

.ZAKARYA, Zakarya H., Al-mustashriqun wal-Islam, Al Majles al-'Ala Lilshun al-Islamya, el Cairo, 1965.

ZAKI PACHA, Ahmed (trad.), Le Livre de la Couronne (kitab el Tadj) de Djahiz, Le Caire, Imprimerie Nationale, 1914.

Documentos del Ministerio de Asuntos Exteriores de Francia

MAE, "La « Palestine » 15 août 1922", Palestine 1918-1929, docs. 34-37, la Presse.

MAE, "La «Palestine» de 14 juillet 1922", Palestine 1918-1929, docs. 34-37, la Presse.

MAE, "La «Palestine» de 21 juillet 1922", Palestine 1918-1929, docs. 34-37, la Presse.

MAE, "La « Palestine » de 8 août 1922", Palestine 1918-1929, docs. 34-37, la Presse.

MAE, Palestine, 1918-1929, Documentation imprimée, n° 30: "Sionisme, Hygiène, Education, Statistique".

OESTRUP, J. (trad.), Contes de Damas, Brille, Leyde, 1897.

IBN SINA, Introduction a Avicenne; Son épître des définitions, traduction avec note, préface de Miguel Asin Palacios, traduction de A. M. Goichen, Tours, Imprimerie Arrault, Paris; Desclée de Brouwer et Cie, 1933-1934.

IBN SINA (AVICENNE), La Métaphysique du Shifa, traduction faite sur texte arabe de 1303 H., par le Père M.-M. Anawti, O. P. Montréal, Institut d'Etudes Médiévales, 1952.

FARABI [AL], Muhammad ibn Muhammad, Idées des habitants de la cité vertueuse (Ara 'ahal al-madina al-fadila), traduction par le P. Antonin Jaussen, Yousef Karam et J. Chlala, le Caire, Imprimerie de TIFAO, 1949.

PATAI, Raphael, The Arab mind, New York, Charles Scribner's Sons, 1973.

PÉRIER, Jean (trad.), "Les 127 Canons des Apôtres", texte arabe en partie inédit, en Patrologia Orientalis, t. VIII, Paris, Fermin-Didot et Cie, 1912.

QARIB ALLAH, Hasan A., Dawr Al-Ghazzali filfikr, Le Caire, Matba'at al-Amana, 1978.

RADU, Basile (trad.), "Voyage du Patriarche Macaire d'Antioche", en Patrologia Orientalis, t. XXII, Paris, Librairie de Paris: Fermin Didot, 1930.

SAUVAGET, Jean (trad.), Ahbar as-sin wa l-hind, Relation de la Chine et de l'Inde, rédigée en 557, texte établi, traduit et commenté, Paris, Société d'édition "Les Belles Lettres", 1948.

SAUVAGET, Jean (trad.), Historiens arabes, pages choisies. Paris, Maisonneuve, 1946.

SAUVAGET, Jean, Introduction a l'histoire de l'Orient musulman, éléments de bibliographie, Paris, Édition de Cl. Caben, Adrien- Maisonneuve, 1961.

SBATH, Paul; AVIERINOS, Christo D. (trads.), Deux traites médicaux, Le Caire, IFAO, 1953.

VENTURE DE PARADIS (trad.), Passe-temps chronologique et historique ou coup d 'accueil récréatif sur le règne des Kalifs, des rois et des sultans d'Egypte de Yusuf. B. Abi Baker al-Karim Mar'i, Le Caire, Imprimerie Nationale, 1896.

VV. AA., Mémorial, édité par Louis Robert,. Damas, Institut Français de Damas, 1954.

GOICHEN, A.-M. (trad.), Le livre des directives et des remarques (Kitab al-isarat wa l-tanbihat) d'Ibn Sina, Beyrouth, Commission Internationale pour la traduction des chefs d'œuvres, Paris, Librairie Philosophique J. Vrin, 1951.

GOICHEN, A.-M. (trad.), Réfutation des matérialistes de Jamal ad-Din Al-Afghani, traduction sur la 3eme édition, Paris, Paul Geuthner, 1942.

GUIGES, P. (trad.), "Le livre de l'Art du traitement de Najm ad-Dyn Mahmoud", en Patrologia Orientalis, Beyrouth, Chez l'auteur, 1903.

HACHEM, Hikmat (trad.), Critère de l'Action (Mizan al-'Amal), traite d'éthique psychologique et mystique d'Al-Ghazzali, Paris, Maisonneuve, 1945.

JAUSSEN, Antonin; KARAM, Youssef; CHLALA, J. (trads.). Idées des habitants de la cité vertueuse (Ara' ahl al-madina al-fadila) d'Al-Farabi, Le Caire, Imprimerie de l'INFO, 1949.

KASIMIRSKI, M. (trad.), Le Koran, i. 1, Paris, Bibliothèque Charpentier, 1952.

KEDDIE, N. R., Sayyed Jamal ad-Din "al-Afghani". A political biography, California, University of California Press, 1972.

LAOUST, Henri (trad.), Le Califat dans la doctrine de Rasid Rida, traduction annotée d' "al-Hilafa au al-Imama al-'uzma (Le Califat au l'lmama suprême), tome VI, Damas, Institut Français de Damas, 1938.

L AOUST, Henri (trad.). Le traite de droit public d'Ibn Taimiya, Beyrouth, Imprimerie Catholique; Institut Fran9ais de Damas, 1948.

LAURENS, Henry, Le royaume impossible, la France et la genèse du monde arabe, Paris, Armand Colin, 1990.

MASSIGNON, Louis, "Le Christ dans les évangües, selon Ghazali", en Revue des Études Islamique, Cahier I, Paris, Paul Geuthner, 1932, pp. 523-536.

MASSIGNON, Louis (trad.), Akhbar Al-Hallaj, Paris, Librairie Philosophique J. Vrin, 1975,

MEISSA, M.-S. (trad.), Le Message du pardon D'Abou' l'Ala de Maarra, préface de W. Mar?ais, Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1932.

MONTONDON, George (trad.), Allah est Grand ! Décadence et résurrection du monde islamique de Mohammad Essad Bey, París, Payot,1937.

98 De Régla, *Ibid*, p. VIII.

Bibliografía

ARTIN PACHA, Yacoub (trad.), La conversion du Calife el-Hakim au Christianisme, Le Caire, Typographie Boehme & Anderer, 1894.

BADAWI, Abdel-Rahman, Mu'alqfat Al-Ghazzali, El Cairo, Al-majles al-'Ala li Ri'ayet al-Adab wal 'Ulum al-Ijtima'yya, 1961.

BADAWI, 'Abd el-Rahman, Shakhsyyat qaliqafil Islam., El Cairo, Makataba al-Nada al-'Arabiyya, 1946.

CHEBLI, P. (trad.), "Sévère Ibn-Al-Moqaffa' (Evêque d'aschmounain). Réfutation de Sa'ad Ibn Batriq (eutychius)", en Patrologia Orientalis, T. III, Paris, Librairie de Paris: Fermin Didot, 1909.

CHEBLI, P. (trad.), "Réfutation de Sa'ad Ibn Bitriq (eutychius) de Sévère Ibn-Al-Muqqaffa", en Patrologia Orientalis, Paris, Librairie Paris: Fermin Didot, 1909.

DE REGLA, Paul (trad.), El kitab des Lois Secrètes de l'Amour de Khoja Omer Heleby, Paris, George Garre, 1898.

DELISLE, Jean; WOODSWORTH, Judith (dir.), Les traducteurs dans l'histoire, Ottawa, Les Presses de l'Université d'Ottawa, édition UNESCO, 1995.

DIB, ʿAbd al-ʿAthim, Al-mustashriqun wal-turath, Al-Mansura, Dar ʿal-Wafa', 1988.

Encyclopédie de I'Islam, Nouvelle Édition, t. 1, Leide, E. J. Brill; Paris, Maisonneuve, 1960.

ESSAD BEY, Mahomet 571-632, traduit par Jacques Marty, Paris, Payot, 1934.

FRANGIS, Raymond (trad.), L'appel de Karaouan de Taha Hussein, Paris, Denoël, 1949.

GAULMIER, Jean (trad,), La zubda kachf al-mamalik de Khalil az-Zahiri, traduction inédite de Venture de Paradis avec une notice sur le traducteur, Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1950.

GOGUYER, A. (trad.), La 'Alfiyya d'ibn-Malik, suivie de la Lamiyya du même auteur, Beyrouth, Imprimerie des Belles-lettres, 1888.

54 Keddie, *Ibid*, p. 180.
55 Goichen, *Réfutation…*, p. 3.
56 Véase Goichen, *Ibid*, nota 1, p. 6.
57 Goichen, *Ibid*, pp. 11 y 13.
58 Véase Laurens, *Le royaume impossible...*, p. 153.
59 Laurens, *Ibid*, p. 12.
60 Badawi, *Shakhsyyat qaliqa...*, p. 66.
61 Consultamos la edición del año 1975 de esta obra por no haber podido encontrar la versión de nuestra época: véase Massignon, *Akhbar Al-Hallaj...*
62 Véase repertorio.
63 Badawi, *Shakhsyyat qaliqa...*, pp. 70-71.
64 Laoust, *Le califat...*, p. 1.
65 Loust, *Ibid*, p. 2.
66 Laoust menciona nombres de personas escasamente familiarizados en la islámica. Llamamos la atención a esta observación porque no hemos podido saber de quién hablaba exactamente el traductor, ni siquiera habiendo consultado la biografía disponible del Islam.
67 Laoust, *Le Califat…*, pp. 8-9.
68 Montandon, *Allah est grand ! ...,* p. 7.
69 Laoust*, Le Califat…*, p. 2.
70 Goichen, *Réfutation...*, p. 46.
71 Zaki Pacha, *Le livre* …, p. I.
72 Goichen, *Réfutation* …., p. 47.
73 Wiet, *Le Livre des Jours* …, p. II :
74 Wiet, *Ibid*, p. 118.
75Wiet, *Ibid*, p. III.
76 Wiet, *Ibid*.
77 Wiet, *Ibid*, p. IV.
78 Las clases altas del mundo árabe solían dar una educación francesa a sus hijos. En el Líbano, esta educación llegaba a aproximadamente todas las clases.
79 Francis, *L'appel...*, p.8.
80 Francis, *Ibid*, pp. 18-19.
81 Francis, *Ibid*, p. 21.
82 Patai, *The Arab mind...*, pp. 225-226.
83 Goichen, *Réfutation…*, p. 4.
84 Oestrup, *Contes de Damas...*, p. 1.
85 Oestrup, *Ibid*, pp. 1-2.
86 Massignon, *Akhbar Al-Hallâj...*, Introduction p. 6.
87 Chébli, "Sèvere...", en *Patrologia Orientalis...*, p. 125.
88 Périer, "Les « 127 canons…", en *Patrologia Orientalis…*, p. 564.
89 Chébli, "Sèvere...", en *Patrologia Orientalis...*, p. 125.
90 Guiges, "Le livre de l'Art...", en *Patrologia Orientalis…*, p. XIII.
91 Sbath; Avierinos, "Deux traités ...", en *Patrologia Orientalis…*, p. 7.
92 Périer, "Les « 127 canons…", en *Patrologia Orientalis…*, p. 566.
93 Artin Pacha, *La conversión...*, p. 3.
94 Radu, "Voyage du Patriarche...", en *Patrologia Orientalis…*, p. 3.
95 Radu, *Ibid*, p. 519.
96 Périer, "Les « 127 canons…", en *Patrologia Orientalis…*, p. 553 y el mismo autor, "Les perles précieux...", en *Patrologia Orientalis...*, p. 593.
97 De Régla, *El kitab...*, p. VI.

25 Como prueba del impacto realizado por los pensadores y escritores franceses en la cultura árabe, podemos tomar como modelo una historia de Argelia, para ver de qué manera los sufíes resistían contra el movimiento de ‘Abd Al-Hamid Ibn Badis (1889-1940), fundador del movimiento reformista ortodoxo en Argelia. Este movimiento religioso islámico apelaba a conservar la identidad islámica, a reestablecer la doctrina de la *Salafiyya* inspirada en las opiniones de Rashid Rida y a construir un nacionalismo árabe fuerte que venciera a los colonialistas. Sigue siendo considerado en Argelia como un santo o una leyenda. Pero los orientalistas franceses, en sus estudios sobre del Norte de África, sus obras y sus publicaciones, influyeron en los otros sufíes que fueron utilizados contra la resistencia de Ibn Badis. El profesor Mahmoud Qasem, ex-decano de la Facultad de Dar al-‘Ulum, demostró el alcance de esta operación en su estudio sobre la influencia de las orientaciones intelectuales francesas que manipulaban la mentalidad de los cultos argelinos y de todo el Norte de África, mientras ensalzaban algunas escuelas “sufíes” desde el punto de vista de la ortodoxia islámica. Citado por Dib, *Al-mustashriqun*…, p. 17.

26 Sauvaget, *Relation...*, p. XXXIV.

27 VV.AA., *Mémorial…*, p. XIX.

28 Wiet, *Journal d’un bourgois...*, Avant propos s. n.

29 Nos extraña que aparezcan en esta obra dos como traductores; Venture de Paradis y Gaulmier.

30 Gaulmier, *La zubda...*, p. LIX.

31 Citada por Gaulmier, *Ibid*, p. LVII.

32 Sobre el autor original del manuscrito (813/1410-872/1468), hay que mencionar que su padre era mameluco según esta traducción, p. LII.

33 Gaulmier, *La zubda…*, p. LIX.

34 Venture de Paradis, *Passe- temps*…, p.1.

35 Laurens, *Le royaume impossible...*, p. 151.

36 Goguyer, *La ‘Alfiyya...*, p. X.

37 Goichen, *Livre des Directives...*, p. 21. Otros casos de Ibn Sina son en sus obras *Introduction à Avicenne; Son épître des définitions* de 1933, *La Métaphysique du Shifa'* de 1952 y de Al Farabi como en el caso de su obra *Idées des habitants de la cité vertueuse* (*Ara'ahl al-madina al-fadila*) de 1949 (Véase el repertorio).

38 Jaussen; Karam; Chlala, *Idées des habitants…*

39 Kasimirski, *Le Koran...*, p. I.

40 Marçais, *Le Message...*, pp. I-II.

41 Laoust, *Le traité de droit...*, p. X.

42 VV. AA., *Mémorial…*, p. XVI.

43 Laurens, *Le royaume impossible…*, pp. 146-147.

44 MAE, Palestine, 1918-1929, Documentation imprimée, nº 30: “Sionisme, Higiène, Education, Statistique”.

45 MAE, “La « Palestine » de 21 Juillet 1922”, Palestine 1918-1929, docs. 34-37, la Presse.

46 MAE, “La « Palestine » de 14 Juillet 1922”, Palestine 1918-1929, docs. 34-37, la Presse.

47 MAE, “La « Palestine » de 8 Août 1922”, Palestine 1918-1929, docs. 34-37, la Presse.

48 MAE, “La « Palestine » 15 Août 1922”, Palestine 1918-1929, docs. 34-37, la Presse.

49 Patai, *The Arabs...*, p. 133.

50 Citado por Laurens, *Le royaume impossible...*, pp. 144-145.

51 Goichen, *Réfutation…*, p. 1.

52 Goichen, *Ibid*, p. 15.

53 Keddie, *Sayyed Jamal…*, p. 357.

في المنطقة وأخبار ثورة العامة وصراعها مع حكومات البغي أو مع حكومة الدول الإمبريالية المنافسة، رابطا كل هذا بالتأثير الرجعي للدين الإسلامي ومبرزا لهذا الهدف الصراعات الدينية بين المذاهب الإسلامية المختلفة في المنطقة مثل السنة والشيعة والمتوالية والدروز... الخ. إن عملية النقل المنتخبة هذه تنقل إلى نفسية القارىء ذلك الجو العام العربي المشحون بعقيدة مبنية على التناحر والتخالف والمكايدة الدينية، كل ذلك يسوقنا إلى الأيديولوجية الإمبريالية التي تجر بالقارىء الغربي أن يستنتج أن الوجود الغربي في المنطقة وكان وسيكون في صالح تلك الدول المتأخرة عن ركب الحضارة ومبررا لتدخل بلادهم في شؤون تلك الدول وفي سياساتها، ومن البديهي أن نرى هذا الاهتمام لدى الإمبريالية بعد أن ساد في أوروبا الاتجاه العلمي في التحليل السياسي والأدبي وبدأت معه الشعوب الأوروبية بمحاسبة حكوماتها والحديث عن حقوق الإنسان والدعوة إلى سحب سيطرة حكوماتها على الدول الفقيرة في العالم.

* **The paper was received on April 9, 2005 and accepted for publication on June 16, 2005.**

Footnote

1 Sauvaget, *Introduction à l'histoire*..., p. 6.
2 Fechas dadas por *Encyclopédie de l'Islam*.
3 Laurens, *Le royaume*..., p. 152.
4 Essad Bey, *Mahomet*..., préface s.n.
5 Essad Bey, *Ibid.*
6 Delisle, *Les traducteurs*...
7 Véase capítulo II, nota al pie nº 55.
8 Goichen, *Réfutation*..., p. 1.
9 Se puede consultar numerosas obras sobre las condiciones de la época de Al-Gazzali, particularmente Qarib Allah, *Dawr Al-Ghazzali*..., sobre todo el primer capítulo.
10 Todas son escuelas y sectas religiosas nuevas en esa época.
11 Hachem, *(Mizan al-A'mal)*..., p. VIII.
12 Sauvaget, *Historiens arabes*..., p. 87.
13 Para ver esta gran cantidad de estas obras véase Badawi, *Mu'alafat Al-Ghazzali*...
14 Traducido al latín, al español y al hebreo.
15 Traducido al persa, partes al francés, otras al alemán y al urdu.
16 Traducido al inglés y al alemán.
17 Traducido al hebreo y al inglés.
18 Traducido al persa y al turco.
19 Massignon, "Le Christ dans les évangiles...", en *Revue des Études Islamiques*…
20 Esta fecha demuestra que esta obra fue traducida antes de 1932. La versión que tenemos no es más que una reedición, así que esta obra fue muy demandada por el público francés.
21 Massignon, "Le Christ dans les évangiles...", en *Revue des Études Islamiques*…, p. 534.
22 Zakarya, *Al-mustashriqun*..., pp. 191-197.
23 Gaston Wiet opina que la mayoría de los historiadores europeos estaban a favor de esta idea hasta la Primera Guerra Mundial: la civilización europea no es una continuación de la civilización griega hasta la Revolución y eso es la causa del retraso de Europa.
24 La dinastía árabe islámica que gobernó después de los cuatro califas, compañeros del Profeta, hasta que cayó a manos de los abasíes.

incontestable et à la connaissance de vérités absolues m'ont toujours fait hausser les épaules"[98].

Hay que introducir una observación interesante que revela esta cita, a pesar de que no es central en nuestro estudio pero podría conducir a algún estudio parecido, y es que los estadounidenses, a principios del siglo XX, empiezan desde esta época a acompañar el "Yo" occidental como pueblo civilizado que parece que tienen las mismas bases de una imagen semejante a la de los occidentales europeos.

Hay que mencionar en la conculsión que la guerra cultural contra el semitismo que había declarado el gran orientalista del siglo XIX, en su lección inaugural en el Collége de France que no se terminaría hasta que Europa realizara su sueño civilizador en el Oriente Medio. Este sueño traduce un intercambio de papeles: Europa se impondría con su hegemonía cultural en la tierra de los otomanos, mientras que los musulmanes y los árabes mismos acogerían con buena voluntad a los salvadores y civilizadores franceses.

En clara coincidencia con el interés civilizador, cuando no imperialista, los productores de las operaciones traductivas parecen empeñados en sacar a la superficie la historia conflictiva a lo largo de la historia islámica y la realidad contemporánea agitada y alborotada, al mismo tiempo que intentaban demostrar que las raíces humanas y religiosas europeas se encuentran en la tierra de la Biblia.

من الطوبية إلى الفوبيا: نظرة مُحورة

أحلام صبيحات، قسم الترجمة، كلية الآداب، جامعة الإسراء الأهلية، عمان، الأردن.

ملخص

العالم العربي والشرق الأدنى حيث الأرض المقدسة التي ولد فيها المسيح وحيث البادية العربية المليئة بالرجولة والحمية والشجاعة والحب العذري كانت حتى أواسط القرن التاسع عشر هي تلك الطوبية والعالم المثالي والمدينة الفاضلة التي لم يكتب عنها أفلاطون بل دونها المستشرقون الغربيون بطريقتهم وأسلوبهم ومغامراتهم التي عاشوها وخطوها بأيديهم في أدب رحلات القرن التاسع عشر، والتي دفعت المستشرقين منذ القرن السابع عشر إلى ترجمة كتب الحب والخيال العربي مثل ألف ليلة وليلة التي ترجمها أنطوان جالون مؤكدا على ذلك التصور المثالي لأرض المسيح. إلا أن الأعمال التي نقلها مستشرقو القرن التاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين تحت ظل الإمبريالية الأوروبية في المنطقة تكثر فيها التعليقات والمقدمات التي نراها في حواشي الكتب والمراسلات الدبلوماسية مظهرة صورة للظلم والطغيان العثماني الجاثم

Pero, mientras los traductores orientales como Paul Sabth, Nicolas Kalil Bey, Eskendar Ammoun Afandi, Ya'qub Artin Pacha, Youssef Karam y J. Chlala, de Egipto y de Siria, intentan revelar el papel tan importante del Cristianismo en Oriente y en las administraciones islámicas o bajo la persecución de la "*Sublime Porte*"[95], los franceses, entre ellos Périer, representante del Institut Catholique de Paris, estereotipó la historia de los cristianos en una imagen estable de la "*liturgie*" y de la ley "*primitive*"[96] de las Iglesias de Siria y de Egipto, volviendo una vez más a la oposición civilización-primitivismo heredada del siglo XIX.

Hay que añadir la opinión objetiva de un traductor tan destacado como Paul de Régla en su traducción *El kitab des lois secrètes de l'Amour* (1893), fecha clave de estudio en nuestra época porque, por un lado, no es un momento de gran producción literaria como habíamos mencionado en otra ocasión y, por otro lado, porque las tradiciones sociales dominadas por la religión no permitían publicar una obra sobre un tema tan abierto. Este traductor resume en su introducción lo que son los principios de la identidad francesa y su proyección sobre estos pueblos en lo siguiente:

> "*(...) il ne faut pas voir les choses et les êtres du monde musulman à travers les idées et les préjugés de notre éducation occidentale, il ne faut pas étudier ce monde, si différent du nôtre, ni avec nos idées civilisatrices modernes, ni avec nos passions, ni avec les lois de notre civilisation, ni sous l'empreinte des bases morales que nous sommes habitués à considérer comme parfaite et absolument pures.*
>
> *Il ne faut pas davantage juger de la morale musulmane par la morale catholique. Agir ainsi ce serait vouloir juger des couleurs à travers le prisme de l'imagination d'un aveugle*"[97].

En esta cita el traductor resume ante nuestros ojos como lectores y estudiosos de esta época todos los criterios con los que los lectores debían mirar y juzgar el Oriente Medio musulmán: la mirada civilizadora superior, la educación controlada por sentimientos y emociones occidentales, el "nosotros cristianos" contra "ellos musulmanes".

El mismo traductor declara en otro párrafo cuáles son exactamente estos poderes que intervinieron en la región al mismo tiempo que nos representa el "Yo" de estos poderes frente al "Otro" diciendo:

> "*Je n'hésite pas à le dire: les peuples occidentaux et américains, les peuples dits civilisés, me font l'effet, avec leur prétention d'avoir morale exclusive, absolue, supérieure aux principes sociaux et religieux qui régissent les relations des individus dans les autres familles humaines, de ces pharisiens de la scolastique moderne, dont les prétentions à un savoir*

> "*La langue de Sévère est claire et classique; mais son style est loin d'avoir les qualités de celui des auteurs musulmans, ou même des chrétiens tels que Théodore Abi-Qarrah, Elia Abi-Halim, El-Kindi, etc.: mais c'est un grand mérite d'avoir su manier une langue étrangère, en somme, aux chrétiens, quoiqu'ils la parlent, et dont les Arabes à cette époque révélaient difficilement les secrets aux infidèles*"[89].

El traductor recuerda también que "*les médecins arabes ont été, grâce aux chrétiens d'Orient leurs maîtres, les intermédiaires entre les anciens et le moyen âge*"[90]. Algunos médicos cristianos ejercieron una gran influencia en los califas, como es el caso de Abul-Hasan Sahlan ben Utman ben Kaysan que era "*un habile médecin double d'un savant. Il avait de l'influence auprès des Califes égyptiens*"[91]. Eran tan fieles como los coptos de la Edad Media "*laïques ou ecclésiastiques, occupaient des postes de secrétaires dans les divers bureaux du gouvernement égyptien*"[92]. Precisamente para mostrar la influencia del Cristianismo, tradujeron las historias más conocidas de las conversiones orientales al Cristianismo, siendo el mejor ejemplo la conversión de un califa musulmán en cristiano[93]. Los traductores se conforman con presentar sólo la traducción con poquísimas notas al pie que no añaden nada más a la imagen dada de esta etapa.

Efectivamente, los otros traductores, que no son franceses, no vacilan en declarar la injusticia en la que vivían los cristianos orientales bajo dominio otomano y el socorro que piden a los gobernadores del otro lado más civilizado del mundo:

> "*Comme l'a décrit son fils* [del autor de este manuscrito]*, la situation était intolérable: les sommes empruntées augmentaient de plus, par suite des intérêts, d'ailleurs le patriarche ne trouvait personne qui pût l'aider à résoudre ce problème. A l'intérieur de son patriarcat il ne pouvait compter sur ses ouailles, étant donné la domination turque, les impôts élevés que la population payait, l'avidité des gouverneurs et des pachas, et d'autres motifs peut-être que son fils ne signale pas. Il fallait donc un secours urgent et considérable des chrétiens d'Europe, des princes qui excellaient encore par leur générosité issue de l'application de la doctrine chrétienne, princes qui, nombre de fois, avaient soutenu l'Église d'Orient par l'envoi de sommes importantes*"[94].

Se trata de afirmar ante todo el público y toda Europa dos cosas: el despotismo otomano y los conflictos provocados por los pachas en los gobiernos mamelucos, y la necesidad de una intervención francesa y europea en la región, exigida por los autores cristianos oprimidos por la persecución otomana, el gran enemigo no sólo de los cristianos sino también de los europeos durante siglos.

son "*naturellement réservés et soupçonneux, se méfient toujours de l'étranger*", de forma que resulta "*assez facile de choquer leurs sentiments dans quelques points de religion*" [85]. Para este traductor, cuando el conservadurismo tradicional se encuentra con el conservadurismo religioso que caracteriza a los sirios, que tardaron más que los egipcios en emanciparse de los otomanos y no tenían líderes civilizadores como Muhammad Ali Pacha, les convierte en un pueblo desagradable a los ojos de los europeos contrariamente a los egipcios que ya se abrieron al gran cambio para igualarse con los europeos.

Por ello, la mayoría de los autores modernos (musulmanes) traducidos son egipcios, más que sirios. Los autores sirios de esa época, al contrario, manifestaban su oposición constantemente contra Francia y su protectorado, porque privilegiaba a los cristianos en el Líbano y les había convertido en "súbditos" europeos bien protegidos por Francia. Por tanto, los autores más traducidos de Siria serán los cristianos como veremos a continuación.

3. El Oriente Medio cristiano

Las únicas fuentes sobre la imagen de los cristianos son las de la *Patrologia Orientalis* y los textos traducidos por las instituciones.

Hay que empezar diciendo que, a través de las introducciones presentadas por los traductores en las varias traducciones del Corán, al lector se le hace notar la influencia judía y cristiana en el texto coránico, lo que los traductores llaman un "préstamo" hecho por el Profeta. L. Massignon afirma, pese a no haber traducido el Corán, que en él "*l'inspiration biblique se trouve subsister, par via negativa*"[86]. Ello no deja de sorprender al creyente cuando considera que Mahoma, según el texto coránico mismo, era iletrado, sin conocimiento ninguno sobre las religiones y las naciones anteriores a él.

Los traductores de este género no eran todos franceses, como si no se interesaran suficientemente por la traducción religiosa. El hecho de que estas traducciones fueran publicadas en la lengua francesa no significa que existiera un interés considerable, porque el francés entonces era la lengua internacional y Francia era uno de los países europeos que patrocinaba la publicación literaria.

Los traductores franceses consagrados a esta traducción religiosa fueron Blachet y Basset. Los dos trabajaban en Argelia. Blachet fue también el traductor de *Histoire des Sultans Mamlouks*, centro de interés para los franceses. Los dos se dirigían a un público que correspondía al "*monde savant*"[87] o a "*nos confrères orientalistes*"[88].

La posición de los cristianos bajo la civilización islámica era la de los sabios apologistas y testigos de la época cuando los infieles apenas hablaban el árabe:

> *The situation is complicated by the fact that "unity" is merely a very abstract and remote ideal, while strife has its historical antecedent and underpinning in the age-old Arab virtues of manliness, aggressiveness, bravery, heroism, courage, and vengefulness, which have been extolled by poets for more than thirteen centuries and survive in the Arab's consciousness, predisposing him to conflict even though he believes in Arab unity and brotherhood*"[82].

Es el mismo estereotipo en 1942 de Goichen en *Réfutation des matérialistes*, hablando de los musulmanes que eran:

> "*(...) fiers de leur religion, azurés par une victorieuse étude de leurs principes religieux, et particulièrement convaincus qu'ils sont faits pour commander, non pour servir, et d'abord pour secouer tout étranger, celui de l'Angleterre le premier*"[83].

Entonces, Patai declara que los conflictos empiezan desde las épocas preislámicas y que el árabe vive una contradicción entre el ideal que es la "unidad árabe" y el conflicto que produce la diferencia auténtica entre ellos (entendemos que se refiere a la diferencia de raíces, de religiones, de lenguas, de tierra, etc.). Massignon, como francés, lo atribuye a la religión islámica.

Lo notable es que Europa empezara a recordar a los árabes que su civilización estaba basada en las grandes civilizaciones europeas, pero luego, en la época contemporánea no dejara de animar el nacionalismo árabe, y de apoyarlo. Incluso el árabe empezará a revindicar su identidad árabe, sea cual sea el precio, aunque sean revueltas, desórdenes y guerras. Para los franceses ello serviría para realizar tres objetivos: el primero es desmembrar, debilitar y acabar con el Imperio Otomano en Oriente Medio, el segundo es mantener a los árabes preocupados por estos problemas políticos que ayudarán a los franceses a imponer su mandato con el objetivo de equilibrar la situación, y el último consiste en confirmar delante del público que los europeos son los más civilizados y serán los civilizadores de ese "otro" que reconoce, él mismo, su primitivismo.

Finalmente, resulta curioso que, en este periodo, empezaran a hablar de Egipto y de Siria más que de cualquier otro país en la región, como si estos dos países encarnaran al Oriente Medio.

Siria es un país pobre, nos dice Oestrup en 1897. El aspecto oriental se conserva más en Siria que en Egipto, que es un país "*conquis par la civilisation européenne*"[84]. Las ciudades de Siria siempre representadas son Damasco y Aleppo, y el Cairo y el Nilo son los lugares más representados de Egipto.

Los egipcios, por haber adoptado la civilización europea "*sont faciles à aborder avec leur bonhomie et gaieté*" según Oestrup; al contrario, los sirios que

Algunos traductores van más allá.

Raymond Francis, traductor de una obra de Hussein, *L'Appel du Karaouan* (1949), hablando de la historia de literatura árabe, niega que los árabes, desde el comienzo de su vida intelectual, hayan podido tener autores como Flaubert, Maupassant o Zola que se consideran de los "*peuples civilisés*"[79].

Francis no parece dar la razón a los franceses que afirmaron la necesidad de un "iluminador", aunque en su traducción, *L'appel de karaouan*, muestra el despotismo del que los orientalistas anteriores hablaron. Aquí describe a los árabes como "*peuples opprimés*", "*des pauvres gens*" y "*assoiffés de justice*"[80] y un traductor confiesa que esta miseria fue creada a manos de los turcos sin intentar echar la culpa al Islam como religión. Este punto de vista queda patente en el panorama de la literatura árabe, cuando trata de mostrar qué impresión dejó la literatura europea en Oriente Medio:

> "*Les jeunes gens de Syrie, d'Egypte, d'Irak et d'ailleurs eurent alors la révélation d'un autre mode de vie que le leur, d'un comportement qui différait du leur; ils purent goûter à une civilisation matérielle qu'ils ignoraient et qui était autrement perfectionné que celle à laquelle ils avaient atteint. Bref, la lecture de ces romans policiers, venus de l'extérieur, en leur ouvrant des horizons inconnus, leur facilitèrent une nouvelle façon de penser et de juger des gens et des choses*"[81].

Por otra parte y como ya hemos visto más arriba, los estudios de muchos arabistas se centraban en analizar los conflictos entre los musulmanes desde la época de los mamelucos. En esta época, sobre todo desde el comienzo del protectorado hasta 1918, y con tantos conflictos entre partidos políticos y religiosos, las correspondencias de los cónsules franceses en la región junto a muchas obras árabes modernas autocríticas confirman los análisis europeos sobre la personalidad árabe a lo largo de su tensa historia. Estos análisis, desde 1918 hasta 1954, han formado criterios y principios sobre los rasgos árabes: el árabe es proclive a los conflictos, es orgulloso y egoísta. Todavía Patai, escritor interesado en la historia árabe política, critica en su tesis de 1973 a los árabes diciendo:

> "*(...) the Arab disunity is a manifestation of a tendency that has been part of the Arab personality since pre-Islamic days. At every level discord has always been present, either actually or potentially. At the slightest provocation the fighting propensity surfaces, a quarrel ensues and easily degenerates into physical violence. (...)*
>
> *All in all, the tension between unity and conflict can be taken as a most telling example of the Arab's infatuation with ideal forms (in this case, unity) to which he clings emotionally even while he knows that they are contradicted and vitiated by reality (in this case, conflict).(...)*

> *la récitation des textes vétustes, de la ratiocination et rumination du passé; aucun sursaut de l'esprit n'est venu la secouer et réveiller d'entre les morts; elle ne cherche plus dans l'Islam qu'une confirmation de son sommeil spirituel, et emprisonne la Science dans des surates dont elle fait de chaque terme un verrou*"[76].

Se confirma el éxito civilizador francés. Gide seleccionó, del gran número de obras de Taha Hussein, las que fueron inspiradas en autores y pensadores griegos o franceses como Sófocles o Racine "*grâce auxquelles Andromaque et Electre purent être applaudies par le public musulman du Caire*"[77]. El observador verá en esta frase que el público de las obras de Hussein no era "árabe" sino "musulmán", aunque se inclinaba en esta época moderna a identificar a la gente de Oriente Medio más como "árabes" que como "musulmanes". Este empleo representando a la gente según su religión confirma esta visión de los musulmanes como primitivos, retrasados, hartos y agobiados por el Islam que se impone en toda su vida.

2.3. La labor civilizadora en Oriente

Parece que se intenta así hacer que el lector se sienta orgulloso de proporcionar a los árabes sentimientos de libertad frente a un sistema basado en una unidad islámica inmóvil. Antes de la intervención de los poderes "iluminadores", el mundo árabe era incapaz de ser innovado, pero un nuevo movimiento árabe se abrirá a la imitación y a la confianza en su civilizador. Jamal ed-Din al-Afgani, Muhammad Rashid Rida, Taha Hussein, Tawfiq Al-Hakim, entre otros muchos, son el mejor ejemplo de figuras árabes de gran influencia tanto en la literatura como en la política, influidos por el realismo europeo. Y conviene recordar aquí que los temas tratados por estos autores árabes retrataban extensamente una clase árabe baja, corrompida, conservadora en su manera de hablar, de comportarse y de vestirse, mientras la clase alta se comporta y se viste a la europea, incluso insertan en su conversación muchas palabras francesas[78].

Pero, a pesar de esta tendencia francesa a atribuir el retraso de las sociedades islámicas y árabes al Islam, y a pesar de su influencia cultural sobre todo en la clase alta, los franceses mismos reconocen la imposibilidad de eliminar el Islam de todos los aspectos de la vida social: los árabes no dejan de utilizar fórmulas islámicas y de mencionar el nombre de *Allah* en las mínimas ocasiones y los traductores no dejan de señalarlo. Los autores citan el Corán en todas sus obras, como el caso de *El kitab de Lois secrètes de l'amour* (1893). Esta obra afirma la influencia permanente del Islam en Oriente Medio, porque se cita siempre al Corán. Incluso algunos de los autores modernos inspiran sus novelas y cuentos de historias contadas en el Corán, como el caso de los *Siete Durmientes* de Tawfiq Al-Hakim.

orgueil » y sus obras hicieron de él *"le plus éminent représentant de la littérature musulmane d'aujourd'hui"*[73]. Esta obra además de ser una biografía, es también "*une vivante synthése des faits les plus courants, des personnages familiers, c'est enfin I 'exposé franc, jusqu'á la confession, des actes et des pensées*"[74]. No olvidamos que se desea mostrar que la ideología de los grandes autores de cualquier nación representa la ideología colectiva de su sociedad, sobre todo si este autor fue nombrado el Ministro de Educación de su país, como es el caso de Hussein.

Repasando la introducción a Le livre des jours, escrita por André Gide, el escrito francés muy famoso, que admiraba a Taha Hussein, el hombre ciego de gran influencia intelectual en su sociedad, y a quien concoció en persona en su visita al Cairo, se desprende una imagen bien francesa de la vida primitiva de Oriente Medio. La introducción empieza a hablar en pocas líneas de la primera parte de la vida infantil y adolescente de Hussein, luego narra su recorrido desde su llegada al Cairo para estudiar en al Azhar. La primera parte critica el cuerpo educativo representado por los maestros de al Azhar. Lo interesante es que André Gide compara las palabras de Hussein con las de Renán cuando habla de los maestros del College de France de Henri IV que eran iguales a los del Cairo: "*faux savants*", "*trafiqueurs des paroles*", *"tristes maîtres dont il lui fallait, au Caire, écouter*"[13].

Se desprende de las palabras de Gide que el Islam con su tradicionalismo es la causa de este sufrimiento continuo en la escuela, y así será en tanto que el Islam permanezca en esta tierra:

> "*(...) sans doute était-il plus facile à l'étudiant français de s'émanciper, qu'à l'élève soumis aux disciplines coraniques où tout conspire à domestiquer, à asservir: ancestrales coutumes et routines, absence d'exemples, libérateurs, d'encouragements, de compréhension à l'entour*"[75].

Entonces Egipto, en esta fase, deja de ser el Egipto faraónico lleno de leyendas y enigmas donde viven héroes míticos y semidioses que realizan maravillas que superan las capacidades humanas. El faraón había sido una figura de Dios, potente y poderoso, y Cleopatra había representado a la mujer egipcia, mujer mítica querida y temida a la vez, seductora y enigmática, que cedió su país por el amor de un hombre. Nuestros traductores trataron más del Egipto moderno y retrataron los paisajes de la miseria, de la explotación otomana, del retraso intelectual y social, como añade Gide:

> "*Et l'on doute si, des ténèbres qui l'oppressent, celles de l'ignorance et de la sottise ne sont pas plus épaisses encore et redoutables et mortelles que celles de la cécité. Elles enveloppent, celle-là, l'Egypte entière, plus assoupie qu'une momie et ligotée des bandelettes de l'érudition vaine, de*

"Le califat déjà avait été I 'une de ses préoccupations les plus constantes. Rasid Rida (...) avait fondé quelques espoirs sur la possibilité d'une politique arabe autonomiste au sein de l'Empire ottoman et d'une utilisation du Califat de Constantinople, non point certes comme un instrument de panislamisme politique, mais comme l'organisme central d'un vaste apostolat religieux. La création á Constantinople même d'un Séminaire de Propagande et de Direction de Conscience fut l'un de ses projets les plus chers. Mais U dut bientôt désenchanter devant I 'absolutisme hamidien et le- nationalisme la la laïciste de l'Union de Progrès. Le Séminaire réduit qui fonctionna á Rida, avec l'aide financière de quelques riches Musulmans des Indes, et fut fermé des la déclaration de Guerre n'était plus que l'ébauche bien réduite d'une entreprise initiale plus ambitieuse"[69].

Es una interpretación del "despotisme interior"[70] que impone a las naciones sometidas un modelo religioso común en todo el mundo islámico *(le pouvoir spirituel supréme*[71]*)* y que fija a los soberanos islámicos en el estereotipo de "autocrates[72]. Sencillamente pretenden convencer a los árabes de la invalidez del califato otomano en su tierra y de que todo lo que quieren los otomanos es mantener sus territorios en Siria y en otras partes del mismo Imperio. No olvidamos que los franceses y los europeos se enfrentan al mismo tiempo, a dos fuerzas de gran extensión en Oriente: el Islam y el Comunismo. El Islam era considerado enemigo del cristianismo, por lo que intentaban sacar sus defectos ante el lector europeo para luchar contra dos enemigos al mismo tiempo.

2.2.4. Taha Hussein

Los franceses intentan demostrar que incluso los pensadores árabes de gran prestigio en el mundo árabe e islámcio estaban en contra de la inmovilidad oriental y que si esta región empezó a salir de esta condición mantenida desde hace siglos, ellos sucedió tras sus contactos con el pensamiento y las ideologías europeas.

Esta posición será expuesta también en otra obra *Le livre des jours* de Taha Hussein (1889-1973) traducida por G. Wiet en 1947. Este autor árabe, y los que serán abordados a continuación, criticaban a las sociedades árabes y apelaban a una imitación de los países más desarrollados europeos. Además estos autores cercanos a la civilización europea, como Taha Hussein que vivió y estudió en Francia, e incluso se casó con una francesa, afirman que la mente árabe respira y crece en el ambiente de su protector e ilumindor y no en un ambiente cargado como el de Oriente Medio.

Taha Hussein, autor ciego muy admirado por los franceses, era un "*révolté; son apparente modestie n'est que le revêtement d'un immense et légitime*

hemos de entender, la ideología de Essad Bey, un observador de la época y crítico de la hegemonía islámica:

> *"(...) qui entend allier l'esprit du Coran aux plus nouvelles conquêtes de la technique. Nous avons, nous autres Européens habitués á regarder l'Orient comme un mirage éternel, encore quelque peine á nous représenter la possibilité de cette symbiose; nous devrons bien nous y faire, quoi qu'il y ait lien de notre la disproportion d'appréciation de l'auteur- á notre sens- entre la délicatesse d'une foule de ses observations et ses rêves d'une nouvelle hégémonie islamique"*[68].

Si repasamos el libro de Essad Bey, encontramos que sus temas son en su mayoría los mismos traducidos por la mayor parte de los traductores de esta época: la obra comienza con una introducción muy rápida de cuatro páginas sobre el profeta, para hablar después de la época otomana (comparada con el hombre enfermo), los partidos políticos turcos, el despotismo turco, el sueño del Canal de Suez, los estados musulmanes sometidos al Imperio Otomano, pero presas de rebeliones contra los turcos, el movimiento del wahabismo, la cuestión de Palestina, la internacionalidad de Lenin de de Allah, la idea del califato islámico.

Observamos la insistencia de los franceses en el desenlace y el desmembramiento entre los turcos y las provincias árabes: por un lado, algunos partidos turcos apelaban a una Turquía laica, y por otro lado, el wahabismo que revindicaba aplicar la religión en Oriene Medio y en todo el mundo islámico y apelaba a una nacionalidad árabe. Este interés por los objetivos de los wahabistas contradice las ideas civilizadores y las acusaciones de rigidez a la religión, pero coicide con los objetivos europeos en su empeño por echar a los otomanos de toda la región.

La tendencia de Francia y de los arabistas a mostrar ante los ojos de los lectores e incluso de los árabes mismos las contradicciones entre el mundo árabe occidental, representando por el Norte de África y el mundo árabe oriental, representando por Oriente Medio, hace pensar en la mentalidad política que consiste en separar a los estados árabes para así someterlos.

Al mismo tiempo, Francia alienta las ideas árabes rebeldes contra el Imperio Otomano, el enemigo estratégico de las fuerzas imperialistas. Para alcanzar este objetivo, Francia atacaba la política laica turca y la cultura turca dominante en Oriente Medio que se oponía a las ideas tradicionalisats islámicas, como revelan las palabras del traductor Laoust a la hora de hablar de este pensador:

2.2.3. Sayyid Rashid Rida:

En 1938, el traductor Henri Laoust destacó en una traducción *Le Califat dans la doctrine de Rasid Rida*, otro nombre que, igual que al-Afghani, provocó mucha polémica con sus ideas reformistas sobre el Islam: es Sayyid Rashid Rida (1865-1935). Hay que decir que su pensamiento está influido esta vez por ideas semi-mu'tazilitas y por la filosofía escolástica. El "*admire alors sans réserve al-Gazali, et, à un degré moindre, ibn Qayyim al-Gauziya, le disciple mystique d'ibn Taimiya*"[64]. Recordamos que Al-Gazzali e Ibn Taimiya son dos autores sufíes muy traducidos por los franceses.

Rashid Rida era hostil a la disciplina islámica de el-Azhar, la universidad más famosa no sólo en el mundo árabe sino también en el mundo islámico en general por su sistema educativo religioso, escolástico y tradicionalista que no se adapta a las innovaciones de la vida moderna.

Por otro lado, en la traducción de este pensador árabe, se nota la tendencia ya manifestada a subrayar las relaciones conflictivas entre las escuelas islámicas y políticas dentro de los estados árabes de esta época. El traductor, H. Laoust, destaca que "*le problème des relations culturelles entre l'Afrique du Nord et l'Orient est appelé à prendre une importance croissante*" y que Rasid Rida se dio cuenta de "*quelques espoirs sur la possibilité d'une politique arabe autonomiste au sein de l'Empire ottoman et d'une utilisation du Califat de Constantinople*"[65].

En realidad, a pesar del pensamiento de Rida, su movimiento reformista se concentraba, en esta traducción de Rashid Rida, en la misión del califa de hacer volver a las fuentes del Islam, el Corán y la Sunna, pero también de reabrir la era de la exégesis personal para que se adaptara a las condiciones nuevas de la vida.

La propaganda de algunas ideologías individuales o de corto alcance nos llama la atención en varias introducciones de las traducciones. En la introducción de esta traducción de Laoust, se trata de la filosofía islámica que divulgan algunas polémicas planteadas por otros pensadores cercanos ideológicamente al autor traducido, como en el caso de 'Abd al-Raziq[66]. Este cadí egipcio, dice Laoust, se interesó por la influencia del laicismo político turco, por el criticismo histórico occidental, por la filosofía política inglesa de Hobbs y de Locke. Según este musulmán, el Islam de los antepasados es rígido y demasiado escolástico[67].

También Montondan, traductor de la obra *Allah est grand!...* de Essad Bey en 1937, veía que el Islam debería cambiar porque si permanecía en ese tradicionalismo no podría convivir con la nueva tecnología moderna y que esta postura islámica retrasaría a los musulmanes a la hora de estar en las mismas filas que los países occidentales. El mundo árabe, a partir del último cuarto del siglo XIX, habría dejado de ser esa tierra utópica de huida y de ensoñación, y así

entonces era el número limitado de gentes que creyeron en él, mientras sus primeros enemigos eran los mu'tazalas y shi'itas.

En la biografía de Al-Hallaj, dice Badawi, al regreso de su tercera peregrinación, este sufí fue tachado de impostor por la jurisprudencia islámica, pues erigió una Ka'ba en su casa: por la noche rezaba al lado del cementerio y de día hablaba de cosas raras con la gente en las calles.

Sus declaraciones, según *Akhbâr Al-Hallâj*[61] editadas y traducidas por L. Massignon, mostraban una teología de carácter diverso, con elementos del Islam, del cristianismo y del judaísmo. Unas veces se identifica en público como Moisés y otras veces declara que él mismo es Dios y que su deseo era sacrificarse por la humanidad entera comportándose igual que Cristo en la cruz, aunque también fue crucificado.

Al-Hallaj vivió en Irak cuando Bagdad era la capital de la civilización islámica y algunas de sus ideas fueran propagadas hasta ocupar un puesto en las obras de grandes sufíes e historiadores islámicos como Al-Ghazzali, Al-Khatib Al-Baghdadi e Ibn 'Arabi[62]. La mayoría de los que glorificaron a Al-Hallaj después de su muerte eran los sufíes de Irán, de la India y de algunos países que se sitúan al este de Oriente Medio. Y no olvidemos que los franceses tradujeron muchas obras de pensadores árabes influidos por escuelas religiosas de la India. En la línea de uno de los temas más comunes en las traducciones, como es el Califato y la corrupción, la biografía de Al-Hallaj, presentada por Badawi[63], subraya su deseo de elevar las almas de los musulmanes, creyentes en sus ideas, la necesidad de una reforma moral comprensiva de toda la comunidad islámica representada en la persona tanto del gobernador como de los individuos. Estas ideas condujeron a algunos de sus creyentes a elegirle como el califa deseado que salvaría a los musulmanes de esta corrupción.

Por otro lado, cuando encontramos en las notas al pie de las traducciones la mención explícita de aquellos autores islámicos clásicos que mencionaron al gran sufí, como para justificar su selección, hemos de hacer notar que no todas las menciones en los manuscritos clásicos son prueba de la importancia de este o de aquel autor.

Finalmente, encontramos cierto paralelismo entre este interés por Al-Hallaj, y el interés por la historia de la resistencia argelina, porque las traducciones propagaban los principios sufíes con el fin de abrir un abismo entre dos partidos en el mundo árabe en general: el partido tachado de ignorante y creyente en estas supersticiones y el partido culto que ya empezaba a burlarse de este Islam supersticioso.

Islam, los cristianos conocieron el progreso y la civilización después de haberse liberado de las esposas de la Iglesia; mientras que la sociedad islámica seguía bajo la tutela de la religión. Llegaría el momento en que los musulmanes romperían las esposas del fanatismo que paralizaba el desarrollo y que condenaba a muerte a los filósofos (y a algunos sufíes) a partir del siglo XIII.

Al-Afghani citaba periódicos ingleses y franceses comentando y analizando las opiniones de los principales hombres de Estado como Gladstone, J. Ferry, Bismark, etc. También con sus citas, comentarios y polémicas, al-Afghani apoyaba a los objetivos imperialistas franceses en su rivalidad frente a la colonización inglesa en la India y aún en Medio Oriente (Egipto y Sudán). Al mismo tiempo, Massignon muestra en la misma página el miedo europeo a esta misma idea de al-Afghani: "*les musulmans du monde doivent s'unir pour atteindre au même niveau de force et de perfectionnement, afin de garder ou recouvrer leur indépendance*"[59].

No debemos dejar de lado una observación sobre la selección de los traductores de la época del protectorado en los autores y pensadores árabes. Al-Afghani podría ser catalogado en un repertorio de obras árabes de pensadores que provocaron la polémica a escala árabe e islámica sobre sus propuestas de innovaciones religiosas en el seno del Islam.

2.2.2. Al-Hallaj:

Otro caso significativo en nuestro campo de trabajo es la traducción que Massignon hace, en 1936, de la obra de Al- Hallaj. Las traducciones de sus glosas, fueron reeditadas durante y después de nuestro periodo. Massignon, que era consejero en el Ministerio de las Colonias Francesas de los Asuntos del Norte de África y responsable espiritual de las comisiones misioneras en Egipto, intentó hacer de Al-Hallaj un Cristo del Islam, un personaje ungido por la divinidad. Estas ideas representaban para los musulmanes exageraciones religiosas que no existen en el Islam. Aquí, entonces, volvemos al mismo objetivo de algunos traductores a la hora de buscar todo lo que resulte chocante en el seno del Islam con el fin de presentarlo al público francés como extravagante.

La cercanía o la semejanza entre esta obra traducida por Massignon y la de al-Afghani reside en que el traductor selecciona, para presentarlos ante el público europeo, a sufíes y a pensadores religiosos que se enfrentaban al tradicionalismo islámico.

El estudio de A. Badawi en 1946, *Shakhsyyat qaliqa fil Islam*[60], revela que Al-Hallaj se adscribió a una de las sectas sufíes más duras. Su público de

deja de señalar las contradicciones patentes en el mundo islámico, desde la India hasta Oriente Medio.

Volviendo a la introducción de la traducción de la obra de al-Afghani, Massignon habla con detalle de un movimiento islámico o de una "secta" islámica dirigida por Seyyid Ahmed Khan, musulmán "*de grande famille, très intelligent, et observateur*" que se dio cuenta de que la hegemonía inglesa:

> "*(...) tenait à des éléments de force et de science qui dépassaient de beaucoup les possibilités des musulmans, et que ceux-ci n'avaient plus en eux-mêmes de quoi se relever.*
>
> *Il faut, conclut-il, se mettre à l'école de l'Occident quant aux sciences, aux méthodes d'éducation, et aux organisations politiques*".

Ahmed Khan se distingue de sus correligionarios por sus opiniones que le oponían a la mayoría de los musulmanes tanto en Oriente, como en el Occidente musulmán. Contrastaba con la opinión de la mayoría de los musulmanes que dicen que el Evangelio ha sufrido deformaciones y cambios a manos de los cristianos. Defendía también el Antiguo Testamento y él mismo publicó un fragmento de comentarios sobre el Génesis. Pretendió haber comprendido la Biblia y el Corán para observar que no había contradicciones entre los dos.

Junto al interés religioso por Ahmed Khan, se nota un interés por su filosofía y sus definiciones de los conceptos filosóficos. Este musulmán, fundador de un colegio anglo-musulmán d'Algirah, estuvo influido por los filósofos franceses racionalistas como Rousseau y sus discípulos[55]. Este racionalismo impactó en el pensamiento de al-Afghani. Esto le hizo objeto de los estudios de los europeos interesados por la política árabe e islámica del Oriente Medio moderno, puesto que "*il a exercé et exerce encore après sa mort une énorme influence*"[56].

Al-Afghani se puso de acuerdo con su adversario Seyyed Ahmed Khan respecto a una interpretación anti-tradicionalista de los textos coránicos, a partir de concepciones cristianas. Además, mantuvo polémicas sobre la esclavitud y la poligamia. Afirma, según Massignon, que es la religión la que se opone a las ciencias, que los musulmanes sufren por su escasez y que "*les musulmans n'avanceront pas dans la civilisation tant qu'ils garderont les principes que gardaient leur pères des premiers temps*"[57].

Es interesante señalar el encuentro de al-Afghani con Renan en 1883, uno de los más famosos encuentros entre el orientalismo y el pensamiento islámico. La polémica entre los dos se centra en la relación entre la filosofía y la religión. Pero el acuerdo residía en el carácter negativo de la religión. A pesar de que, postulaba al-Afghani[58], el Cristianismo era una religión más antigua que el

Las obras de autores modernos influidos por modelos europeos, como Taha Hussein, Mahmoud Taymour, Rashid Rida, Jamal ad-Din al-Afghani entre muchos otros, son los mejores ejemplos de la literatura de esa época en la que sobresalió la literatura realista. Esta escuela literaria recoge sus temas y sus modelos sociólogos y psicológicos en la realidad vivida en torno al autor traducido. Para los arabistas europeos resultaría necesario acercar la sociedad árabe en sus aspectos primitivos, que aparecen en estas obras, a un público que, comparativamente, había vivido esta etapa antes de la Revolución francesa y había alcanzado un grado de desarrollo social que aquellas sociedades necesitarían siglos para alcanzar.

2.2. A través de los grandes autores

2.2.1. Al-Afghani

Empezamos nuestro seguimiento de la imagen que tuvieron los franceses y europeos del Medio Oriente moderno con una figura religiosa y política de gran prestigio e impacto en el mundo árabe e islámico, como es Jamal ad-Din al-Afghani (1838/9-1897) que "*inaugure toute une apologétique nouvelle, influencée par les idées et les méthodes européennes*"[51] y presentó al mundo islámico una exégesis religiosa "*dans une interprétation nouvelle des textes, et une utilisation des données scientifiques et des méthodes occidentales*"[52].

Al-Afghani era considerado uno de los líderes del "protestantismo" árabe, por lo tanto, fue llamado "*Afghani est le Luther de la nouvelle réforme*"[53]. Al-Afghani fue influido por el movimiento de Lutero cuyas reformas dejaron honda huella en la civilización occidental. Además, insistió en que todas las religiones son intolerantes, cada una a su manera. La sociedad cristiana, después de haber salido de ese periodo anterior a la Reforma, había conseguido su libertad e independencia. Parece que Europa va progresando rápido con la ciencia, mientras que la sociedad musulmana sigue bajo la tutela religiosa. La negatividad de la religión aparece ante los ojos de al-Afghani. Pero al-Afghani estaba convencido, por su parte, de la capacidad de los musulmanes para igualarse con los europeos:

> "*En songeant toutefois que la religion chrétienne a précédé de plusieurs siècles dans le monde la religion musulmane, je ne peux pas m'empêcher d'espérer que la société mahométane arrivera un jour à briser ses liens et à marcher résolument dans la voie de la société occidentale pour laquelle la foi chrétienne, malgré ses rigueurs et son intolérance, n'a point été un obstacle invincible*"[54].

Keddie, en su obra *Seyyed Jamal ad-Din "al-Afghani"* de 1972 muestra que Massignon, traductor de gran prestigio a escala política y literaria francesa, no

Aquellas grandes revueltas jugaron un papel notable a la hora de modificar el pensamiento orientalista. Los cónsules informaban al Ministro de Asuntos Exteriores sobre el apoyo de figuras sirias y libanesas a las autoridades francesas e inglesas contra la hegemonía otomana. Occidente tuvo que abandonar la idea de la inmovilidad de Oriente, aunque lo atribuyó a influencias occidentales, como señales del renacimiento intelectual y social despertado por Occidente[49]. Seguramente este cambio comenzó a esbozarse desde la expedición de Napoleón. No olvidemos que en el discurso del emperador a sus soldados fueron mencionados los mamelucos como amenaza a los árabes y a los franceses en el Egipto de entonces.

Comenzamos con un ejemplo destacable. Los franceses planificaron bien su intervención en esta región empezando por influir sobre sus grandes figuras políticas y no dudaban en exponer al público en general las huellas que dejaron los franceses en la sociedad egipcia. Es el caso del político Mustafa Kamel, máxima figura del movimiento nacional egipcio, unos años después de la ocupación inglesa. Mustafa Kamel buscaba el apoyo de Francia recordándole a Francia su papel civilizador en la tierra de Egipto después de la expedición de Napoleón, declarando que:

> "*Nous n'oublions pas, non plus, les efforts continus des savants français pour nous secouer de notre long sommeil, pour éveiller en nous la volonté de marcher en avant et pour réveiller en notre sang même, si je peux m'exprimer ainsi, la vieille civilisation de ces Pharaons qui étonnèrent jadis le monde et qui continuent aujourd'hui, après tant de siècles, à l'étonner encore! Bonaparte puis la France de la première moitié du siècle ont contribué ainsi à rendre à l'Égypte parmi les nations contemporaines un rang digne de son histoire et de son antique civilisation*"[50].

No negamos que los orientalistas franceses del pre-protectorado trasladaban una imagen positiva del mundo árabe. Era cierto que la civilización faraónica había logrado la admiración y la fascinación del mundo. Pero en esta declaración contra los rivales ingleses de los franceses en la región y a favor de los franceses, todavía no eran conscientes del alcance de la introducción cultural civilizadora por Francia.

El interés francés (anglófobo) se dirige hacia la psicología islámica, el mundo árabe, y al mismo tiempo, el movimiento del nacionalismo árabe. Expresaba su apoyo a través del aprecio que sentía hacia sus héroes *fellahs* y sus grandes pensadores, como los de la *Nahda* árabe. Todo en el contexto de la competencia colonial que se vivía en la región.

"*La parenté des langues indo-européennes et la reprise du thème de l'Atlantide font naître la civilisation quelque part dans la lointaine Asie. L'idée traditionnelle, héritée de l'Antiquité classique, d'une origine égyptienne de la civilisation grecque est remise en cause au moment où Champollion déchiffre les hiéroglyphes. La première civilisation n'est pas apparue sur les bords du Nil mais quelque part entre les bords de la mer Noire et le Pamir et les Européens, en tant que formant une race, en sont les héritiers directs*"[43].

Así los estudios antropológicos de los franceses dentro de sus instituciones, junto con las imágenes fotograbadas y publicadas en las revistas francesas más famosas por sus estudios semíticos serían los mejores testigos para demostrar a Europa y a todo el mundo que la civilización madre de todas las civilizaciones es la de Europa, representada por las dos civilizaciones de Roma y Grecia.

2. El Oriente Medio moderno

2.1. Algo está cambiando

El orientalismo, confrontado al siglo XX, sufre los desafíos impuestos por un cambio en la visión política, militar y cultural. Las correspondencias de los agentes diplomáticos occidentales, como las del Ministerio de Asuntos Exteriores Francés, llegaban llenas de revueltas nacionales, de nombres de figuras políticas y escritores revolucionarios en los países sometidos: Siria, Egipto, Irak y Arabia. Así lo vemos en los siguientes ejemplos extraídos del Archivo del Ministerio:

"*Un télégramme envoyé par les musulmans de Gaza au Consul Français le 14 avril 1928 sur l'attaque aux musulmans par les forces britanniques armée à la mosquée (protestation)*"[44].

En alguno de los expedientes seguimos encontrando también más quejas:

"*La Délégation Palestinienne adresse une proclamation à la nation Britannique exposant les revendications de la question Palestinienne*".

"*La Commission Exécutive à Jérusalem télégraphie à la Société des Nations et au Gouvernement Britannique pour rejeter le Mandat et réclamer l'autonomie*"[45].

En otro encontramos sobre Jordania:

"*Toute la Transjordanie, Amman, Salt et Karak firent la grève pour protester contre la politique sioniste*"[46].

"*Huit personnes revêtues d'uniformes attaquent la Colonie «Yassoud Hamaala»*"[47].

"*Échange des coups de feu entre les forces du Gouvernement et une bande de 12 brigands à Wadi-Sarar*"[48].

del tema de nuestra tesis. Este hecho distingue este periodo del periodo anterior de los orientalistas pioneros. Además, estudiando la vida de algunos de ellos, descubrimos que algunos colaboraban como militares en su país. Así, Massignon trabajaba con el servicio secreto francés y Gaston Wiet fue militar en el ejército de De Gaule. Sin embargo, los orientalistas anteriores eran diplomáticos, viajaban por libre sin ser delegados de nadie, solían recorrer más el Oriente Medio que el Magreb, escribían relatos de viajes, un género literario que ya no existe en nuestro periodo y cuyas obras serían clasificadas bajo la etiqueta de otros géneros y siguiendo otras leyes de edición y publicación.

Los arabistas utilizaban más instrumentos para presentar su imagen de Oriente, como la cámara de fotos en el caso del gran traductor Sauvaget. Este arabista tenía una relación íntima con la tierra de Siria: la recorrió del norte al sur y mantuvo relaciones cercanas con todos sus habitantes. Sauvaget no se conformaba con dar una imagen literaria, sino que recogía imágenes con su aparato a través de las cuales presentó imágenes de la vida siria, como manifiesta Robert: Sauvaget "*a réuni une collection de clichés unique sans doute en son genre, sur les monuments, les sites, les cultures et les hommes, en un inventaire soigneusement classé*"[42].

Sauvaget no era el único que representó Oriente en imágenes figurativas. Muchos de los arabistas, fueran traductores o no, recurrían a este modo de ofrecer Oriente al público europeo. Si repasamos los institutos franceses en Oriente Medio presentados en capítulo III, veremos que, además de la sección ocupada por los estudios hermenéuticos, había otra sección arqueológica. La labor de cada una, seguramente, depende de la otra. Con las fantasías abundantes en los libros, las revistas, las memorias, las traducciones, etc., el Oriente de Volney, de Nerval, de Loti, de Chateaubriand, entre otros muchos que influyeron durante siglos en el imaginario de la cultura europea entera, proporcionaron un mundo sólo construido sobre el desierto, el Nilo, los monumentos faraónicos, los beduinos. Esta realidad árabe estará parcialmente ilustrada en las fotos arqueológicas sobre los monumentos islámicos, pero muchas de las fotos representan las civilizaciones griegas y romanas en esta región, y confirman la idea de que estas dos civilizaciones se adelantaron al Islam y sentaron las bases donde esta religión podrá luego nacer, crecer y florecer.

No sólo esto: la reaparición a las ideologías raciales tiene lugar en el pensamiento europeo hacia 1850. Surge entonces el interés sobre el parentesco de las lenguas indo-europeas, para demostrar que el origen de las naciones europeas se encuentra en Asia. Pero esta idea fue recogida después del descubrimiento de Champollion de la lengua jeroglífica que demostró, según los antropólogos europeos que las raíces de las civilizaciones no existen en Egipto, sino en Europa, como aclara Laurens:

> *qu'un objet pratique, celui que se propose l'ingénieur militaire en étudiant les ouvrages offensifs et défensifs de l'ennemi, la destruction*"[36].

Por otra parte, este aspecto de las traducciones no deja de acompañar, en nuestra opinión a una tendencia que aparece en los comentarios de otros traductores. Los traductores también obedecen a modelos propuestos por el comparatismo en su época. Así comparan pensadores entre ellos, como en el caso de Ibn Sina[37] y de Al-Farabi[38], donde trata de las ideas de filósofos griegos. Comparan también los traductores creencias y religiones, como el caso de la Divinidad del Corán y la de Cristo[39], los dialectos y los neologismos en la lengua clásica y moderna, la mitología y las leyendas de varias culturas como en las de *Mil y una noches* de Galland, las obras literarias como el modelo de *Le Message de Pardon* y la *Divina Comedia*[40]. Incluso aparecen ejemplos de comparación entre la arqueología musulmana y la cristiana. Laoust, gran traductor en nuestro periodo, declara claramente la necesidad de realizar estudios comparados entre las naciones:

> "*C'est mal comprendre aussi l'évolution contemporaine des sociétés musulmanes que de ne pas tenir compte des idées et des conceptions léguées par le passé, qui continuent á fonder certains systèmes politiques et sociaux et qui donnent, aux aspirations du jour, une coloration spécifique ou l'appui de longues traditions. Il serait d'autant plus souhaitable, enfin, de pouvoir disposer, pour l'histoire de la pensée politique dans le monde musulman, de travaux comparables aux synthèses que Gierke ou Carlyle nous ont donnés pour la Chrétienté médiévale, qu'il serait ainsi possible de développer des études comparatives dont les résultats ne peuvent être que fécondes*"[41].

1.2.5. Más que traductores

Los argumentos presentados nos muestran otra toma de conciencia por parte de algunos de estos franceses que retratan a la sociedad árabe. Los orientalistas anteriores a esta época (Volney, Montesquieu, Chateaubriand, Nerval, etc.) situaban su mundo imaginario en Oriente. Parece que los investigadores a partir de la segunda mitad del siglo XIX se inclinaban a ser más analíticos, al tiempo que eran controlados políticamente. Asimismo, se amparan bajo instituciones ideologizadas y sociedades con sus propias leyes, atentos además a la demanda del mercado, de modo que la producción de los orientalistas dejó de ser libre, como en el caso de los orientalistas precedentes.

Hay que llamar la atención sobre el hecho de que los arabistas de nuestro periodo no eran sólo traductores, sino también escritores de obras dedicadas al Islam y al arabismo. Ello nos hace pensar que la imagen proporcionada a través de las traducciones no puede ser estudiada independientemente de las otras obras de los mismos traductores aunque no abordemos estas obras para no alejarnos

Ibrahim, forment la caricature de Barsbay et de Tchaqmaq. Leurs intrigues sanglantes et leurs institutions surannées que tolère l'impuissance du Gouvernement ottoman, permettent à Venture de saisir directement l'esprit du texte qu'il traduit. Plutôt que la peinture d'une civilisation abolie, la Zubda offre encore à ses yeux un tableau d'actualité vivante"[33].

Esta decadencia que señala Venture de Paradis en el borde del Nilo fue causada por figuras que compara con caricaturas: son los administradores otomanos en Egipto que los franceses desde la época de Napoleón han intentado eliminar. Este dragomán, Venture de Paradis, nos revela en otra obra el interés excepcional de los europeos por este país oriental:

"*Depuis quelques années, les nations de l'Europe fixent les yeux sur l'Égypte, soit par des vues secrètes d'intérêt, soit par des esprits de curiosité. Cette belle contrée à laquelle rien ne ressemble dans l'univers, a plus d'un titre pour mériter leur attention. Elle est si avantageusement placée, si fertile, si favorisée par la nature, que depuis douze siècles, tous les efforts de la tyrannie n'ont pu venir à bout de la détruire; et telle qu'elle existe encore aujourd'hui, elle est la plus riche et la plus peuplée de toutes les provinces de l'Empire Ottoman*"[34].

Hay otra razón para este interés excepcional por Egipto. A ninguno se le escaparía la importancia estratégica de Egipto para los franceses, primero porque es un encuentro entre dos continentes y es el país que domina el Canal de Suez; además sería la entrada a las posesiones coloniales en África interior. Esta importancia, según Renan, citada por Laurens, hace que:

"*(...) quand on a un rôle touchant aux intérêts généraux de l'humanité, on y est toujours sacrifié. Une terre qui importe à ce point au reste du monde ne saurait appartenir à elle-même; elle est neutralisée au profit de l'humanité; le principe national y est tué.*

(…) L'Égypte sera toujours gouvernée par l'ensemble des nations civilisées. L'exploitation rationnelle et scientifique du monde tournera sans cesse vers cette étrange vallée ses regards curieux, avides ou attentifs"[35].

Así pues, la atención consagrada a los manuscritos antiguos traducidos en gran número ya no se explica sólo por el interés hacia la lengua árabe como instrumento, sino que va más allá, a juzgar por la declaración de Goguyer en 1888:

"*(...), qu'il est temps d'apprendre à fond la langue écrite, langue surtout liturgique, de notre colonie, pour mieux connaître et faire connaître la tendance funeste de ses écrivains, et que cette étude, si intéressante d'ailleurs sous le rapport purement scientifique, ne doit avoir*

Por otra parte, esta intervención sería en sus primeras etapas aplaudida y bienvenida en Oriente Medio por aquellos que estaban convencidos de su subdesarrollo.

La «zubda kachf al-mamalik» otra traducción reeditada (o traducida[29]) por Gaulmier en 1950, trata de las varias dinastías o gobernadores mamelucos que gobernaron Egipto. En esta traducción, no editada hasta nuestra época por razones desconocidas, aparecen imágenes construidas por orientalistas anteriores como Venture de Paradis (1739-1799), intérprete del rey en el Ministerio de Asuntos Exteriores de Francia y Consejero de Napoleón en Egipto, cuyas obras siguen siendo publicadas hasta la época de protectorado. Egipto era ya famoso. La novela de Terrasson Setho*, Histoire ou vie tirée des monuments, anecdotes de l'ancienne Egypte*, publicada en 1731, había dado el pistoletazo de salida a la primera egiptomanía.

Luego vino Volney con la ayuda de Venture de Paradis y publicaron *Le voyage en Syrie et en Egypte pendant les années 1783, 1784 et 1785* que estereotipaba un Oriente (limitado a Egipto y Siria) despótico, *esclavagiste* y decadente. En esta obra reeditada en nuestra época, la tierra de Egipto, representada por los franceses como el gran río Nilo, era vista con mucha admiración por este autor que "é*prouve une profonde sympathie pour l'Orient*"[30], pero cuya belleza natural parece deformada por el cliché más conocido, el despotismo:

> "*Un séjour de dix ans que j'ay fait en Égypte m'a appris à aimer cette contrée délicieuse à laquelle il ne manque qu'un gouvernement juste pour y rendre les hommes aussi heureux qu'ils peuvent être. Depuis que je l'ay quitté, j'ay toujours jetté mes regards vers elle, et j'ay vu avec peine que nous n'avions dans nos bibliothèque aucun ouvrage qui nous fit connoître son histoire depuis la conquête des Musulmans. J'employois les moments de loisir à faire quelque essay et je cherchois à la Bibliothèque du Roy des matériaux, lorsque j'ay rencontré un manuscrit arabe qui m'offroit un tableau parfait de l'Empire des Mameloucs*"[31].

Este despotismo se tomaría como pretexto para la intervención de los europeos en Oriente Medio con el fin de procurar justicia a esta gente oprimida. Pero de la cita de Venture de Paradis se desprende que para estudiar la historia de la tierra de los egipcios, *depuis la conquête des Musulmans,* lo más apropiado era un manuscrito. Esta documentación conduciría a conocer las causas del despotismo y, en consecuencia, la decadencia de los árabes. De esta historia se burla Gaulmier:

> "*La civilisation dont Khâlil az-Zâhirî*[32] *nous montre le dernier éclat, le Second Drogman du Consulat de France au Caire en a connu la décadence pendant son long séjour sur les bords du Nil. Ali bey, Mourad,*

Perse et la Turquie. Autour de l'histoire de la Syrie, c'est en définitive l'histoire de tout le Proche-Orient que nous devrons faire"[27].

El autor se refiere seguramente a la Siria que representaba a Siria actual, Líbano, Palestina y Jordania. Es el encuentro de varias civilizaciones con todos sus componentes sociales, económicos, políticos y aún literarios lo que permitió que la civilización islámica se construyera y se extendiera. Esta es la razón, presentada por los orientalistas, para justificar la civilización islámica y no el Islam mismo.

1.2.4. Despotismo

Hemos dicho que muchos de los gobiernos islámicos, con sus conflictos interminables, eran presentados como la causa de la decadencia de Oriente Medio. Estos conflictos empezaron en la época abasí, pero tendrán incluso sus repercusiones hasta la época otomana, justo antes de la entrada de los "pueblos civilizados" representados en Francia e Inglaterra. La intervención de los europeos y de los franceses debería ser fácil porque la región estaba ocupada por las revueltas, los desórdenes y las guerras civiles. Los traductores y los arabistas asumieron la responsabilidad de facilitar esta intervención con los datos que llevaban al Ministerio de Asuntos Exteriores y a los mandos militares mediante los informes, los estudios y las traducciones sobre la historia, la geografía, la sociología, la antropología y la psicología del pueblo de Oriente Medio.

Los intereses imperialistas en esta región dirigen la atención hacia las relaciones conflictivas entre los gobernadores de esa zona, problemas que se convertirían para el Ministerio de Asuntos Exteriores en el punto débil de la decadencia en épocas sucesivas, no sólo hasta las amenazas y los conflictos con los Otomanos, sino también en tiempo de la intervención de los poderes europeos como Portugal, que penetraron en el mundo islámico empezando por el Oriente árabe. En este sentido dice el eminente traductor G. Wiet:

"*La partie traduite dans le présent volume intéresse la période qui s'inscrit entre le début de ce XVIe siècle et l'année 1516. La lecture de ce «Journal d'un bourgeois du Caire», selon l'heureuse expression de Jean Sauvaget, est attachante à plus d'un titre: tout d'abord, il s'agit de la fin d'un monde, car Egypte va être menacée dans ses communications avec l'Océan Indien; nous aurons donc la relation, vue d'Egypte, des entreprises portugaises en Extrême-Orient. D'autre part, le gouvernement mamelouk n'est pas de taille à lutter avec les ambitions ottomanes et Ibn Iyas va nous narrer au jour le jour les lamentables tergiversations du sultan, dont la seule excuse est le manque de confiance dans ses grands officiers*"[28].

professionnelle. On reste confondu de voir ces gens, dont beaucoup venaient d'une des régions les plus arides du globe, circuler sans surprise, comme aveugles, parmi la végétation exubérante et sous les pluies diluviennes des tropiques. Il n'a fallu rien de moins que l'Himalaya pour que l'un d'eux consente à remarquer : « il y a dans leurs pays des montagnes blanches, telles que rien n'est plus haut qu'elles ». Par contre, ils se sont montrés de bons observateurs des hommes moins par souci d'exotisme, ou par sympathie, que parce que chez eux (et par là encore ils sont bien de leur temps) les préoccupations religieuses priment sur toutes les autres. Dans leur conviction de détenir la vérité, ils étaient peu enclins à s'enquérir des croyances et des pratiques cultuelles [sic] *des « infidèles » parmi lesquels ils vivaient, mais leur attention était tout naturellement sollicitée par les mœurs. Non pas, encore une fois, par souci d'exotisme, mais bien parce que, la Loi islamique réglementant tout le « comportement social » des fidèles et jusqu'aux détails de leur existence quotidienne, les usages des pays d'outre-mer flattaient ou choquaient leur sentiment religieux de musulmans, selon qu'ils se rapprochaient de leur propre coutume ou qu'ils s'y opposaient*"[26].

Los pensadores, escritores y traductores europeos se apoyaban en el racionalismo para todos sus juicios y rechazaban todo lo que la religión controlase, sobre todo después de haberse liberado de las leyes de la iglesia. Así, a los musulmanes los consideran *aveugles* a causa de la *Loi islamique* que regula todo el *comportement social*. Los musulmanes entonces deberían haber salido de estas tinieblas con una *Renaissance* árabe, que vendrá encarnada luego en la *Nahda* árabe, impregnada por la ideología europea en la región.

En las traducciones de los arabistas de esta época, de las obras de Ibn Sina, Al-Farabi y muchos filósofos, desde el comienzo del contacto europeo-árabe hasta hoy día, se comparan siempre las ideas de estos filósofos musulmanes con sus orígenes griegos o con pensamientos filosóficos persas e hindúes, siempre alzando a éstos en contra de aquéllos.

Por otro lado, el estudio de los pueblos que conformaron la civilización islámica árabe, como el caso de los Mamelucos, los Fatimíes, los Otomanos, y de aquellos que se enfrentaron con los musulmanes vecinos (como los Tetares, los Persas, los Griegos, los Latinos, los Romanos, etc.), muestra que esta región ha estado siempre controlada o afectada por acontecimientos y poderes exteriores. Sauvaget en la conclusión de una lección en el College de France nos confirma esta postura:

"*L'histoire de la Syrie depuis la conquête musulmane ne devient intelligible et ne peut être élucidée qu'à la condition de faire intervenir sans cesse l'Arabie, l'Espagne, et ce qui est devenu l'Egypte, l'Irak, la*

mustashriqun wal-Islam[22] en 1965 de Z. Zakarya, investigador egipcio dedicado a estudiar el orientalismo. Zakarya, que había estudiado una obra de Gaston Wiet, *La gloire de l'Islam*, hace notar que este gran traductor francés selecciona para su panorama sobre la historia islámica, sólo los acontecimientos políticos, guerras y decadencia de las dinastías. No hay en las líneas de Wiet, añade Zakarya, ningún comentario sobre la extensión del Islam, mientras afirma que la civilización islámica decayó después del siglo XV porque no había sido construida sobre las bases de la civilización griega[23].

Recuerda Zakarya en otro párrafo que los franceses admiraban a Banu Umayya (los Omeyas)[24] porque su abuelo, Abu Sufian, era uno de los grandes enemigos del Profeta y porque arrebataron a los califas, compañeros del Profeta, su califato y mataron a Ali, el yerno de Muhammad y cuarto califa.

Luego cuenta Wiet cómo los Abasíes, en Bagdad, perdieron el estado a manos de los musulmanes no árabes hasta que cayeron bajo el Imperio Otomano. Además, en su estudio, tal como aparece confirmado en nuestro repertorio, observamos la ausencia de grandes jurisprudentes en la historia del Islam: Malik, Abi Hanifa e Ibn Hanbal que tanto han influido en los musulmanes en todo el mundo islámico hasta hoy día. Wiet habla, por un lado, de las dinastías que acabaron con el estado abasí subrayando el hecho de que no fueran árabes y admira, por otro lado, a los Fatimíes porque su escuela shi'ita no ha encontrado aceptación por parte de muchos grupos islámicos. Por lo tanto, se centran en estudiar la escuela ortodoxa shafi'ita más adoptada en Oriente Medio: sus leyes, sus jurisprudencias y jurisprudentes, etc. afín de analizar la personalidad de los pueblos de esta región.

Notamos, pues, que los arabistas intentaron presentar al público europeo la religión islámica a través de sus oponentes, de sus rivales y de los movimientos hostiles a la escuela ortodoxa, teniendo en cuenta que la mayor parte del Oriente Medio adoptó esa ortodoxia[25].

1.2.3. Primitivismo

A pesar de que la civilización islámica perduró hasta finales de la época abasí, para algunos traductores de la época del protectorado, el Islam ha sido la gran causa del retraso intelectual y cultural de los musulmanes, un punto de vista fue apoyado incluso por el eminente traductor Jean Sauvaget en alguna ocasión, a pesar de haber defendido al Islam en otros textos:

> "*Marchands ou marins, tous ces informateurs, autant qu'ils furent, avaient leurs œillères. Ils restent (et par là ils sont bien de leur temps) d'une indifférence totale à l'endroit de la nature et de l'aspect des pays qu'ils ont traversés. Ils ne s'intéressent qu'aux productions, parce qu'elles sont pour eux matière à trafic et une source de profits : par déformation*

Volviendo a las ideas de Al-Ghazzali, hemos de señalar que fueron un revulsivo para la sociedad islámica, pues condujeron a la división entre unos partidarios y otros. La admiración ilimitada de los primeros les llevó a considerarle como si fuera un profeta y la rivalidad de los segundos les llevó a tacharle de mentiroso. Pero el interés por la corriente sufí, por su ambiente y sociedad, hizo que los traductores se posicionaran en favor del primer partido.

Por otro lado, este gran sufí escribió un gran número de obras que abordaban todos los temas más cuestionados en el mundo islámico de entonces, como la exégesis del Corán, los consejos a los califas, la crítica de las sectas y de los partidarios religiosos, los análisis sufíes y filosóficos de los nombres de Dios y de las cuestiones islámicas. Pero la selección muestra que los franceses no abordaron obras fundamentales de este sufí por las que otros pueblos europeos sí se interesaron[13], por ejemplo, *Maqasid al-falasifa*[14], *Ihya' 'ulum ad-din*[15], *Bidayat al-hidaya*[16], *Mishkat al-anwar*[17], *Minhaj al-'abidin*[18], *Jawaher al-coran*.

Una traducción que no extraña en una nación europea como la francesa es la *Réfutation excellente de la divinité de Jésus-Christ d'après les évangiles*, traducida y comentada por Robert Chidiac en 1939. La admirable erudición de Al-Ghazali citando sus argumentos de Biblias originales (hebrea, aramea, copta y griega) fue el tema del artículo[19] publicado por el destacado arabista de nuestra época, Louis Massignon, en 1932[20]. Massignon señala aquellas ideas que están a favor de la comunidad cristiana y a las que se oponen los musulmanes con su postura hacia la divinidad de Cristo. Entre estos interesantes argumentos, comenta como Al-Ghazali hablaba sobre la exégesis coránica de la crucifixión de Cristo. Para el Islam, Cristo ascendió al cielo según el versículo coránico: "*Non, ils ne l'ont pas tué, ils ne l'ont pas crucifié, mais ils [ont cru l'avoir fait]*"[21]. Al-Ghazali, sigue Massignon en su artículo, sugiere de manera más explícita la idea de que, si bien es cierto que los romanos mataron el cuerpo de Cristo, su alma inmortalizada se unió con Dios. Massignon se apoya sobre estos argumentos para presentar las opiniones de otros filósofos traducidos en nuestra época, como Abu Hatim Razi quien tampoco niega la crucifixión de Cristo en su obra *Makhârîq al-anbiyâ*, como también hace Al-Hallâj.

Señalemos que Massignon, a lo largo de su artículo, no deja de apoyarse en las opiniones de una escuela islámica ismaelita, rechazada por la mayoría sunita en Oriente Medio. La insistencia de este arabista en destacar las ideas polémicas parece querer mostrar que los musulmanes, de mayoría sunita, de Oriente Medio se obstinan en aceptar argumentos que van contra su teología rígida y tradicionalista.

Comparemos ahora nuestros resultados sobre los documentos de la historia islámica seleccionados para la traducción con los que aparecen en *Al-*

como por ejemplo los *si'ites*, los *ismaëliens* y los *mu'tazalas*. Las traducciones de grandes sufíes musulmanes como Al-Hallaj no dejan de ser una introducción a la historia de las rebeliones contra las creencias en el Islam. Incluso las varias traducciones de Al-Ghazzali, el sufí ortodoxo más famoso del mundo islámico oriental, presentan una época de debates religiosos entre todas las escuelas religiosas de entonces. Otros estudios abordaban la decadencia del Islam en los países por los que se extendió y donde empezó a declinar desde principios del siglo XIX hasta que "*le déclin de la culture était tel que, si le réveil ne se faisait pas, elle allait être effacée*", nos informa Massignon, escritor del prefacio a una traducción de 1942, *Réfutation des matérialistes*[8].

1.2.2. Sectarismo

Observamos, en una primera lectura del repertorio, que todos los autores árabes mencionados, sean clásicos o modernos, parecen gozar de la admiración y del aprecio de los traductores. El lector puede pensar que los franceses y los europeos en general profesan un auténtico aprecio por Oriente Medio, sus autores, su historia, su literatura, sus pensamientos e ideologías, dadas las palabras de alabanza con las que los traductores describen a sus autores seleccionados. Pero si comparamos atentamente los autores seleccionados (y las obras seleccionadas) con los muchos que fueron dejados en las estanterías de las bibliotecas árabes a pesar de su valor literario innegable, deducimos que existen criterios de selección activos en la época del protectorado.

Uno de estos ejemplos es Al-Ghazali. El espacio socio-político en el que vivía Al-Ghazzali[9], durante la época mameluca, estuvo presidido por la corrupción social y religiosa: los asha'ris se oponían por sus creencias a los shi'itas, por un lado, y a los mu'tazilis y a los filósofos[10], por otro. Incluso dentro de la escuela ortodoxa cada partido se oponía al otro. Bagdad, en particular, era el centro de los conflictos y debates que llevaron a Al-Ghazzali a criticar a los partidos rivales que Hachem califica en su traducción de "*les hérétiques*"[11]. La misma calificación de estas sectas y escuelas fue utilizada en la traducción de Sauvaget, en una nota al pie: "*C'est à dire orthodoxe* [se refiere a la teología sunita de los Omeyas], *opposés à l'hérésie chiite dont les Fatimides étaient les tenants*"[12]. La insistencia de los europeos en estos clichés negativos sobre los shi'itas viene, según nuestra opinión, de su intención de subrayar el conflicto entre los sunitas y los shi'itas en Oriente Medio, porque son las dos escuelas más adoptadas en esta región. La prolongación de las oposiciones entre los musulmanes mismos facilitaría la ocupación y el control de la región. Conviene, pues, mantener la imagen de zona agitada y alborotada ante el público europeo.

antigua del nombre del Profeta *Muhammad* que es *Mahomet* en francés o Mahoma en castellano.

Jean Delisle y Judith Woodsworeth, en su estudio panarómico sobre la historia de la traducción en Europa, *Les traducteurs dans l'histoire*[6] de 1995, menciona que uno de los primeros libros traducidos de Próximo Oriente sobre el Islam fue el *Livre de l'eschielle de Mahomet* y en castellano "La escala de Mahoma", prueba de la antigüedad de esta transcripción. Pero también los antiguos traductores conocían el árabe, pues algunos eran religiosos de la época de las Cruzadas que escaparon de Oriente después de haberse liberado, por tanto, habrían debido corregir el nombre ante el público europeo[7].

¿Por qué se deformaba el nombre que ha sobrevivido a lo largo de la historia hasta hoy día? ¿Por qué la nueva generación de orientalistas, o mejor dicho, de arabistas bien preparados académicamente no rechazaron esta mala transcripción? Contestar a la primera pregunta nos aparta del tema principal de la tesis, pero la segunda puede hallar respuesta en la inclinación de los arabistas por conservar la forma arraigada en la cabeza del público europeo, esto es, *Muhammad* no estaba codificado como el nombre del Profeta de los musulmanes.

1.2. Rasgos primados de las traducciones de esta época

1.2.1. Inmovilismo

Pasamos a detenernos en otro cliché que había conquistado la cultura francesa. Era una idea sobre Oriente y el Islam presente desde las primeras etapas del orientalismo: la inmovilidad de Oriente. Los numerosos partidarios de esta tesis planteaban que Oriente era un espacio ideológica y antropológicamente distinto a Occidente. La inmovilidad estaba en la naturaleza misma de esa vida distinta y la modernidad significaba la destrucción de esa esencia conduciéndola hacia cambios radicales. Pero recordemos que, hasta la época otomana, los musulmanes se aferran al Islam representado por el Corán y el Profeta como marca de identidad, mientras que los franceses habían atribuido esta inmovilidad a la imposición del Islam en la vida de los musulmanes y de los árabes, esto es del tradicionalismo y de la creencia escolástica. Esta idea de inmovilidad empieza a deshacerse en el pensamiento europeo cuando las creencias religiosas se enfrentan a muchas críticas y cambios radicales a manos de grandes figuras árabes e islámicas.

Esta inmovilidad, presentada en una gran cantidad de traducciones sobre la época abasí y mameluca, se rompe en la sociedad islámica generando desórdenes a todos los niveles durante la época del protectorado. Muchos movimientos nacieron de las dudas sobre el Corán y la Tradición profética,

de *Mahomet* en 1934. Es un tema muy raramente tratado en traducción, porque el interés se centra más en el Islam por otras razones que nos demuestra Marty, el traductor, al presentar su traducción:

> "*Un occidental, disons un Chrétien, qui est par surcroît un historien, disons un cuistre, s'il se met en face de l'Islam, peut bien essayer d'analyser, de comprendre les rouages et les origines de la société orientale, cristallisée dans le cadre de la religion musulmane. Mais se représenter la personnalité profonde, l'âme du prophète, je ne crois pas que ce soit possible à un intellectuel mécréant. Là il ne s'agit plus de comprendre, il faut sentir, et je dirais presque chanter.*
>
> *(...)*
>
> *Mais je parle ainsi parce que je suis, je l'ai déjà dit, un cuistre occidental*"[4].

Siendo cristiano y temeroso del futuro de la fe, este único traductor, excepcional dentro de la gran corriente anti-islámica, deja traslucir la crisis de la desaparición de la religión en la primera mitad del siglo XX y de la aparición de otro tipo de "religiones" en forma de figuras humanas que empezaron a representarse como dioses. Estas figuras, como Lenin y Moussolini, incluso árabes como el egipcio Mustafa Kemal, controlaban las ideologías de masas occidentales y orientales, como nos dice en el mismo prefacio:

> "*Une biographie de Mahomet vient à son heure. Dans nos temps troublés, sur les ruines des vieilles religions révélées, il pousse des prophètes modernes des religions nouvelles, Lénine, Mousseline, Hitler, et pourquoi pas Mustafa Kemal, le Ghazi ? Les yeux fixés sur eux nous sentons s'éveiller notre curiosité des vieux prophètes. Qu'est-ce que ce personnage mystérieux, un prophète, fondateur d'une religion qui a ébranlé la planète ?*
>
> "*A vrai dire, je croirais volontiers qu'il y a une différence essentielle entre les vieilles religions révélées, et les religions laïques nouvelles. Celles-ci ont un paradis contrôlable: le grand soir finit par venir et tout le monde s'écrie, ou sent du moins in petto: Eh quoi ! Ce n'est que ça. Il n'y a de bonnes religions, inébranlables, millénaires, que celles qui font luire un paradis incontrôlable, là-bas, de l'autre côté du tombeau, d'où personne n'est jamais revenu. Ces religions-là sont les seules qui apportent à l'âme humaine la paix profonde, bienfait inestimable*"[5].

Llamaremos la atención sobre la transcripción del nombre del Profeta *Mahomet* en francés. Todos los traductores no eran sólo orientalistas, como los antiguos, sino también arabistas y titulados por conocidas instituciones. Pero lo que llama la atención es que estos traductores insisten en utilizar la forma

el "Vosotros" árabes de Oriente Medio, incluso musulmanes del mundo, aparece encarnado en el despotismo otomano, obligado a desaparecer para facilitar así la equiparación con la civilizada Europa.

El poder ha necesitado siempre del conocimiento. Así, la tarea fundamental realizada por los traductores tendrá que ver con esta necesidad de seguir unas pautas programáticas para ejercer poder en una tierra, sobre un pueblo como sobre los individuos, en medio de una competición ciega con su gran rival, Inglaterra.

1. El Oriente Medio musulmán

1.1. Una selección sesgada

Pronto nos damos cuenta, en primer lugar, del poco interés en traducir obras sobre la época islámica desde su nacimiento con el profeta Muhammad hasta la época de los Abasíes. Es verdad que la documentación conservada de épocas posteriores es mayor que la de las épocas anteriores, pero insistimos en que hay documentación, sobre todo en la época de los Omeyas. La fuerza del mensaje mahometano, sus circunstancias y su naturaleza indulgente fueron los factores determinantes para extender este mensaje en Arabia y las tierras de alrededor hasta finales de la época omeya. En cambio, a partir de esta época, la atmósfera religiosa, política, económica y social representada por el despotismo, los desórdenes públicos y los conflictos entre las varias escuelas religiosas y su influencia en el régimen gubernamental, habrían sido las causas de una decadencia social en los países musulmanes.

Detengámonos un momento en la figura del profeta. La única traducción en la que se menciona el nombre correcto de *Muhammad* es *Le Koran: la Guidance et le différenciateur* de J. C. Mardrus 1926, una traducción definida ya por su título. Además, repasando la traducción y su introducción, percibimos en el traductor un espíritu y una personalidad más musulmana que europea cristiana.

Sin embargo, Muhammad aparece como estereotipo en todas las introducciones de nuestras traducciones del Corán sobre su biografía, como un *Prophète*, un *apôtre*, el *Envoyé*, el *Elu*. Su relación con el Corán es la de *transmetteur* y *publiciteur*. Los franceses añaden también los calificativos de *nomade* y un *homme semblable aux autres hommes, illettré*. Su influencia política en la sociedad mundial reside en su calidad de *fondateur de la religion* [islamique], *fondateur d'empire*. En resumen, es reconocido en Europa como profeta, fundador de una religión y escritor de un libro, para los musulmanes, sagrado y divino.

Precisamente, dentro de la tendencia occidental a mostrar el Islam como un camino agitado que condujo Oriente Medio al abismo, sobresale una traducción

> *point la même valeur: moins riche, moins apte à se renouveler, il est resté presque toujours à la remorque de l'Orient, où il trouvait la plus féconde de ses sources d'inscription*"[1].

Durante este periodo de estudio, coinciden los términos calificativos geográficos *arabes*, *musulmans*, *mahométans* y otros parecidos. Ello se explica por cuanto que Arabia fue la tierra donde nació el Islam y el esplendor árabe coincidía con el del Islam, pero veremos más adelante que los traductores no reconocen tal esplendor en la época de Mahoma. El discurso de los traductores se centrará, primero, según la documentación encontrada, en la época abasí, y terminará con los nuevos géneros de la época de *Nahda* que focalizarán el interés francés y europeo en general.

Efectivamente, la historia del Islam se divide en tres periodos. El primero dura hasta las grandes conquistas árabes del siglo XIII, es decir, los finales de la época abasí. Las primeras relaciones europeo-orientales en la región de Oriente Medio fueron protagonizadas por las Cruzadas que tuvieron lugar en el Oriente Medio actual, en la llamada Tierra Santa. Luego la cultura mameluca nació, floreció y terminó en Oriente Medio. Los mamelucos gobernaron Egipto entre 648 y 922/1250-1517 y Siria (se refiere a Siria natural) entre 658 y 922/1260-1516[2]. A pesar de estas fechas, hemos visto que el poder mameluco ejerció su influencia hasta la expedición de Napoleón que pensaba eliminarla para impedir su extensión en la región, lo que les haría controlar el camino hacia la India. Sobre estos dos periodos dice Laurens:

> "*Dans la première période, on voit le triomphe de la Perse; la religion n'est respectée qu'en apparence par les autorités (...) qui protègent des masses le libre penseur, le* filousof. *Dans la seconde période «ce mot exotique est prise en mauvaise part comme désignant quelque chose étranger à l'Islam.* Filousof *devint chez les musulmans une appellation redoutable, entraînant souvent la mort ou la persécution comme zendik et plus tard farmaçon (franc-maçon)» Jusqu'au XIIIe siècle, l'Islam miné par les sectes et tempéré par une espèce de protestantisme [ce qu'on appelle le motazelisme], est bien moins organisé et moins fanatique qu'il ne l'a été dans le second âge, quand il est tombé entre les mains des races tartares et berbères, races lourdes, brutales et sans esprit* "[3].

Sin embargo, en una tercera etapa, desde que empezaron los movimientos colonialistas e Inglaterra comenzó a sobresalir como poder imperialista homólogo y rival a la vez de Francia, sobre todo desde que triunfó su impronta cultural y su hegemonía militar en el mundo, el "Yo" europeo empieza a presentarse como "Nosotros", ingleses y franceses, menos fanáticos y escolásticos y más desarrollados y civilizados en todos los campos, mientras que

Arab Journal for Arts Vol. 2 No. 1, 2005, pp. 37-74

De Utopía a la Fobia Imágenes Sesgadas

Ahlam Sbiehat[*]

Abstract

Middle East, the Holy Land that testified the birth of Jesus, the land of Bedouin known by the manliness, Arab courage and platonic love had been until the eighties of the nineteenth century the utopia, the imaginary world and the virtuous city never written by Plato but by the nineteen-century-orientalists plumes in their travel literature. This idealized world starts to be conversed through the European intervention at the end of the nineteenth century up to the middle of the twentieth century.

In this epoch, the religious, political, economical and social atmosphere represented by the ottoman despotism, public disorders and conflicts among the religious schools and their influences on the governmental regime were the cause of the decadence in the Muslim countries and in Middle East. More precisely, this stereotype was created into an occidental tendency to show Islam as an agitated way that leads Middle East to the abyss, so the features more drawn by the orientalists were embodied in the sectarianism, immobilism and despotism. This stereotype must justify the intervention of the reformer powers in the region. Especially when the science mind, human rights and decolonization tend start to rule the life and the mind of the European nations.

Introducción

En este estudio queremos analizar el alcance ideológico de la imagen vehiculada por las traducciones y los traductores de la época del protectorado en el Oriente Medio según algunas observaciones sobre una tendencia europeo-centrista que pretende destacar las bondades de las naciones europeas frente a los musulmanes.

El interés de la traducción, como veremos, se centrará en el Islam, primero como tradición y luego en su desarrollo paralelo a las ideas reformistas. Sauvaget, el orientalista francés eminente, declara ya con mucha claridad la importancia de Oriente Medio en los estudios sobre el Islam:

> "*D'abord, l'Islam est parti de l'Orient, c'est en Orient que s'est toujours situé son centre de gravité: il est impossible de rien comprendre à l'Islam sans une étude attentive de l'Orient (...), l'Occident ne présente*

* Department of Translation, Faculty of Arts, Al-Isra Private University, Amman, Jordan.

Grothe M., and H. Scholten (1993) “Modelling catchment areas, towards the development of spatial decision support system for facility location problem”. in: Fischer M., and P. Nijkamp, (eds) *Geographic Information System, Spatial Modelling and Policy Evaluation*, Springer-Verlag, Berlin,pp 263-280.

Hakimi L. (1964) “Optimum locations of switching centers and the absolute centers and medians of a graph”. *Operations Research*, 12: 450-9.

Jankowski P. and M. Stasik (1997) “Spatial understanding and decision support system”.*TGIS*, 2,1,73-84.

Lo, C. P. and A. K. Yeung, 2002, *Conceptual Techniques of Geographic Informtion Systems*. New Jersey: Prentice-Hall, Inc.

Miller H. (1996) “GIS and geometric representation in facility location problems”. *International Journal of Geographical Information Systems*, 1o: 791-816.

Rushton G., M. Goodchild and L. Ostresh (eds) (1973) *Computer programs for location-allocation problem***s**. Monograph No. 6, Iowa, Department of Geography, University of Iowa.

Waters N. (1999) “Transportation GIS: GIS-T”. in: Longley P. et al (eds) *Geographical Information Systems*. Vol. 2, New York: John Wiley & Sons, Inc. pp 827-44.

Beaumont J. (1991) “Spatial decision support Systems: some comments with regard to their use in market analysis”. *Environmental Planning*. 23: 311-318.

Chang K., (2002), *Introduction to Geographic Information Systems*, New Delhi: Tata Mc Graw-Hill Publishing Company Limited.

Church R. (1999) “Location modelling and GIS”. in: Longley P. et al. (eds) *Geographical Information Systems*, Vol. 1, New York, John Wiley& Sons, Inc., pp 293-303.

Church, R. L., and C.S. Revelle, 1974, "The Maximal Covering Location Problem" . Papers of the Regional Science Association 32: 101 – 18.

Church R. and P. Sorensen (1996) “Integrating normative location models into GIS: problems and prospects with the p- median model”. in Longley P. Batty M (eds) *Spatial analysis: modelling in a GIS environ-ment*, Cambridge (UK), GeoInformation International: pp 167-83.

Cooper L. (1963) “Location-allocation problems”. *Operations Research*. 11: 331-43.

Densham P. (1991) “Spatial decision support systems”. in: Maguire D., Goodchild M. and Rhind D. *Geographic Information Systems: Principles and Applications*. Longmans, Hemel Hempstead.

Densham P. (1996) “Visual interactive locational analysis” . in Longley P. Batty M.(eds) *Spatial analysis: modelling in a GIS environment*, Cambridge (UK), GeoInformation International : pp 185-205.

Densham P., and M. Goodchild (1989) “Spatial decision support systems: a research agenda”. *Proceedings of GIS/LIS ‘89*, vol 2, Orlando, Florida, pp 707-716.

Densham P. and G. Rushton (1988) “Decision support systems for locational planning”. in: Colledge R., Timmermans H. (eds) *Behavioual modelling in geography and planning*. Croom-Helm, London, pp 65-90.

Dresner Z. (ed) (1995) *Facility location: a survey of applications and methods*, New York: Springer.

Ghosh, A., S. Mc Lafferty, and C. Craig, 1995, "*Multifacility Retail Networks", in Z. Dresner (ed.) Facility Location: A Survey of Applications and Methods*. New York: Springer, pp. 301 – 330.

النطاق المدرسي المناسب هو ذلك النطاق الذي تكون فيه المسافات المناسبة هي 1500 و 2000 و 3000 مترا ، وتكون فيه الفترات الزمنية المستغرقة هي 30 و 40 و 60 دقيقة من المدرسة المعينة على التوالي . وقد تم تنفيذ ثلاثة أساليب مرتبطة بمنهجية الدراسة هي : نسخ غطاءات معينة إلى ملف خاص ، وعرض وتصحيح مواقع المدارس الثانوية القائمة ، واستخدام أمر " التخصيص " لتحديد النطاقات المدرسية وفق المعيار المذكور أعلاه. إنه باستخدام وظيفة "التخصيص" الكائنة في نظم المعلومات الجغرافية والآنفة الذكر فقد توصلت الدراسة إلى ثلاثة أنماط مختلفة للنطاقات المدرسية . هذا ، وقد تم اقتراح إنشاء مدرستين جديدتين بالإستناد إلى المسافة بين النطاقات المجاورة . وقد عزي اقتراح تلك المدارس إلى المسافات والأوقات الطويلة التي ينبغي على الطلبة القاطنين في مناطق معينة أن يقطعوها أثناء ذهابهم إلى مدارسهم . وخلصت الدراسة إلى أن إمكانات نظم المعلومات الجغرافية قد أثبتت كفاءتها في تحديد النطاقات المدرسية في منطقة الدراسة ، وأن المنهجية المتبعة يمكن استخدامها في مناطق أخرى من أوكلند الكبرى جنبا إلى جنب مع مدن أخرى في مختلف الأقطار.

* **The paper was received on June 8, 2004 and accepted for publication on May 10, 2005.**

Notes

(1) Lo and Yeung 2002.
(2) Chang 2002
(3) Chang 2002
(4) Ghosh et al. 1995; Church 1999.
(5) Hakimi 1964.
(6) Church and Revelle 1974.
(7) Chang 2002.
(8) Rushton et al. 1973
(9) Densham and Rushton 1988; Densham and Goodchild 1989; Armstrong and Densham 1990; Beaumont 1991; and densham 1991.
(10) Dresner 1995; Church and Sorensen 1996; Densham 1996; Jankowski and Stasik 1997
(11) Caliper Corporation (1996) *Routing and logistics with TransCAD 3.0*, Newton, Caliper Corporation..

References

Armstrong M. and P. Densham (1990) “Database organisation strategies for spatial decision support systems”. *International Journal of Geographic Information Systems*. 4:3-20.

The writer would like to emphasize that the decision maker should be careful in dealing with the idea of spatial optimization. This is because that when a model is solved optimally, that optimal solution may be inferior when another objective or criterion is introduced. This means that optimality can be defined for only what has been explicitly included in a model. To support the search for solutions that meet the needs of the decision maker, it is important to produce close-to-optimal solutions which were the case of the present study.

Nevertheless, this study shows how a decision maker may use GIS to solve spatial problems concerning school locations and allocation to produce information that is relevant to the task of providing good service to students attending a given school. It is shown how better delimitation of school zones may reduce the maximum distance to a school by the use of allocation modeling. The study also demonstrated how an optimum/semi-optimum location for a proposed new secondary school might be computed.

Once again, this study did not incorporate student addresses and school capacities in its analysis. It may be possible to obtain better and more accurate results if these additional factors are taken into consideration. However, GIS capabilities proved to be valuable in examining school zones in North Shore City.

تحديد النطاقات المكانية للمدارس في مدينة أوكلند الكبرى بنيوزيلندة

عيسى موسى الشاعر، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربـــد، الأردن.

ملخص

يركز هذا البحث على استخدام تحليل الشبكة من أجل تحديد مواقع المدارس في ضاحية " نورث شور " التابعة لمدينة أوكلند الكبرى في نيوزيلندة . وعلى الرغم من وجود عشرات المدارس في منطقة أوكلند الكبرى إلا أن الدراسة قد اقتصرت فقط على ثماني مدارس حكومية ومدرستين غير حكوميتين جميعها ثانوية في ضاحية " نورث شور " . ولقد كان أحد الأهداف الرئيسية لهذه الدراسة ايجاد مسافة الطريق والزمن المستغرق والمتعلقين بنطاقات المدارس الحالية. وهنالك هدف ثان يتلخص في بناء قاعدة بيانات واستخدامها في تبيان أن

the road network. Therefore, the nodes of the road network which were closest to these school locations were adopted as actual locations and were used in the center file for preparing network data to run allocate function.

As for the travel time it was calculated according to the estimated working speed of the students. In this research, the walking speed was assumed as 45 meters per minute. Consequently, the travel time equaled the length of the road segment divided by walking speed. As a result, the networks of travel time were presented as school zones when using allocate function. In this context, the boundaries of each school zone show the broad idea of maximum travel time within the zone. However, because of walking speed variation it may not be considered a constant value.

Nevertheless, in spite of the above limitations, planners and decision makers can benefit from the resulted boundaries of school zones. Once other information such as supply seats, demand seats and student population are available then a better decision support system may be established.

The present writer would like to make it clear that two methods for school zoning in the study area could be used. One method is based on drawing a buffer zone around a school location. The other method uses allocate function in GIS Arc/info based on network data. The buffer zone method specifies the school locations and produces buffer zones around these locations in terms of specific distances i.e. 1500 meter or 2000 meter. Each buffer zone has a radius equal to the specific distance that will be used for overlay with a route network.

The allocate function method assigns network links to centers as school locations. A route along the assigned arcs is created in the network coverage. The new network is produced based on both center file and maximum impedance such as specific travel distance and travel time i.e. 1500 meter, 2000 meter, 30 minutes, and 40 minutes. As a result, a separate route network for each school location is created and every location on the resulting routes is within a specific value of travel distance and travel time. After that the boundaries of each zone is separated by the system.

The school zoning boundaries produced by the buffer zone method is mostly inaccurate due to the fact that the overlap area between adjacent zones is big particularly when school locations are dense. The allocate function, on the other hand, proved to be a valid method for school zoning based on network environment such as network coverage (road network), impedance distance (travel distance or travel time), and center file (school location). Consequently, a separate route network for each school location is established and every location on the resulting routes is within a specific value reflecting the travel distance or the travel time of a school.

The research also revealed that certain areas in North Shore City badly need the establishment of new secondary schools. This is due to the long distances/time that students living in these areas have to pass while traveling to their schools. Therefore, the study suggested two new school locations based on distance factor. These locations were one between Long Bay College and Rangitoto College and the other between Rangitoto College and Glenfield College (Fig. 2).

It should be mentioned that one major problem appeared during the implementation of the research. This problem was related to running the Allocate command that needed both a centre file and network dataset. After these files were prepared, running the command was successful.

Concluding remarks and suggested further research:

Recently the service sector has been facing drastic changes. Various developments in socio-economic conditions and technology have had strong impacts on the activities on public and private service facilities including schools catchment areas. These changes need a constant monitoring in order to optimize the relationships between demand and supply. In this context the geographic location of a school is of crucial importance as demand and supply differ in space.

This paper illustrated that location-allocation models can be used effectively to support decisions of facility location assessment and optimization problems. It should be mentioned, however, that some issues affected the findings of the research. These issues are inaccuracy of data sources, combining of school locations with route network, and travel time.

Inaccuracy of data sources consists of inaccuracy in both spatial data and tabular data. Errors in spatial data were found when comparing the provided coverage with the base map. However, when a school location was allocated in a wrong place in relation to the base map, it was possible to correct. In this study, for example, the locations of four existing secondary schools, namely Long Bay College, Rangitoto College, Takapuna Grammar School, and West Lake Boys School were misallocated on the original file. Fortunately, the researcher was able to correct these locations. Moreover, tabular data concerning supply seats, demand seats, and student population within every existing supply zone was not available. These parameters may be affective in determining school zoning.

Combining of school locations with route network was another cause of inaccuracy for school zoning boundaries. This is illustrated by the fact that some points representing school locations did not overlap with some related nodes of

Birkenhead College, Glenfield College, Rangitoto College, Takapuna Grammar School, West Lake Boys'High School, Carmel College, and Long Bay College (Fig. 2).

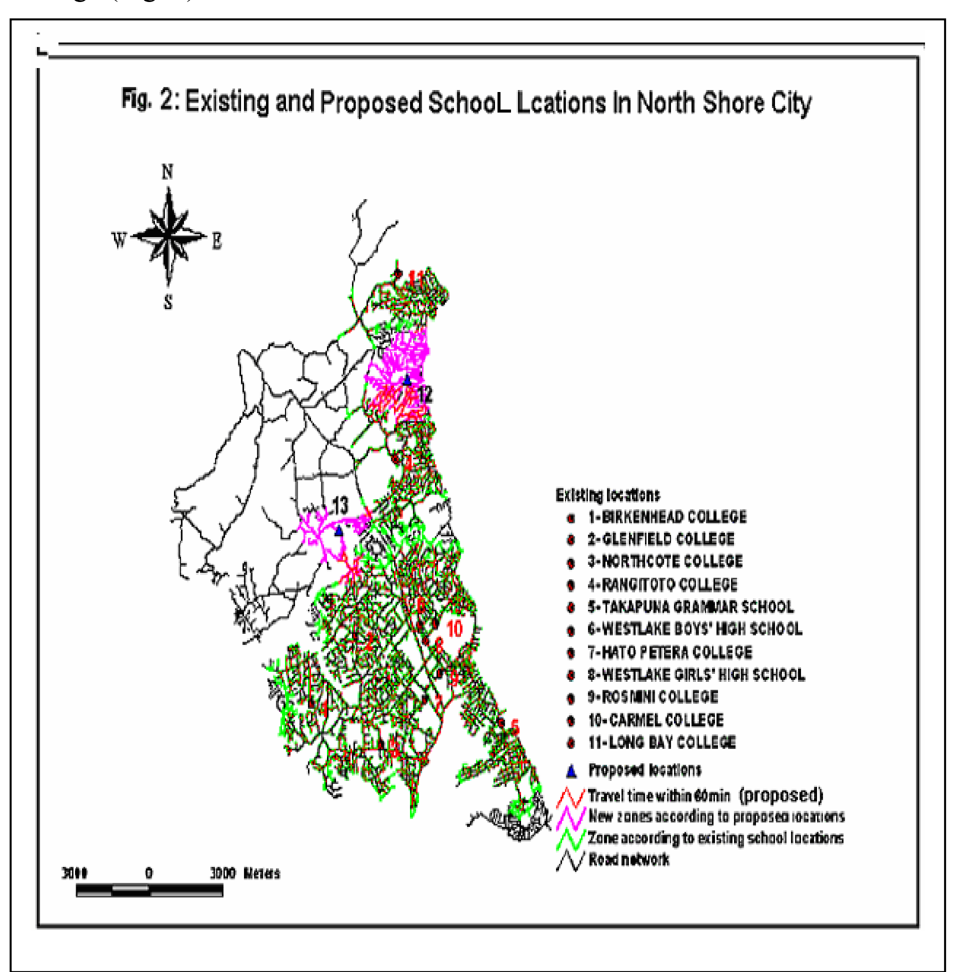


Fig. 2: Existing and Proposed SchooL Lcations In North Shore City

(4): Locating two new suggested secondary schools based on distance between adjacent zones.

(5): Displaying all zoning results in ArcView.

Discussion of the Results:

This study has examined the zoning system in North Shore City. By using the Allocate function this study revealed different patterns of school zoning in the study area (Table 2). These patterns are summarized as follows:

1. Zones with optimum travel distance of 1500 meters and travel time of 30 minutes. This turned out to be the case for the following schools: Hato Petera College, and West Lake Girls'High School (Fig. 2).

Table 2: Optimum school zones according to maximum travel distance and maximum travel time

School id	School name	Maximum travel dist. (meters)	Maximum travel time (minutes)
7	Hato Petera College	1500	30
8	West Lake Girl' School	1500	30
3	Northcote College	2000	40
9	Rosmini College	2000	40
1	Birkenhead College	3000	60
2	Glenfield College	3000	60
4	Rangitoto College	3000	60
5	Takapuna Grammar School	3000	60
6	West Lake Boys' School	3000	60
10	Karmel College	3000	60
11	Long Bay College	3000	60

2. Zones with optimum travel distance of 2000 meters and travel time of 40 minutes. This turned out to be the case for the following schools:

   Northcote College and Rosmini College (Fig. 2).

3. Zones with optimum travel distance of 3000 meters and travel time of 60 minutes. This turned out to be the case for the following schools:

Table 1: Center-file structure for North Shore schools

School-id	Nthroad-id	Route-id	School Name
1	24937	28160	Birkenhead College
2	20602	27483	Glenfield College
3	27563	28491	Northcote College
4	7895	25959	Rangitoto College
5	26378	28466	Takapuna Grammar School
6	20058	27416	Westlake Boys' High School
7	24622	28102	Hato Petera College
8	20779	27506	Westlake Girls' High School
9	22740	27812	Rosmini College
10	19984	27405	Carmel College
11	266	25040	Long Bay College
12	3983	25432	Proposed
13	11965	25959	Proposed

Nthroad-id (cover – id)

The Nthroad-id is an integer item that contained the node-IDs of the centers in the coverage. This item was required in the centers file. Cover represented the network coverage name. This item name is mandatory.

Route-id (route - id- item)

The Route-id item contained the User-IDs of the routes that will receive the results of the allocation. The name of the route-system to which the routes will be written is specified with the NETCOVER command.

(2): Preparing the network coverage and output route-system with NETCOVER command. Usage:

NETCOVER <cover> <route-system> {Append Init}

(3): Determining the maximum - impedance i.e. the maximum cumulative impedance of the least-cost path between any location on an allocated arc and the centre. In this research four figures for e maximum - impedance were used. These are: 2000 meters, 1500 meters, 40 minutes, and 30 minutes.

- West Lake Boys School.

3. Use Allocate command in Arc/Info to define the school zones according to the following criteria:
   (a) A suitable zone is one that has a distance of 1500 meters around a certain school, and 30 minutes of travel time to a school.
   (b) A suitable zone is one that has a distance of 2000 meters around a certain school and 40 minutes of travel time to a school.
   (c) A suitable zone is one that has a distance of 3000 meters around a certain school, and 60 minutes of travel time to a school.

- The allocate command was also used to determine travel distance and travel time of the existing school zoning.

In order to implement the Allocate function, the following steps were completed:

(1): Defining "the Centre File" which included:

- cover - id
- route - id- item (Table 1)
- maximum - impedance - item:
- length of road (travel distance) in meters.
- travel time (i.e. the length of the road divided by walking speed) in minutes.

The attributes of centers were contained in a user-created INFO file called a centers file, which was analogous to the stops file used in pathfinding. Like stops, centers were referenced by the User-ID of the node where they were located. Centers files contained the following items below. The centers file and items were specified with the CENTERS command.

service (the *p*- centre problem) ; maximizing the lowest cost of service (for noxious facilities); and maximizing profit [11].

Most applications involved situations where both customers and facilities were point entities within the GIS, but Miller (1996) extended the model to include all nine point/line/area customer-facility combinations within a GIS framework. Lasse-Jensen (1998) explained how various school districts in selected regions of Copenhagen may be assessed using location-allocation modeling tools of victor-based geographical information systems. He showed how the consequences of suggested redistricting projects may be analyzed and how ‘best solutions’ in terms of school locations, capacity and district boundaries may be pointed out.

Lasse-Jensen discussed location-allocation modeling in connection with the process of assigning children from their residential location to the nearest school for a selected area of Copenhagen. According to Lasse-Jensen this kind of spatial analysis provided the means for quantifying the relation between school location and capacity on the one hand and the demand and the demand for seats in the surrounding areas on the other hand. His general goal was to maximize accessibility by minimizing the total travel distance for all pupils while at the same time ensuring that no pupil has to travel an excessively great distance to attend school.

From the above-mentioned literature, it is concluded that the use of network analysis to allocate the location of resources or services through the modeling of supply and demand in a given network is a major concern for GIS specialists.

Methodology of the research:

The following processing procedures for the study were:

1. Copying the needed coverages to a created workspace.The coverages were:

   - School locations

   - School areas (including coastlines)

   - Road network

   - Main roads.

2. Displaying the location of existing secondary schools, and correcting four locations that were mislocated on the original file. These schools are:

   - Long Bay College

   - Rangitoto College

   - Takapuna Grammar School

demand-oriented approach was examined and included in a design of Facility Location Assessment and Optimization Systems (FLAOS).

The overall objective of Grothe and Scholten was to illustrate that GIS Technology can be used effectively to support decisions associated with facility location assessment and optimization problems. To meet this overall objective they had the following framework:

- An overview of facility location theory and the identification of a conceptual framework for catchment area definition.
- Development and implementation of instruments aimed at modeling catchment areas to support facility location assessment and optimization.
- Application of FLAOSs in facility location problems.

Two application examples with the use of FLOAS were briefly outlined by Grothe and Scholten. The first example developed a FLOAS for facility location problems in the Dutch banking sector, while in the other example the FLOAS concept was applied in the field of residential zoning for elderly. The authors analyzed the access of the elderly to retail facilities and care service centers. With the use of buffering and overlay operations they were able to determine attractive and less attractive areas in the district. The final zoning map showed which site is most appropriate for new developments.

Since 1995, several researchers focused on location-allocation models to determine optimal locations for private and public sector facilities such as warehouses, factories, retail stores, ambulance depots, police stations, fire stations, and schools, as well as optimal allocations of ‘customers’ to these facilities[10]. According to Waters (1999), these models were routinely incorporated into Geographical Information Systems in Transportation (GIS-T) files. Church (1999), provided detailed and up-to-date discussions of location-allocation modeling within a GIS context.

Many of the most important breakthroughs in the location-allocation literature were presented at the so-called ISOLDE (International Symposium on Locational Desions) conferences that began in Bannf, Alberta, Canada, in 1978 and were held around the world since then. The proceedings for these conferences were somewhat brief, although the most significant papers are usually published in special issues of operations research journals and more recently in the journal *Location Science.*

Packages such as TransCAD allow for a variety of goals to be optimized in facility location problems including: minimizing the average cost of service (often referred to as the *p*- median problem); minimizing the maximum cost of

point locations. The demand may consist of points, lines, or polygons, depending on the data source and the level of spatial data collection. Distance measures between the supply and demand are often presented in a distance matrix or a distance list. Distances may be measured along the shortest path between two points on a road network or along the straight line connecting two points. In location-allocation analysis shortest path distances are likely to produce more accurate results than straight line distances [(3)].

Perhaps the most important input to a location-allocation problem is the model for solving the problem. Two most common models are *minimum distance* and *maximum coverage*[(4)]. The minimum distance model, also called the p-median location model, minimizes the total distance traveled from all demand points to their nearest supply centers[(5)]. The p-median model has been applied to a variety of facility location problems, including food distribution facilities, public libraries, and health facilities. The maximum coverage model maximizes the demand covered within a specified time or distance[(6)]. Public sector location problems, such as location emergency medical and fire services, are ideally suited for the maximum coverage model. The model is also useful for many convenience oriented retail facilities, such as movie theaters, banks, and fast food restaurants.

Both minimum distance and maximum coverage models may have added limitations or options. A maximum distance limitation may be set on the minimum distance model so that the solution, while minimizing the total distance traveled, ensures that no demand is beyond the specified maximum distance. A desired distance option may be used with the maximum coverage model to cover all demand points within the desired distance[(7)].

It is noteworthy that location-allocation models have been an important topic in geography and operations research since the seminal work of Cooper (1963) and Hakimi (1964) in the 1960s. Computer programs for location-allocation have been widely available since the early 1970s [(8)]. The role of the computer in transforming raw data into useful information became necessary since then. By integrating GIS technology and computer-based Decision Support Systems, a framework for spatial decision support was established. Actually, a shift towards GIS location analysis was advocated by several authors in the late 1980s and early 1990s[(9)].

M. Grothe and H. Scholton (1993) used GIS as a tool for spatial assignment problems in the facility location planning. They illustrated the potential benefits of GIS technology as a decision support tool. Their concentration was on the role of catchment's areas in solving facility location assessment and optimization problems in urban areas. Methods for modeling catchment areas using a

This study is significant in that it deals with a practical issue related to the daily behavior of students from the study area. The challenge is that the basic location-allocation tool is capable of creating and representing various zonal systems depending on a certain criteria set such as center capacity, local demand, travel time, crossing main roads, and use of buses or trains.

Data Sources:

1. The needed coverages were copied from material available in the Department of Geography, University of Auckland database under the following subheadings:

   - A Guide to Geography Spatial Data Holdings

   - Address - matched Streets of Auckland (by area).

2. Locations of the existing secondary state schools in the study area were obtained from several Auckland atlases.

Theoretical Framework:

The theme of location-allocation can be considered a significant topic in spatial analysis aiming to solve problems of matching supply and demand by incorporating certain objectives and limitations. Recently, GIS packages mainly ARC/INFO used some of the algorithms as tools for application. It is believed that location-allocation modeling is a complex network analysis aiming to determine the locations of existing and planned facilities, as well as the allocation of demand to these facilities [(1)].

The private sector uses many location-allocation examples. It can be assumed that a company runs self-drink distribution facilities to support supermarkets. The objective in this case is to minimize the total distance traveled, and a two-hour drive distance limitation may be imposed on the problem. A location-allocation tool is to match the distribution facilities and the supermarkets while meeting the objective and the limitation at the same time.

Location-allocation is also a vital issue in the public sector. For example, a local school board may decide that (1) all school-age children should be within 1 kilometer of their schools and (2) the total distance traveled by all children should be minimized. In this case, schools represent the supply and school-age children represent the demand. The objective of this location-allocation analysis is to provide a fair service to a population, while maximizing efficiency in the total distance traveled [(2)].

Working in a location-allocation environment requires inputs in supply, demand, and distance measures. The supply consists of facilities or centers at

the education they want. Although North Shore City was selected as the study area, It is believed that the procedures that were used here may be applied to other parts of Greater Auckland or anywhere else (Fig. 1).

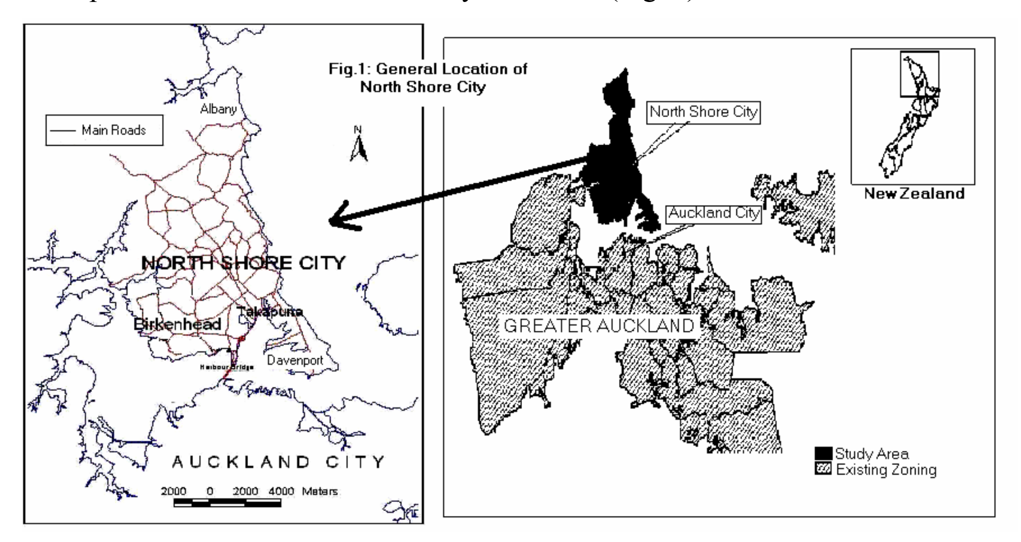


Fig.1: General Location of North Shore City

Aim of the Study:

The aim of this study is to integrate location-allocation modeling with other GIS capabilities to come up with a framework that may help decision makers in having plans for school zoning as well as to help students' parents in deciding the optimum school location their children would go to. New schools based on certain criteria will be suggested.

Research Key Issues:

The specific key issues for this research are:

- Building the database by copying files and coverages (mainly coastlines, road network and main roads), editing data, and inputting additional data (particularly locations of state and private secondary school).
- Analysis of the data to establish a database for school contributing area boundaries.
- Finding the travel distance and travel time of the existing school zones.
- Use the established database to achieve the following criteria: a suitable zone is one which have a travel distance within 1500/2000/3000 meters and travel time within 30/40/60 minutes from a certain school.

North Shore City (NSC) has a population of about 200,000 inhabitants. It extends from Devonport in the south to the rural and tree-clad hills around Albany in the North. There are eight state secondary schools serving all communities in the NSC. These schools are: Birkenhead (Birkdale) College, Glenfield College, Long Bay College, Northcote College, Rangitoto College, Takapuna Grammar School, Westlake Boys High School and Westlake Girls High School. In addition to this, there are three non-state secondary schools namely Carmel College, Hato Petera College, and Rosmini College. Although each school has its own catchment's area they attract students from other places.

In the past, the Ministry of Education through a demographic program decided that for a particular community a needed school depended on the population of that community. When zoning was introduced it was to restrict the movement of people so that each school will have an equal opportunity to be attended by its own communities, and that some schools that were perceived to have better education would not be overcrowded compared with other schools. In other words, zoning was implemented to make education even across the country, so each school has its share of clients. In this case enrolment could be controlled more effectively.

When the Ministry of Education abolished zoning in schools about 15 years ago, they didn’t set up a whole new scene of education. They gave parents a major role to decide where their children might go for studying. So the removal of zoning caused a problem straight away. Actually, in the last 15 years, the New Zealand population became more mobile. Standard of living became higher with many families having 2 cars: one became a taxi to shuttle children to schools, while the other was used for other needs. The result was depriving a child in his community from attending the school of his community due to the restricted enrolment policy and the restricted size of classes. Consequently, children who were not allowed to study in their community had to go somewhere else. The writer believes that this was totally wrong because originally schools were put to serve their own community.

Another phenomenon resulted from abolishing school zoning was that some schools were becoming more elite than others in that their children were from areas of high standard of living. On the other end of the scale, schools in the lower socio-economic areas were left with children who could not afford to move away from that area. So the rich became richer and the poor became poorer.

This research, therefore, aims to use location- allocation modeling as a GIS tool along with other capabilities to solve the problem of children forcing themselves to another area and preventing the residents of that area from getting

 Vol. 2 No. 1, 2005, pp. 19-35

Spatial Zoning of School Location-Allocation in Greater Auckland, New Zealand

Issa El-Shair*

Abstract

This paper focuses on the use of network analysis to allocate the location of secondary schools in North Shore City of Greater Auckland in New Zealand. For simplicity, eight state and three private secondary schools in the North Shore City were only examined. One of the main issues of the study was finding the travel distance and the travel time of the existing schools zones. Another issue was using an established database to show that a suitable zone is one which have a travel distance within 1500/2000/3000 meters and travel time within 30/40/60 minutes from a given school. Three procedures were implemented. These were: copying certain coverages to a needed workspace, displaying and correcting the location of existing secondary schools, and using Allocate command in GIS to define the school zones according to the previous criterion. By using the allocate function, the study came up with three different patterns of school zones. Two new schools were also allocated based on distance between adjacent zones. These suggested schools were due to the long distances/time that students living in some areas have to pass while traveling to their schools. It was concluded that GIS capabilities proved to be effective in examining school zones in North Shore City as well as other locations in different countries.

Introduction **

Greater Auckland, New Zealand has a population of more than 1 million residents. It is divided to four major administrative cities namely North Shore City, Waitakare City, Auckland City and Manukau City. Tens of primary, intermediate and secondary state schools are scattered all over Greater Auckland. This paper is interested in examining the issue of school zoning. However, for simplicity, eight state and three non-state secondary schools in the North Shore City will be only discussed.

---

* Associate Professor, Department of Geography, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.
** The reason for choosing North Shore City as a study area is justified by the fact that the researcher had lived there for several years. That residency was followed by frequent visits to the area.

Lynch, Clifford A. (1998) "*Recomputerizing the library: new roles for information technology in a time of networked information." In Recreating the academic library: breaking virtual ground*, edited by Cheryl LaGuardia (New York: Neal-Schuman Pub. Inc., pp 3-22.

Lynden, Fredrick C. (1996) "Tradeoffs or not: the pros and cons of the electronic library" In Electronic resources: *implications for collection management*, edited by Genevieve S. Owens, The Howorth Press, pp 17-28 Pp 65-92

Mansour, Farouq and Al-Abboushi, Rajeh (2000) Automation in Al-Esra'a Universit Library. *Risalat Al-Maktaba*, 37 (1-2) p. 78-87. (in Arabic)

Shorbaji, N. (1991) "Standards for selecting of packages for database management in Jordan libraries". A paper presented to *the second Jordanian Librarians' Conference, October 6-8, 1991. Amman*. (in Arabic).

Stolt, Wilbur, (1996) "Managing electronic resources: *public service considerations in a technology environment*. In Electronic resources: *implications for collection management*, edited by Genevieve S. Owens, The Howorth Press, pp 17-28.

Sulaiman, Raed and Al-Qudah, Belal. (2000) The experience of King Hussein Bin Talal University Library in Automation. *Risalat Al-Maktaba*, 37 (1-2) p. 4-34. (in Arabic)

Younis, A. R. (1990) "Library automation in Jordan". *International library review* 22 (1) ,pp.19-29.

Younis, Abdul Razeq (1992) "Professional library development, manpower and training in Jordan". *International Information & Library Review*. 24, 15-43.

Younis, Abdul Razeq (1999) "The use of Arabized software packages in Jordan University libraries". *International Information & Library Review.* 30, 311-340.

18- Kasasbeh,Khaled and Al-Hammouri, Nizar (2000) The Library system of the Jordan University of Science and Technology (JUST). *Risalat Al-Maktaba*, 37 (1-2) p. 93-101. (in Arabic)

19- Barakat, Reiad (2000) The experience of Petra University in Library Automation. *Risalat Al-Maktaba*, 37 (1-2) p. 70-77. (in Arabic)

20- Al-Qasem, Saleh (2000) Automated indexing of the Arabic periodicals in Yarmouk University Library. *Risalat Al-Maktaba*, 37 (1-2) p. 50-69. (in Arabic)

References

Abu Eid, Imad (1998). "Libraries of private universities and accreditation standards: case study". *Risalat al-Maktaba*. Vol 33, no1 (March 1998). pp 4-28. (in Arabic)

Al-Khateeb, Fawzi. (2000) "Problems of computerization of Arab University Libraries". *Risalat al-Maktaba*. Vol 35, no1-2 (March – June, 2000). pp 44-62. (in Arabic)

Al-Momani, Hasan (1995) The library of the University of Science and Technology: Current situation and prospects. *The Third Conference of Jordanian Librarians, Amman*: *JLA*.

Al-Qasem, Saleh (2000) Automated indexing of the Arabic periodicals in Yarmouk University Library. *Risalat Al-Maktaba*, 37 (1-2) p. 50-69. (in Arabic)

Al-Salah, Tahseen (1995) The library of Jordan University: Current situation and prospects. *The Third Conference of Jordanian Librarians*, Amman: JLA.

Athamneh, Awad and Fawzi al-Khateeb (1995) The library of Yarmouk University: Current situation and prospects. *The Third Conference of Jordanian Librarians*, Amman: JLA.

Bakhit, B. S. (1991) "The use of CDS/ISIS Package in Jordan". A paper presented to *the second Jordanian Librarians' Conference*, *October 6-8, 1991. Amman.* (in Arabic).

Barakat, Reiad (2000) The experience of Petra University in Library Automation. *Risalat Al-Maktaba*, 37 (1-2) p. 70-77. (in Arabic)

Johnston, Pete. (2001) After the Big Bang: forces of change and e-learning. Ariadne, 27, at *http://www.ariadne.ac.uk/issue* 27/johnston/ accessed 23/04/2001.

Kasasbeh,Khaled and Al-Hammouri, Nizar (2000) The Library system of the Jordan University of Science and Technology (JUST). *Risalat Al-Maktaba*, 37 (1-2) p. 93-101. (in Arabic)

4- Lynch, Clifford A. (1998) "*Recomputerizing the library: new roles for information technology in a time of networked information." In Recreating the academic library: breaking virtual ground*, edited by Cheryl LaGuardia (New York: Neal-Schuman Pub. Inc., pp 3-22.

5- Lynden, Fredrick C. (1996) "Tradeoffs or not: the pros and cons of the electronic library" In Electronic resources: *implications for collection management*, edited by Genevieve S. Owens, The Howorth Press, pp 17-28 Pp 65-92

6- Younis, Abdul Razeq (1992) "Professional library development, manpower and training in Jordan". *International Information & Library Review*. 24, 15-43.

7- Younis, A. R. (1990) "Library automation in Jordan". *International library review* 22 (1) ,pp.19-29.

8- Bakhit, B. S. (1991) "The use of CDS/ISIS Package in Jordan". A paper presented to *the second Jordanian Librarians' Conference*, *October 6-8, 1991. Amman.* (in Arabic).

9- Shorbaji, N. (1991) "Standards for selecting of packages for database management in Jordan libraries". A paper presented to *the second Jordanian Librarians' Conference, October 6-8, 1991. Amman*. (in Arabic).

10- Younis, Abdul Razeq (1999) "The use of Arabized software packages in Jordan University libraries". *International Information & Library Review.* 30, 311-340.

11- Abu Eid, Imad (1998). "Libraries of private universities and accreditation standards: case study". *Risalat al-Maktaba*. Vol 33, no1 (March 1998). pp 4-28. (in Arabic)

12- Al-Khateeb, Fawzi. (2000) "Problems of computerization of Arab University Libraries". *Risalat al-Maktaba*. Vol 35, no1-2 (March – June, 2000). pp 44-62. (in Arabic)

13- Athamneh, Awad and Fawzi al-Khateeb (1995) The library of Yarmouk University: Current situation and prospects. *The Third Conference of Jordanian Librarians*, Amman: JLA.

14- Al-Salah, Tahseen (1995) The library of Jordan University: Current situation and prospects. *The Third Conference of Jordanian Librarians*, Amman: JLA.

15- Al-Momani, Hasan (1995) The library of the University of Science and Technology: Current situation and prospects. *The Third Conference of Jordanian Librarians, Amman*: *JLA*.

16- Sulaiman, Raed and Al-Qudah, Belal. (2000) The experience of King Hussein Bin Talal University Library in Automation. *Risalat Al-Maktaba*, 37 (1-2) p. 4-34. (in Arabic)

17- Mansour, Farouq and Al-Abboushi, Rajeh (2000) Automation in Al-Esra'a Universit Library. *Risalat Al-Maktaba,* 37 (1-2) p. 78-87. (in Arabic)

استخدام الحاسوب في مكتبات الجامعات الأردنية

عاطف يوسف، قسم المكتبات والمعلومات، كلية الآداب، جامعة الزرقاء الأهلية، الزرقاء، الأردن.

ملخص

استهدفت هذه الدراسة المسحية التعرف إلى استخدام الحاسوب في مكتبات الجامعات الأردنية ومعوقات استخدامها ووجهات نظر مديري المكتبات نحو حوسبة مكتباتهم. أظهرت الدراسة التي شملت 22 مكتبة جامعية أنها جميعا تستخدم الحاسوب في معظم إجراءاتها ولأغراض إدارية، مع تفاوت كبير في التطبيقات والتوقعات المستقبلية، وبينت الدراسة أن 20 مكتبة (91%) تستخدم الحواسيب في المعالجة الفنية وأن استخدامها في مكتبتين (9%) في مراحله الأولى.

كما أظهرت الدراسة وجود تفاوت كبير في مجال استخدام الحاسوب في خدمات المستفيدين، وكشفت الدراسة عن أن غالبية المكتبات تبذل جهودا مستمرة لتوظيف الحاسوب وشبكات المعلومات لأغراض تحسين الخدمات الفنية والعامة.

وبينت الدراسة أن هذه المكتبات تعاني من نقص في المصادر الإلكترونية، ونقص في المكتبيين المؤهلين فنيا للتعامل مع تقنية المعلومات. كما أنها تواجه وبدرجة أقل حدة صعوبات ترتبط بنقص في أجهزة الحاسوب المناسبة، ونقص في حزم البرمجيات المتكاملة، ونقص في المخصصات المالية. وتؤكد الدراسة أهمية التعاون بين هذه المكتبات، وضرورة توحيد نظم حوسبتها.

* **The paper was received on April 9, 2003 and accepted for publication on June 14, 2005.**

Notes

1- Jordan. The Ministry of Higher Education (2002) A statistical summary on Higher Education, 2002. A leaflet prepared by the Directorate of Studies and Statistics, Department of Information and Statistics, Amman, The Ministry (in Arabic).

2- Johnston, Pete. (2001) After the Big Bang: forces of change and e-learning. Ariadne, 27, at *http://www.ariadne.ac.uk/issue* 27/johnston/ accessed 23/04/2001.

3- Stolt, Wilbur, (1996) “Managing electronic resources: *public service considerations in a technology environment*. In Electronic resources: *implications for collection management*, edited by Genevieve S. Owens, The Howorth Press, pp 17-28.

Future expectations

Head librarians of respondent libraries commented on their future plans and provided some useful ideas suggesting some kind of change to improve the use of computers and information networks in their libraries. They stressed the need for cooperation to purchase and exchange electronic resources and equipment. They also indicated the need for cooperation to develop applications of software packages, like CDS/ISIS to make it capable for circulation and some other services. Head librarians are having the will to develop the computerized systems in their libraries. They are aware of the recent developments in information technology. They would like to have integrated packages that could perform all functions and services. Those libraries not connected to the Internet would like to be connected as soon as possible.

Conclusion

The findings of this study reveal that all university libraries in Jordan implement computers to automate their functions and services. The level of automation in these libraries varies widely from one library to another, in terms of quantity and quality. In general, the libraries are facing several problems related mainly to shortage of electronic resources lack of technically skilled staff, lack of sufficient hardware equipment, shortage of integrated software packages and lack of sufficient funds. The seriousness of each problem differs from one library to another. There is a will for change and development. Cooperation between these libraries is expected to take part in solving such problems.

Recommendations

In the light of the findings of this study, the following recommendations are suggested:

(1) All concerned parties should make every effort to enhance cooperation among university libraries in Jordan, and persuade them to unify their computerized systems.

(2) Jordanian universities and community colleges offering programs in Library and information science are required to offer more courses in information technology designed to suit the requirements of these libraries.

(3) There is a need for conducting longitudinal studies in this area, as library automation is changing rapidly.

computerized systems in 18 libraries, though at different levels. It seems that shortage of electronic resources in Arabic, and lack of English language ability among library users in general has taken part in the existence of this problem. The results of this study indicate that there is a need for more database subscription. Cooperation and coordination is very necessary for gaining access to international databases.

Shortage of skilled staff employed also strongly affects the applications of computers in these libraries. This problem also takes part in the existence of the other problems. When the librarian understands how to invest such technology, gains computer literacy, and acquires the required expertise, he will be able to solve such problems or at least takes part in solving them. As indicated above less than 4% of staff members were specialized in computer science. Interviews and field visits to some university libraries showed that staff responsible for computerized functions and services had some kind of experience rather than specialization, except for matters related to programming or design of databases where other staff specialized in computer science are responsible. Training on the newer technology seems to take part in solving such a problem.

There are three obstacles that moderately affect the utilization of computers in the respondent libraries with means ranging between 2.73 and 2.36. These three obstacles are “lack of sufficient hardware and equipment”, “lack of sufficient funds”, and “used packages are not suitable”. Many librarians stressed the need for faster and more powerful processors. To give an example, they indicated their need for PIV instead of Pentium I and II microcomputers. They also mentioned the need for higher hard disk storage. Lack of sufficient funds was also noticed. It is expected to affect all other applications and related activities.

As far as the obstacle of "used packages are not suitable" is concerned, several libraries have already transferred from their customized packages or even CDS/ISIS to integrated software packages. Some others are planning to do so. It is noticed that some libraries are building automated library system using (Oracle) program to overcome some problems. Lack of coordination and lack of standards is expected to yield serious problems, and could hinder co-operation among the libraries.

Attitudes of administrators toward automation have been found positive as indicated in Table VI. However comments obtained from head librarians provided that they were in favor of every effort toward moving forward in implementing computers and networks in these libraries.

User education service ranked second. Computers are being utilized for training students on how to use automated catalogues and how to consult reference materials on CD-ROM and how to invest the Internet for learning and research. More than half (54.5%) of the libraries provide users with online services mainly for faculty members. The data shows that public services require more attention, since several libraries have not automated these functions, while at the same time many of those who already have automated the functions are in the partial category, which means that there is a need for development.

Eight respondent libraries indicated that they use Microsoft office, five (22.7%) CDS/ISIS, five (22.7%) MINISIS, and four (18.2%) use customized packages for user services.

Obstacles

One of the objectives of the study is concerned with gathering information about the problems, if any, facing these libraries with regard to automation. While ten obstacles were introduced in the questionnaire, Six of them have been found relevant for analysis. Respondent libraries were asked to estimate (on a 5-point Likert type scale) the extent to which each obstacle has affected applications of computers in their libraries, ranging from very serious (given the value of 5) to no existence of the problem (given the value of 1). Table VI lists the frequencies and the means of these obstacles. They are given in descending order according to the degree of seriousness as indicated by the mean. Data analysis reveals that the libraries are facing the following problems: shortage of electronic resources, shortage of skilled staff, lack of sufficient hardware equipment, lack of sufficient funds, and lack of integrated and efficient software packages.

Table VI: Obstacles affecting applications of computers

Obstacle	V. S. (5)	S (4)	M (3)	L. S (2)	N. S (1)	Mean
Shortage of electronic resources	5	4	6	3	2	3.35
Shortage of skilled staff employed	3	5	6	5	1	3.20
Lack of sufficient hardware equipment	5	1	6	3	7	2.73
Lack of sufficient funds	2	4	8	4	4	2.36
Used packages are not suitable	-	2	11	2	7	2.36
Negative attitudes of administrators	-	2	2	7	11	1.77

The most serious obstacles were “shortage of electronic resources” (with a mean of 3.35) and “shortage of skilled staff employed” (with a mean of 3.20). The majority of the respondent libraries provided that they suffer from these two problems. Shortage of electronic resources is still a problem affecting use of

dealing with the first two functions is an urgent requirement in all types of libraries, and always given the first priority and might have been under development for a longer period than the others. Secondly, librarians are more familiar with cataloging and acquisition much better than with serial control, indexing and abstracting.

As for computerized packages used by respondent libraries data analysis indicates that ten (45.4%) libraries use CDS/ISIS, six (27.3%) use MINISIS, while three (13.6%) use locally customized (in-house) packages. All of these packages are bilingual (Arabic and English). Some of those libraries using CDS/ISIS have prepared supporting packages or programs for certain applications, mainly for circulation using Oracle. The researcher noticed lack of coordination among the libraries in this area of automation. Some librarians indicated that they were in favor of implementing integrated software packages instead.

d- Applications of computers for public services

Collected data on which public services were computerized in these libraries is provided in Table V. It shows frequencies of the computerized service, whether it is fully or partially computerized, and the percentages of those services being computerized in descending order. It is noticed that 19 (86.4 %) libraries have automated their reference services, and that 11 (50 %) of these libraries think that the service requires more effort since they evaluate the service in the partially automated category. Information gathered from directors of seven libraries revealed that they would like to make their automated catalogues remotely accessible for answering reference questions. They also emphasized the need for wealthy CD-ROM collection for enhancing this service. In addition, consulting the Internet to get information was considered an important part for automating this service. Two librarians indicated that they were preparing information for databases to answer reference questions, and can be accessed remotely off campus.

Table V: User Services

Service	Full	Partial	Total	Percentage
Reference services	8	11	19	86.4
User education	6	7	13	59.1
Online retrieval	6	6	12	54.5
Circulation	8	4	12	54.5
Delivery of Info.	2	10	12	54.5
Current awareness	5	5	10	45.5
SDI	3	3	6	27.3
Remote education	2	1	3	13.6

Table III: Computers and administrative services

Service	Full		Partial		Total	Percentage
Correspondence	10	45.5%	11	50%	21	95.5%
Preparing Reports	3	13.6%	16	72.7%	19	86.3%
Keeping files	3	13.6%	6	27.3%	9	40.9%
Other Services	-		3	13.6%	3	13.6%

Software packages being used for such applications were mainly Microsoft Office. Two libraries used customized packages for administrative functions.

C- Applications of computers for technical functions

Collected data on the technical functions being performed by computers is provided in Table IV. The five functions applied in respondent libraries are listed in descending order according to the total number of libraries applying each function. The respondent libraries added no other functions. The Table reveals that cataloguing ranked first. It was computerized in 19 (86.4%) of respondent libraries. Four out of these nineteen use card catalogues as well. Two other libraries provided they were about to implement computerized systems to catalogue their collections at the time this study was in progress. However, the majority of the responding libraries 15 (79%) think that they have reached the intended level of satisfaction with this function. Some other libraries indicated that they intend to make their catalogues accessible to remote users in the future. It was noticed that several libraries do not apply MARC standards for their catalogues.

Table IV: Technical Functions

Function	Full	%	Partial	%	Total	Percentage
Cataloguing	15	68.2%	4	18.2%	19	86.4
Acquisition	14	63.6%	3	13.6%	17	77.2
Serials Control	6	27.3%	10	45.4%	16	72.7
Indexing	4	18.2%	5	22.7%	9	40.9
Abstracting	2	09.1%	3	13.6%	5	22.7

Table IV also shows that computerized acquisition ranked second since it is applied by 17 (77.3%) of the respondent libraries. Also the majority of respondent libraries indicate that they are satisfied with this function. Serial control ranked third as 16 (72.7%) libraries implement computers for this function. It can be noticed that 10 (45.4%) libraries need to improve this function. So is the case with indexing and abstracting.

Analysis of the data reveals that, while the majority of librarians are almost satisfied with the first two functions, they would like to improve the other three. It is not strange to come to such a conclusion for the following reasons: first,

For the purpose of this study “Full” was used to indicate satisfaction with current applications and that no changes on the current system are required in the forseable future. “Partial” was used to indicate that part of the function was manually performed, and current applications are not satisfactory, and there is a will for development through advanced automation.

All 22 (100%) respondent libraries indicated that they make use of computers for administrative purposes. Data provided in Table III shows 21 (95.5%) libraries use computers for correspondence, whether for processing letters and or attached materials. They are also used for sending such materials through electronic mail. This service ranked first among the other administrative services. More than half of the responding libraries indicated that computers were being used partially for this service.

Data shows that nineteen libraries (86.4%) use computers for preparing reports. Word processing packages are easily available; and are quite helpful in offices. However, as for the extent to which these libraries are satisfied with these services, 16 out of these libraries think that there is a need for improvement to reach the level of full use/ application. Some librarians mentioned that they need better packages and skilled professionals to get automatic production of useful reports, as well as statistical data on the number of circulated materials and to which categories of users.

Table III also shows that nine (41 %) libraries make use of computers for keeping files. While three of these libraries mentioned that they are satisfied with such applications, six expressed willingness to improve this service. Interviews with head librarians revealed that they would rather build databases and make use of scanners for such a service.

However, it is clear that the number of functions varies greatly from one library to another. In addition librarians’ satisfaction with these functions differs from one library to another.

Three (13.6%) libraries use computers for control of work- flow. Data provided in Table III indicates that the majority of responding libraries felt the need for development of these services, mainly administrative correspondence and the preparation of reports, since they came in the partial category.

Interviews with head librarians revealed that the greatest proportion of these CD-ROM were accompanying materials to hard copies, mainly books and magazines in computer science, reference materials, and software packages. Five (22.7%) of the libraries indicated that they also had electronic resources on floppy disks and full-text documents stored on hard disks. Fourteen (63.6%) libraries were connected to networks, mainly the Internet. Eight (36.4%) of them had access to remote databases. In comparison to hard copies, the number of electronic resources in these libraries is still relatively poor.

Personal interviews and comments by head librarians provided answers on the issues of applications of computers in their libraries and showed that head librarians would like to make better applications. They provided that many users have become familiar with electronic resources, mainly automated catalogues and the Internet. They indicated that the most important factor affecting the use of computers was due to lack of professionally trained staff. Although this study was not primarily concerned with detailed data on human resources, it has tried to elicit some useful data about the numbers of staff employed in these libraries and how many of them were professionals in library and information science as well as in computer science.

Gathered data showed that 252 (46%) out of 585 library staff were considered as qualified staff in library and information science. Their qualifications fall into three categories: professionals with university degrees in the field, sub-professionals at the community colleges level, and those who gained some kind of training mainly at Jordan Library Association (JLA). It was noticed that the number of staff varies from one library to another. Thirteen libraries out of the 22 had less than 25 staff each.

About 20 library staff (less than 4%) only specialized in computer science working in 17 libraries, and about two thirds of them were at the community college level in the field.

It is easy to conclude that applications of computerized systems are mostly affected by the number of staff responsible for computers in the libraries, their specialization and experience.

However, cooperation with computer science departments and computer centers in these universities has been quite helpful to overcome serious problems.

b) Applications of computers for administrative purposes

The study intended to investigate what administrative functions used computers. It also tried to elicit data on the degree of satisfaction and future expectations through asking whether automation of the function is full or partial.

judged by five referees, three professionals in library and information science, and two specialized in Computer Science. The questionnaire was modified where necessary. The final version of the survey questionnaire was composed of six sections: a) general information about the libraries, b) use of computers for administrative functions, c) use of computers for technical services, d) use of computers for public (user) services, e) obstacles facing these libraries with regard to automation, and f) future expectations toward automation in the libraries.

Responses

Copies of the questionnaire were delivered by hand or fax. All 22 (100%) of the study sample returned responses to the questionnaire with usable data for the study. Two cases needed a follow-up to get the missing data by phone.

This instrument was supported by personal interviews and field visits. Review of some selected literature was also helpful.

Data Analysis

Analysis of the questionnaire responses, supported by data gathered from field visits, and interviews with head librarians in seven libraries, provided an overall idea about the use of computers in the Jordanian university libraries.

a) Computers, electronic resources, and manpower

All (100%) of the surveyed libraries provided that they all, collectively, use computers in one or more of their functions and information services. However, application of computers differs widely from one library to another. Variation is obvious in the type and number of computers being used, types of packages, and number and quality of functions and services obtained from computerization. The number of electronic resources also varied widely from one library to another. While seventeen (77.3%) libraries provided that they have CD-ROM collections, the other five libraries (22.7%) do not. Table II gives some indications on the number of CD-ROM collections and the number of libraries holding these electronic resources.

Table II: Numbers of CD-ROM s in 17 Libraries

No of CD-ROM	No of libraries	%
Less than 100	5	29.4%
100 - 200	2	11.8%
201-300	5	29.4%
301- 400	3	17.6%
More than 400	2	11.8%

company failed. Then the library decided to use CDS/ISIS. A few years later the library transferred the data to MINISIS.

Al-Qasem[19] discussed the issue of automated indexing of the Arabic periodicals in Yarmouk University Library. Indexing language, scope of the database, bibliographic description, and flexibility of retrieval were considered.

Review of the literature indicates that the situation of automation of the libraries have varied far widely for the last two decades. Computers in these libraries were used for several functions and services, mainly for cataloguing. The use of different systems was also noticed.

The study

The main objective of the study is to survey the current situation of computer applications in the Jordanian University Libraries in three main areas: administrative functions, technical processing, and user services. Another objective is to find out the major obstacles that might hinder the advancement of automation in these libraries. A third objective is to survey Head librarians perceptions toward future developments of automation in their libraries.

Population and Sample

The population of the study consisted of 22 (8 state, 14 private) university libraries in Jordan. All of these universities award at least the BA / MSc degree.

Research Methodology

This survey study attempts to investigate and discuss the use of computers in Jordan University Libraries: main functions and services. The main purpose of this study is to find answers to the following six questions:

(1) What administrative functions are computers being used for?

(2) What technical services are computers being used for?

(3) What user services are computers being used for?

(4) What are software packages implemented?

(5) What are the main obstacles facing these libraries?

(6) What are Head Librarians' perceptions towards automation in their libraries?

Survey Instrument

For the purpose of gathering data for this study, a written questionnaire was designed by the researcher (in Arabic). It is based on previous literature, and was

Automation of several university libraries in Jordan was discussed in some papers in the Third Conference of Jordanian Librarians in 1998.

Athamneh and Al-Khateeb[12] discussed automation of library services in Yarmouk University. They mention that use of computers in the library goes back to 1984. It started with automating serial control only. In 1990 MINISIS was installed in the library. The study also lists the functions and services that were already computerized. The study also gives a list of acquired databases on CD-ROM, such as Science Citation Index, ERIC, SSCI, DA, and Biological Abstracts. The study also mentions the networks to which the library was connected

A study by Al-Salah[13] in 1995 provided some prospects concerning automation in the library of the University of Jordan. The study revealed that acquisition, and cataloguing were already computerized, and more than 461.000 library materials were already in the database by that time. Seven databases on CD-ROM were also available in the library. The library was also connected to Dialog.

Al-Momani[14] discussed the situation of the University of Science and Technology. The study indicates that no system was adopted to automate all the functions and services by the year 1998. The study provides that the library was connected to databases via Knight-Rider Information Inc. (Dialog). It also gives information on ten databases available in the library on CD-ROM by that time. The study also mentions that feedback obtained from faculty members was very positive, and considered these databases as valuable tools for research.

Sulaiman and Al-Qudah[15] discuss their experience in automating the Library of King Hussein Bin Talal University. Their paper presents the steps they followed to build an automated system, using (Oracle) program.

Mansour and Al-Abboushi[16] present the experience of Al-Isra University Library. They started with CDS/ISIS, then MINISIS and now use the Oracle database. This database was started in the middle of 2002. Their paper also discusses the reasons behind using Oracle. The procedures and the practical application of the new system were also highlighted.

Kasasbeh and Al-Hammouri[17] discuss the library system of the Jordan University of Science and Technology (JUST). The system has been developed using Oracle 8i. This integrated software is capable for several functions, mainly acquisition, cataloguing and classification, circulation, serial control, and advanced searching.

Barakat[18] highlights the experience of the library of Petra University since 1991. He noted that the experience of using a program prepared by a local

In addition, Information Technology changes rapidly. Thus university libraries have to cope with this change. The study intended to find out if the libraries are able to cope with change in the era of information technology.

University libraries in Jordan face increasing public service demands for both students and faculty members. They need computerized systems to support them acquire materials, process them and make them accessible to such users in a quite helpful way. At the same time, technology is changing rapidly. The study intended to find out, among other issues, the existing applications of information technology in these libraries, and their perceptions toward change.

Related studies and selected papers

Review of some selected literature indicates that several studies on the use of computers in libraries in Jordan have been conducted.

In his studies Younis[5] considers that "the 1980's are the beginning of the automation era as far as libraries and information centres in Jordan are concerned." Younis[6] conducted a study in 1986 on the use of computer-based systems in Jordanian libraries. The study showed that 10 out of 255 surveyed libraries were using automated systems for various purposes.

A study by Bakhit[7] on the use of CDS/ISIS indicated that 60 libraries of all types had acquired the package by 1991.

Shorbaji[8] conducted a study on the standards used by 14 libraries in Jordan for selecting packages for database management.

Younis[9] conducted a study in the late 1990s on the use of Arabized software packages in Jordanian University libraries. All of 17 respondent libraries were computerized. Nine of them (52.9%) used CDS/ISIS, six (35.3%) used MINISIS. The other two used customized packages. Insufficient funds and equipment, and unskilled staff were the major hindrances. The study suggested some useful recommendations.

Abu Eid's[10] study which covered 12 private universities in Jordan revealed that eight (67%) libraries used CDS/ISIS, four (33%) used MINISIS, Three (25%) used the Internet, and one library was connected online.

Al-Khateeb[11] discussed the major problems of computerization in Arab University libraries. The problems were due to administrative, financial, and technical reasons. The study also tackled the situation and experiment of the library of the Yarmouk University. The researcher also noted that three state university libraries in Jordan failed in building a local automated system (by that time).

Library Automation in Jordan

Libraries in these universities were established to secure relevant information resources, mainly to support administrative functions, back the teaching process, and enhance scholarly research. They also provide users with the necessary skills needed for self-education. University libraries are making use of electronic resources since a proportion of these resources is published in their electronic form only. Some users prefer consulting such resources, others use them with printed materials.

Johnston noted that[1] “access to physical resources seems highly desirable in many cases, it is certainly true that access to digital resource base of textual and non-textual materials will be central to the success of e-learning initiatives.”

However, electronic resources are very important and gain much consideration in libraries. This issue has become a rich field for research. Stolt[2] indicates that “electronic resources and tools are a constant source of discussion in all areas of library work; yet the growth of technology and the dynamic changes in information delivery have brought electronic resources into the center of our professional psyche.”

Electronic resources in full-text have proved their importance in the teaching process and for scholarly research. Multimedia, for example, is widely appreciated for such purposes. CD-ROMs as electronic resources are invaluable sources providing learners and researchers with huge amounts of information and flexibility in searching for information. Such sources are almost available in all academic libraries nowadays. In addition, communicating with these resources from distance at any time, even at night while the library is closed is another advantage. So, academic libraries, as other libraries need to be connected with information networks to gain access to remote information.

Lynch[3] argues that “libraries will have to make a fundamental decision about the objectives of their future automation systems. Either the library will be one among many providers of networked information – or the library will try to establish itself as the primary access point for users obtaining networked information”.

Lynden[4] indicates that “most academic libraries now have what are called Gateway systems which connect users with not only mailing lists, but also gophers, CD-ROMs, the World Wide Web, and other electronic sources. These sources not only replace or supplement print versions, but offer many other advantages. They connect scholars over long distances and provide almost instaneous response time”.

Private universities have been established to accommodate the increasing large numbers of students wishing to continue their education. There are twelve private Universities, along with one regional (The Academy of Financial and Banking Sciences), and one international (University College of Educational Sciences) of UNRWA were established in Jordan during the last decade of the twentieth century. Amman Private University, established in 1990, was the first private university in Jordan. Table 1 is a list of the universities in Jordan, showing the year of establishment, number of faculties, number of faculty members and the number of students, for the academic year 2001-2002[1]. Data on 20 universities were obtained from a statistical summary published by the Ministry of Higher Education.

Table I: Universities in Jordan

University	Year	Faculties	Faculty Members	Students		
				U/G	Postgraduate	Total
STATE						
University of Jordan	1962	15	904	20236	3677	23913
Yarmouk University	1976	11	634	18797	2408	21205
Mu'tah University	1981	7		15646	565	16211
University of Science and Technology	1986	11	574	12688	683	13371
Al El-Bait University	1994	9	171	9078	614	9692
El-Hashmiyeh University	1995	11	270	9068	376	9444
Balka' Applied University	1997	9	101	3689	53	3742
Al-Husain Bin Talal University	1999	3	42	2031	48	2079
PRIVATE						
Amman Private University	1990	9	171	4430	--	4430
Applied Science University	1991	11	301	6850	--	6850
Isra' University	1991	7	128	3102	--	3102
Petra University	1991	10	171	2409	--	2409
Philadelphia Univ.	1991	7	227	6191	--	6191
Zaituna University	1993	7	154	4811	--	4811
Irbid Private Univ.	1994	4	128	3758	--	3758
Jerash Private Univ.	1994	7	139	4238	--	4238
Zarka Private Univ.	1994	6*	119	3867	--	3867
Princess Sumaiah University College	1991	2	44	989	--	989
Amman Arab Univ.	2000	*	*	--	*	*
Jordan Academy of Music	1990	1	17	55	--	55
Regional & International						
The Academy of Financial and Banking Sciences	1988	1			--	*
Faculty of Educational Sciences	1992	1	20	408	--	408

The Arab Journal for Arts Vol. 2 No. 1, 2005, pp. 1-18

Computer Applications in Jordanian University Libraries

Atif Yousef*

Abstract

The study surveys the usage of computers in the Jordanian University Libraries, obstacles and head librarians' perceptions toward automation.

The study investigated 22 university libraries, all of which are using computers for most library functions and administrative purposes. Variations in applications and in the future expectations are vast. Twenty respondent libraries (91%) use computers for technical processing, while the other two (9%) are at the beginning. The use of computers for public services also varies widely. The study reveals that the majority of the libraries are exerting continuous efforts to utilize computers and networks for improving their functions and services.

The study reveals that respondent libraries suffer from shortages of electronic resources and shortage of skilled staff employed. Three other obstacles with moderate effect, were lack of sufficient hardware equipment, lack of integrated and efficient software packages, and lack of sufficient funds. The study stresses the need for cooperation among these libraries, and standardization of their computerized systems.

Introduction

Universities in Jordan

Jordan witnesses substantial progress in higher education. The number of universities and colleges has gradually increased in the last decades. A statistical summary on higher education (2002) lists 22 universities, all of them award the first university degree, some of them award higher degrees. Seven of these are state universities. The University of Jordan was established in 1962. It is the largest university in the country with fifteen faculties, about 24000 undergraduate and postgraduate students, and more than 900 faculty members. The Yarmouk University was established in 1976. It is the second largest university in the country. Balka Applied University and some other state universities were established in the last decade of the twentieth century. The last State University in the country was Al-Hussain bin Talal University, established in 1999, to enhance the government educational developmental plans in the southern part of the country.

---

* Department of Libraries and Information, Faculty of Arts, Zarqa Private University, Zarqa, Jordan.

Table of Contents

Articles in English

Articles in Spanish

Articles in Arabic

- Twenty offprints well be sent free of charge to the sole or principal author of the published manuscript, in addition to one copy of the issue in which the manuscript is published

- Manuscripts should be addressed to:

Secretary General
The Society of Arab Universities Faculties of Arts
Editor – in –Chief
The Arab Journal for Arts
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
Tel . 00962 2 7211111
Fax. 00962 2 7274725
E-mail:saufa@yu.edu.jo
Website :http://saufa.yu.edu.jo

Documentation

References in the text are serially numbered between brackets ( ) .

References at the end of the article shall be as follows in case the source or reference work is a book:

The author's full name: source or reference work , part, number, publisher, place of publication , year, page(s).

e.g. Dayf, Shawqi : *The First Abbasid Period* ,Dar al- Maarif , Egypt,1966,.24.

In case where a periodical or a journal is consulted , referral thereto shall be as follows :

The author's full name, source or reference work, *name of periodical or journal*, volume number, year, page.

e.g. Sa'aydan , Ahmad Saleem :" On Arabicization of Sciences". *Jordanian Arabic Language Academy Journal*, Volume I .No 2 July 1978,p.101.

References should be listed in the bibliography at the end of the manuscript in alphabetical order of authors' surname, beginning with Arabic references, then foreign ones.

Subscription Information

Annual subscription rates in Jordan: individuals (JD 3.00), institutions (JD 5.00); outside Jordan: individuals (US $ 7.00), institutions (US $ 10.00) or equivalent.

The Arab Journal for Arts

A Refereed Academic Journal

The Arab Journal for Arts (*ARJA*) is a refereed academic journal published at Yarmouk University, Irbid, Jordan by the Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities members of the Association of Arab Universities.

Notes to Contributors

Language

ARJA's Articles are published in Arabic together with their abstracts in English. Manuscript, however, may be published in any other printable language.

Rules Regulating the Journal

- Manuscripts should be submitted in Arabic together with an English abstract. However, submission in either English ,French, or any other printable foreign language, with an Arabic abstract, is subject to approval by the Editorial Board
- *ARJA* publishes genuinely original articles characterized by clear academic methodology, comprehensiveness, and thorough investigation; where exact referencing is made to sources and reference works, and the article has not been previously published anywhere else. A specialized criticism or review of an academic work published in the Arab world or abroad as well as reports on specialized Arab or inter- national symposiums and conferences may be published. Manuscripts accepted for publication in *ARJA* are approved for academic promotion
- *ARJA* publishes academic articles in the fields of arts, languages, social and human sciences, social service, journalism and mass communication
- Manuscripts should be computer-typed and double spaced. Four copies are to be submitted together with a floppy disk congruent with IBM (Ms Word 97, 2000XP, 2003)
- Manuscripts including figures, drawings, tables and appendixes shall not exceed thirty pages
- Manuscripts submitted for publication in *ARJA* shall be sent, if initially accepted, to at least two specialist referees, who are chosen with absolute confidentiality by the Editor –in –Chief
- *ARJA* reserves its right to ask the author to omit, reformulate, or reword his/her manuscript or any part thereof in a manner that conforms to the publication policy
- Copyright pertinent to the manuscript accepted for publication shall be transferred to *ARJA*.
- *ARJA* does not pay remuneration for the articles published therein

Typesetting and Layout
Ahmad Abu Hammam



Association of Arab Universities



The Society of Arab Universities
Faculties of Arts

The Arab Journal for Arts

A Refereed Academic Journal

Published by The Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities members of AARU
Yarmouk University
Irbid, Jordan

Vol. 2 **No. 1** **1426/2005**